

العدد الرابع – السنة الثامنة – شوال 1384 – برابر 1965

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
بالمملكة المغربية – الرباط

ثمن العدد درهم واحد

العدد الرابع - السنة الثامنة

شوال 1384 - فبراير 1965

ثمن العدد درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف
الرباط - المغرب . الهاتف 10 - 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 - 485 - الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف -
الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .

في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط

تليفون 308.10 - 327.03 - الرباط

كلمة العدد

أدب العرش

عـــاش المغرب عيدا قوميا رائعا يوم 3 مارس بمناسبة الذكرى الرابعة لاعتلاء جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وايده على اريكة اسلافه الامجاد ...

ولقـــد اظهر الشعب المغربي النبيل عواطفه المشبوبة ، ومشاعره المتقدة ، وعبر عن فرحته ـ التي تنم عن مدى تعلقه بملكه وقائده ـ بوجوه هشة ، وثغورباسمة ، وعيـــون تشرق بالامـــل والرضـــى .

وان احتفال الشعب بهذه الذكرى المجيدة ، ليذكرنا بالكفاح البطولي الذي بذله العرش العلوي في الحفاظ على كيان المغرب وسيادته ، وما قام به الرواد الاولون من ابناء هذا الوطن الغالي ، الذين تفتحت بواكير الوعـــي في نفوسهم ، فاعلنوها حـــربا عوانا لاهوادة فيها ولا لين ، على الطغيان الفاحش ، والبغـــي الصارخ ، والخلـــق المـــريـــض ....

واتخـــذ الشعب المغربي من عيد العــــرش ـ في وقت تواثبت الخطوب على جوانبه ، وتفاقمت النوازل في احشائه ـ مناسبة للتعبير عمـــا يعتلـــج في صدره المكلوم من آمـــال وآلام ، فكان يستقبله بقلب مغتبط ، ورأي جميع ، اذ يقيم لــــه حفلات يعبر فيها عن ولائه ، وتعلقه بملكه الذي تتجسم فيه سيادة البلاد ، كما يجعل من ذكرى عيد العرش متنفسا لعواطفه الجائشة ، وفرصة لاظهار الالتحام الذي يقع مجسما بين الشعب والملك ، وسبيلا لبعث الوعي والتمرد في الغافل الخاضع ، الذي يئن تحت وطأة المستعمر القاهرة الذي اذاق الشعب لباس الجوع والخوف ، فخنق الحريات ، وعوق النهضة ، وثبط العزائم ، واصبح الشعب معه كمن تتخطفه الطيـــر او تهوي بـــه الريح في مكان سحيـــق .

ولم يكن الادب الثائر في هذه الاونة الا هاديا ومرشدا ، فقد انطلـــق الفكـــر المغربي من عقاله ، وفاضت القرائح تنشد اغاني الشرف ، واناشيد الحمية ، معبـــرة عـــن آمـــال الامـــة وامانيهـــا .

وبـــرزت الثورة الفكرية على السنة الشعراء والكتاب الذين نقلوا صرخاتهم وزفراتهم التي انبعثت في رحاب البغي والفسوق والفجور والفساد ، منظومـــة في قصائد ، او مصورة في مقالات ، فساعدت على تـــورة الشعب والهاب حماســـه ، واخرجته من السكون والكمون الى دنيا الواقع المر .. الى عالم الجهاد المقدس ...

وهكـــذا كان ادب الثورة المغربي هاديا ومرشدا ، ومتفاعلا مع الامة ومستجيبا معها ... وقد يحلو للبعض ان يلمزه بنعوت قد تقلل من قيمتـــه ، فيسمونـــه بادب المناسبات ، وهو ـ لعمر الحق ـ ظلم صراح لهذا الادب الثائـــر ....

لقـــد ظلت الثورة المغربية مشبوبة بين الجوانح في اكثر ايام الحماية بين حق اعزل ، وباطل مسلح ، وضد الذين عوقوا نهضة الامـــة ، وفرقوا كلمتهـــا ، وبددوا

ثروتها ، وتركوها تندب حظها العاثر ، فعم السخط ، وانتشر القلق .. ولم يكن الادب الثائر الا هاديا في تلك المتاهات ، التي تحار فيها القطا ، ينير السبيل ، ويرسم الاتجاه .. ولم تكن مناسبة عيد العرش المجيد ، والتعلق برمز الوحدة وأمل الامة صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس نور الله ضريحه ، الا متنفسا للعواطف المكروبة المضغوطة ، وابراز هذا اللون من الادب الذي كانت الحماية تسمح به ، وانفها راغم ...

وهكذا ، فقد رسم هذا الادب معالم الطريق وسجل صور الكفاح الذي قام به الملك والشعب ، وابرز السمات التي امتاز بها عن غيره ، ولم يترك حدثا دقيقا او جليلا الا سجله مما لايزال محفوظا الى الان .

فادب العرش هو الذي دق ناقوس الخطر ، وايقظ النائمين ، وألهب الحماس ، ونبه المشاعر ، وفتق الوعي ، وعمق الشعور وفواه ، وقاد الجماهير الى باحات الشرف ، ووضع اصابع الامة على الخطر المحدق ، والداء العضال .

ولقد كانت خطب العرش التي كان ينثرها صاحب الجلالة مولانا محمد الخامس ـ طيب الله ثراه ـ على مسمع الدنيا ، ويستعرض فيها نشاطه وكفاحه ، ويلهب بها حماس الشعب ، سجلا للاحداث الجارية ، وادبا فذا رفيعا للثورة المغربية ، ضد المستعمر الغاشم ، من الطراز الممتاز ، تلهمه العزة ، وتمليه الكرامة ، اذ كان ـ رضي الله عنه ـ يصب في كلماته روحه الثائر الذي يزخر بطاقات ذات قوة خارقة تقع من القلوب الصادية موقع الانداء المنعشة في الارض الموات .

ولقد ادرك ـ رحمه الله ـ قيمة هذا الادب الثائر الذي يصدر في هذه المناسبات الفذة عن قلوب مكلومة برح بها الشوق والالتياع لليوم الموعود ، والحدث الخطير المنتظر ، فتهتز اريحيته ، فيرصد الجوائز الادبية ، ويقيم لها حفلات خاصة يحضرها اعلام الادب والفن ، علما منه ـ رضوان الله عليه ـ بان الادب هو الذي يعمق توعية الشعب ، ويفتح بصيرته .

ولقد درج مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله على سنن ابيه ، فشجع الادباء ، ورفد الشعراء ، ونفقت في ايامه سوق القلم ، وحييت بهديه امة ، واصطلح على عهده تاريخ :

وهل ينبت الخطي الا وشيجه ❊ وتغرس الا في منابتها النخل

فاذا ما احتفل الشعب اليوم بعيد تتويج مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني ادام الله عزه ونصره ، فانما يحتفل بعيد من اجل اعياده خطرا ، وابلغه في حياته اثرا ، وابلجه في نفسه دلالة ، وتاريخ حافل بالاعلاق والامجاد ، مليء بجلائل البطولات ، اينع فيه الغرس من اشلاء الضحايا ، فاصبح امة على وجه الدنيا تنشيء الحياة وتبني ....

وان الامة المغربية العريقة في المجد ، الراسخة في المدنية والحضارة التي بكرت تفصح عن وجدانها فاحتفلت بالذكرى الرابعة المجيدة لمولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني لتجدد العهد وتؤكده ، فتسير على النهج الذي يخطه جلالته الذي ادخره الله لحاضر البلاد ومستقبلها ، وتعاهد الله على طاعته وولائه في المنشط والمكره حتى يتحقق على يده رخاء العيش المطمئن .

نسأل الله ان يديم عصرك ، الذي اشرق اشراق الشمس ، واقبل اقبال الربيع ، ويعز عصرك ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا .

وان الله على نصركم لقدير

دعوة الحق



الحمد لله ،

والصلاة والسلام على رسول الله

اننا لنشعر فى هذا اليوم الاغر بعاطفة المسرة والابتهاج ونحن جميعا نحتفل بذكرى تربعنا على عرش اسلافنا المنعمين جريا على العادة المسنونة ورعيا للتقاليد المصونة ، نربط الماضي بالحاضر ، ونتطلع الى المستقبل الزاهر ، يغمر قلوبنا الايمان الراسخ بمصيرنا ويقوى عزمنا ، التجاوب العميق بينك وبيننا .

ومنذ اناط الله بنا عهدة شؤونك وتولينا تسيير امورك ، ونحن ننهج السياسة المثلى ، ونسلك المحجة القويمة التي رسمها لنا والدنا ، نحفظ عهدك ونرعى كرامتك ونحرص اشد ما يكون الحرص على مصالحك وحقوقك

ان الاحتفال بذكرى عيد العرش كان ولا يزال البرهان الساطع والدليل القاطع ، على ما تكنه لك من حب وعطف ، وما تكنه لنا من ولاء واخلاص اعربت عنه فى شتى الاحداث والمناسبات ، فكان بين مشاعرك ومشاعرنا ، وعواطفك وعواطفنا ذلك التجاوب القوي ، والتماسك المكين والوفاق الخالص المتين .

لقد ابت همة وحكمة والدنا المقدس رضوان الله عليه الا ان تجعل من يوم الذكرى عيدا قوميا تتجه فيه الهمم نحو المجد تبنيه ، والوطن تحميه ، والتاريخ تصنعه وتحليه سبيلها الى ذلك الاخلاص للبلاد ، والتعلق بالامجاد ، ووسيلتها العمل المتواتر ، والسعي المتوافر ، والجهد المتضافر .

وها نحن نعود فى يوم الذكرى لنلتقي على صعيد المحبة الصادقة والوطنية الحقة والوفاء المتبادل ، نحدثك عن السياسة المنتهجة ، والخطوات المتبعة ، وقد غمرت قلبك آيات الولاء والاخلاص ، وبدت على محياك مظاهر العزم والقوة ، وانارت سريرتك ، اشعاعات الايمان بحاضر سعيد ومستقبل مجيد ، تبذل فى سبيله قصارى جهودنا ، ونجند له كامل قوانا .

التصميم الثلاثي اعطى الاسبقية للمجالات التي نستطيع ان تؤتي جهودنا فيها احسن الثمرات .

الفلاحة ـ السياحة ـ تكوين الاطارات

ومنذ اناط الله بنا عهدة شؤونك ، وتولينا تسيير امورك ، ونحن ننهج السياسة المثلى ، ونسلك المحجة القويمة التي رسمها لنا والدنا ، نحفظ عهدك ، ونرعى كرامتك ، ونحرص اشد ما يكون الحرص على مصالحك وحقوقك اضطلاعا بمسؤولياتنا ، واداء لواجباتنا ، واخلاصا لشعب ولي وفي ، بر حفي لا ينثني لنا عزم ، ولا تهن لنا ارادة ، ولا تقف فى عضدنا العراقيل والصعاب ، نصل العمل الليل والنهار، لنبني صرح هذا الوطن ، وننسج خيوط تاريخه بعواطف المحبة المشتركة ، والاهداف الموحدة التي قامت على تقوى من الله ورضوان .

ولقد كان من أعز رغائبنا ورغائبك واغلى امانينا وامانيك ان يستند نظام الملكية الدستورية على اقوى الدعائم ويرتكز على امتن القواعد .

شعبي العزيز

لقد اعتدنا في مثل هذه المناسبة السعيدة ، ان نوجه اليك الخطاب ، دالين على اهم ما بذلنا من جهود، وحققنا من اعمال ، وقطعنا من اشواط في سبيل تقدمك ورقيك ، ورفع مستواك ، واعلاء قدرك .

هدفنا هو رفع شان هذا الوطن وبناء صرح نهوضه وازدهاره وتوفير السعادة والرخاء لابنائه وسدل أردية العدالة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، عليهم بدون تمييز

ولقد كان من اعز رغائبنا ورغائبك واغلى امانينا وامانيك ان يستند نظام الملكية الدستورية على اقوى الدعائم ويرتكز على امتن القواعد ، وانه لمما يملأ النفس فرحا وسرورا ، ويغمر القلب انشراحا وحبورا، ان نرى الديمقراطية التي اتخذناها للحكم نظاما ، وجعلناها للعمل اسلوبا ، تنمو غروسها ، وتترعرع افنانها في السنة الرابعة من عهدنا الميمون ، وتؤتي ثمارها المطلوبة وقطوفها المرغوبة ، ولما يمض على اقرارها نظاما للحكم في المغرب زمن طويل ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان الملكية الدستورية التي سعينا نحن وشعبنا الوفي لانشائها ، تنسجم تمام الانسجام مع تقاليدنا الاصيلة ، وطباعنا السليمة ، التي تهيم بالحرية والعدل والمساوات وتأبى نوع من انواع القهر والكبرياء فاضطلع البرلمان بمهامه وادى النواب والمستشارون واجبهم ، وساهموا باقتراحاتهم ، واستجواباتهم ، ومناقشاتهم في توجيه الحياة الوطنية ، وسير الشؤون العامة متبثين بذلك كله ان للحرية في هذه البلاد مدلولا حقيقيا ، وان الحوار الذي يدور بالبرلمان ليس حوارا سطحيا ، بل هو حوار عميق المقاصد ، بعيد الغايات ، يستهدف البحث عن الاصلح ، واقرار الانفع وتلبية مطامح الامة ، وتستهدي به حكومتنا في معالجة الاحوال وتصريف الامور ، وهذا ما قصدناه واردناه عندما سطرنا ابواب الدستور واقسامه ووضعنا فصوله واحكامه .

ومع ان السنة المنصرمة كانت بالنسبة لبرلماننا الفتي سنة تجربة وتمرين ، فلقد شهدت نشاطا ملحوظا وسعيا موفورا اذ مارس النواب والمستشارون مهامهم ممارسة دلت على مدى فهمهم لمهمتهم وتقديرهم لمسؤوليتهم واظهر الحوار والنقاش الذي يكتسي احيانا شيئا من الحدة رغبتهم الملحة في تحقيق اكثر ما يمكن من الخير لامتهم والتعجيل باصلاح اكثر ما يمكن اصلاحه من اجهزة الدولة ومرافق الحياة القومية بصفة عامة .. وكانت الرغائب التي اعربوا عنها ، والغايات التي حاولوا بلوغها تلتقي مع رغائب الحكومة واهدافها اذ ليس لملك هذه البلاد وشعبها وحكومتها الا هدف فريد وحيد هو دفع شان هذا الوطن وبناء صرح نهوضه وازدهاره وتوفير السعادة والرخاء لابنائه ، وسدل اردية العدالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بدون تمييز .

ولقد درس برلماننا الميزانية العامة وناقش ابوابها وفصولها مناقشة دقيقة فقبل منها ما بدا له ان يقبل ، وعدل منها ما اراد ان يعدل ، وقدم وزراؤنا لنواب المملكة ومستشاريها التوضيحات التي طلبوها ، واجابوا على الاسئلة التي طرحوها . وتقدم فريق من النواب بملتمس رقابة عرض بسياسة الحكومة وكانت المحاورات التي جرت بشانه على ما سادها احيانا من نقد لاذع دليلا جديدا على ما يتحلى به شعبنا من حكمة ورزانة ، وحجة بالغة ، على اعتدال طبعه ، واستواء مزاجه .

ولما نشأ الخلاف بين نوابنا حول مدلول الفصل الاربعين من الدستور المتعلق بالدورة الاستثنائية لجاوا الى حمانا متحاكمين ، لفض النزاع وحسم الخلاف استنادا على ما اناطه الدستور بنا من واجب السهر على احترام نصوصه وتنفيذ احكامه ، وبعدما رجعنا الى انفسنا واستفتينا ضميرنا وفقنا الله الى حسم الخلاف ، فامكن عقد الدورة الاستثنائية وكان رائدنا في ذلك صيانة الدستور وعدم تعطيل احكامه والمحافظة على حق من له الحق قل عدده او كثر ، وان مما تقر به العين ان نواب الاكثرية البرلمانية لم يجدوا في انفسهم حرجا من قضائنا وهل هم الا جزء من هذا الشعب الوفي الذي اعتاد الالتجاء الى حمى ملوكه ، والتسليم لاحكامهم ايمانا بعدلهم ، وثقة بتجردهم ويقينا في ايثارهم جانب الحق والصواب .

ولقد استعملت حكومتنا حقها في تقديم مشاريع القوانين الى البرلمان ، مثل ما استعمل النواب حقهم في تقديم مقترحات بها ، وكانت المشاريع والمقترحات كلتاهما تستهدف اما الزيادة في اسباب التحسن والاستقرار في الاوضاع المالية والاجهزة الادارية ، واما الزيادة في ابراز الشخصية القومية ، وتوفير الازدهار والرخاء بهذه البلاد .

وكان من الضروري ازاء تجاوز بعض موظفي الدولة حدود ما رسمنا لهم من السهر على مصالح المواطنين بروح الاستقامة والنزاهة وتلاعب بعض آخر منهم بالاموال العمومية واستغلال ما خول لهم من نفوذ ، ان نهيب بحكومتنا الى مقاومة هذه الافات الخطيرة ، فالتقت رغبة الامة برغبتنا فى هذا الصدد عندما صادق البرلمان على مشروع القانون الذي عرضته حكومتنا المتعلق باحداث محكمة تختص بزجر جرائم الرشوة والشطط فى ممارسة السلطة واستغلال النفوذ .

ومن اهم المنجزات البرلمانية فى هذه السنة ، المصادقة على القانون المتعلق بتوحيد القضاء ومغربته وتعريبه ، وكان صدور هذا القانون استرسالا للعمل الذي بداه والدنا المقدس منذ نحو عشر سنوات فغداة استرجاعنا لحريتنا واستقلالنا ، شرع ملكنا الراحل فى ادخال اصلاحات جذرية على الجهاز القضائي تناولت القوانين التي يحكم بها والرجال الذين يحكمون ففصل السلط وجدد القوانين وشرع فى توحيد المحاكم وانشأ المجلس الاعلى ، والمجلس الاعلى للقضاء ومنح القضاء سلكا اساسيا وكان القصد من ذلك كله توفير العدالة للمتقاضين وتقريبها منهم وتبسيطها لديهم من جهة وضمان استقلال القضاء واختيار الكفاة لتوليه من جهة اخرى ، علما منه قدس الله روحه ، ان العدل اساس الملك ومطية العمران وانفة من الظلم الذي حرمه الله على نفسه وعباده ، وسرنا نحن على هديه من بعده ، ولم نقف عند هذا الحد بل اكدنا تلك الاصلاحات واقررناها في الدستور الذي وضعناه وجعلناها من قواعده واحكامه ، وها نحن نوحد اليوم المحاكم العادية والمحاكم العصرية توحيدا يجعل مقاليد القضاء باسرها بين ايد مغربية ويحل العربية لغة البلاد الرسمية وحدها محل اللغات الاجنبية المستعملة فى المحاكم وذلك ما كنا نكد لبلوغه ونجد فيما نكون ونوفر من اطارات وطنية كفيلة بان تضطلع بالمهام التي ستسند اليها على الوجه الاكمل ، ونحن عازمون ، على ان يتم تطبيق هذا القانون فى الاجل المحدود ، مع المحافظة على سلامة الجهاز القضائي ومستوى القضاء بتوفير الكفايات لتسييره .

الحوار الذي يدور بالبرلمان ليس حوارا سطحيا بل هو حوار عميق المقاصد ، بعيد الغايات ، يستهدف البحث عن الاصلح واقرار الانفع وتلبية مطامح الامة ، وتستهدي به حكومتنا في معالجة الاحوال وتصريف الامور .

واذا كانت اعمال البرلمان فى السنة الاولى من حياته تبعث على الامل ، فلنا اليقين بأن نواب المملكة ومستشاريها سيواصلون دراسة القضايا المعروضة عليهم بما عهد فيهم من حكمة وتبصر ، وواقعية وتجرد ، ليبرهنوا بذلك على ان المغرب وجد طريقة ، وسط عالم تصطرع مذاهبه وتتلاطم مناهجه ، وما زال بعض شعوبه يبحث عن نفسه ، ويلتمس الى التنظيم والتقويم سبيلا ، وان من واجبنا كملك لهذه البلاد ان نحوط هذا الصرح الذي اقمناه بالرعاية ، ونتعهد غروسه بالعناية ، ونقيه من الاعاصير الهوجاء، والتيارات الجارفة ، حتى نضمن لبلدنا الاستقرار الذي لا يكون بدونه ازدهار اقتصادي ، ولا رقي اجتماعي ، ولا تصان كرامة لفرد ، ولا حقوق لجماعة وان مما يسهل قيامنا بهذا الواجب محافظة نواب المملكة ومستشاريها على صفاء القلوب وطهارة الضمائر واخلاص النيات .

شعبي العزيز :

لقد سبق لنا فى غير ما مناسبة ، ان عرفنا فى الداخل والخارج ، بمدلول الديمقراطية التي ننشدها ونتوخاها ، فاوضحنا ان الديمقراطية التي لاتستهدف الا وضع ورقة فى يد الناخب ، ومنح المواطن حقوقا مجردة هي ديمقراطية جوفاء لا تقوى على البقاء ولا تلبث ان ينفر منها الاتباع ، ويهجرها الانصار ، والمعنا الى ان الديمقراطية الحقة هي التي تستهدف تمتيع الافراد والجماعات بالحريات السياسية مثلما ترمي الى اقرار عدالة اجتماعية واقتصادية تصان فى ظلها كرامة الناس ، وتكفل لهم اسباب العيش الرغيد ، والامن والطمانينة .

ولهذا حرصنا قبل الدستور واثناء وضعه على اعطاء اعتبار مماثل للحريات السياسية والحقوق الاجتماعية ، والاقتصادية ، ليمكن للجهود ان تتضافر وللخطى ان تتوازى ، فيطمئن الفرد على حريته اطمئنانه على قوته وقوت اهله .

ولقد اصبحت الدول على اختلاف مذاهبها ، وتعدد مشاربها ، تلجأ الى وضع مخططات محكمة ، تنجز مستنيرة بها ، مهتدية بهديها من المشاريع فى مدة من الزمن محدودة ، ما تقضي الضرورة بانجازه ، وتدعو الحاجة الى تحقيقه سعيا منها وراء التنمية الاقتصادية الكفيلة بازدياد الدخل الفردي والوطني ورفع مستوى العيش والقضاء على البطالة ، ولم تكن لنغفل فى دستورنا هذا الاسلوب المجدي فى العمل ، فقد نص الدستور على انشاء مجلس اعلى للانعاش الوطني والتخطيط واسند اليه تحت رئاستنا مهمة وضع التخطيط الراسم للاهداف المرغوب فى ادراكها واناط به تحديد مبلغ النفقات اللازمة لانجازه ، وقد قدمنا فى شهر دجنبر الماضي ، الى هذا المجلس مشروع التخطيط الذي سهرنا على اعداده ، مراعين فى وضعه امكانياتنا وما يستلزم الاسبقية من مشاريعنا .

وقد تم اعداد المخطط الذي يستمر مفعوله مدة ثلاث سنين فى احوال مالية وظروف اقتصادية عصيبة ، فقد بعدت الشقة بين الانتاج والاستهلاك اذ لم يسجل الانتاج الداخلي ،خلال السنوات العشر الماضية الا ارتفاعا ضئيلا تبلغ نسبته السنوية 1,6 فى المائة بينما ازداد عدد السكان بمعدل 3 فى المائة كل سنة ، الشيء الذي اذا استمر يعرض مستوى عيش السكان للتقهقر ، والانحطاط . ومن جهة اخرى ارتفعت نفقات الدولة ارتفاعا كبيرا منذ استرجاع الاستقلال ولم تعد الموارد العمومية قادرة على مواجهة التكاليف ، كما عرفت اموالنا الخارجية منذ سنة 1962 نقصانا مستمرا وتضاءلت وسائلنا للاداء بالعملة الصعبة ، كل هذا جعل المخطط الثلاثي يتسم بطابع التقتير والتقشف ، وحدا الى اعطاء الاسبقية فيه للمجالات التي تستطيع جهودنا فيها ان تؤتي احسن الثمرات وتعجل بخلق ازدهار ينتظم جميع الاقاليم ولا يقتصر على ناحية معينة من البلاد .

ومن البديهي ان تكون الفلاحة فى طليعة ما يعنى به التخطيط لانها المورد الاساسي لعيش معظم المواطنين ولان تقدم البلاد وازدهار الصناعة خفيفة كانت او ثقيلة رهن بما يحصل فيها من تجديد وما تدره على الامة من انتاج وفير .

ولقد اصبحت تنمية الانتاج فى هذا المجال ضرورة حتمية لا تمليها فقط تقلبات الطقس التي تحدث احيانا خسائر جسيمة يترتب عنها بالتالي نقص فى المحصول بل عليها ايضا مواجهة الزيادة المضطردة فى عدد السكان التي تستلزم توفير الغذاء والشغل لمئات الالوف من النسمات تولد كل سنة . واننا لن نكتم شعبنا الذي ما تعود منا الا الصراحة ان منتوجنا الفلاحي الحالي لا يفي بالغذاء الضروري لمجموع السكان وان بلادنا التي كانت الى عهد قريب تصدر كمية وفيرة من محاصيلها الزراعية ، صارت اليوم مضطرة ان تستورد من القمح ما تدعو الحاجة اليه .

وتلافيا لهذه الحالة ، وسدا لهذه الخلة ، فان الاستثمارات الفلاحية ستوجه بمقتضى التصميم الثلاثي توجيها يرتفع معه الانتاج سواء فى المناطق التي تستفيد من السقي ، او المناطق الاخرى ، وقد اصدرنا تعليماتنا بان يتسع نشاط الانعاش الوطني فى المناطق التي لا تتوفر على وسائل السقي ، كما اصدرنا اوامرنا بان يصبح السلف الفلاحي عاملا من اهم العوامل على تشجيع الفلاح وتقوية انتاجه ورفع مدخوله ومستواه فاذا ارتفع هذا الدخل وهذا المستوى ، وتحققت التنمية الفلاحية التي حرصنا على ان تكون من اهدافنا المرموقة وغاياتنا المنشودة ، امكن للصناعة ان تستقر دعائمها وتتوطد اركانها بما سنكون قد حققناه للفلاح من قدرة شراء ويسرناه له من اسباب استيعاب واقتناء المنتوجات الصناعية .

وقد حظيت السياحة هي الاخرى بالاسبقية فى فى المخطط الثلاثي ، فلقد كانت بلادنا وما زالت ولله الحمد ، مقصدا للسائحين من مختلف الاقطار والامصار ، يفدون عليها لمن تتوفر عليه من مؤهلات طبيعية تستهوي السائح الذي ينشد الراحة والمتعة والاكتشاف والتسلية ، بيد ان من الضروري ان تتعزز هذه المؤهلات الطبيعية بتجهيزات تكفل للوافدين على بلادنا ما يرغبون فيه من ترفيه عن النفس وطيب مقام ، فاذا نحن كفلنا لهم ذلك ، وقرنا لهم ما يرغبون فى مشاهدته او اقتنائه وقابلناهم بما اثر عن المغاربة من كرم الضيافة وحسن الاستقبال ، وعززت جهود الموسرين منا جهود الحكومة فى تكثير المرافق السياحية ، فلن يلبث المغرب ان يستفيد من السياحة التي اصبحت ظاهرة عالمية ما تستفيده الاقطار السياحية الكبرى وتطير شهرته فى الافاق وتقوى صلات التعارف والتقارب بينه وبين غيره من الشعوب، ومنح التخطيط ايضا الاسبقية لتكوين الاطارات ، ادراكا لما لهذا التكوين من الاهمية ، واستجابة لما يتطلبه النمو المطرد وتضاعف الاحتياطات ورغبة فى تشييد صرح النهضة المنشودة وتسيير مرافق البلاد بايدي

مواطنين صالحين يتوفرون على الوان مختلفة من التكوين ، سواء في ذلك التكوين العام ، او التكوين الفني والمهني ، على انه لا خير لبلادنا في تكوين اطارات مقطوعة الصلة بما لنا من قيم ومقومات ، ولهذا اصدرنا اوامرنا بان يكون تعليم ابنائنا قائما على تلقينهم ما يجب ان يعرفه المغربي ، من تعاليم دينه ، وقواعد لغته وامجاد وطنه .

ومن اهم المنجزات البرلمانية في هذه السنة ، المصادقة على القانون المتعلق بتوحيد القضاء ومغربته وتعريبه ، وكان صدور هذا القانون استرسالا للعمل الذي بدأه والدنا المقدس منذ نحو عشر سنوات .

ايها الشعب العزيز :

لا يفهم من اعطاء الاسبقية لهذه المجالات في التخطيط ، ان الدولة حصرت العناية فيها وصرفت النظر عما سواها من المجالات، فالدولة ما زالت مصممة العزم على العناية بسائر الميادين منفردة بالعمل ، ومتعاونة تارة اخرى ، مع المؤسسات والافراد الراغبين في التعاون معها في هذا المضمار ومن هذه الميادين التي تشغل حظا وافرا من اهتمامنا ونشاطنا تصنيع البلاد اعتقادا منا بان الازدهار يستلزم من بين ما يستلزم تصنيعا يستجيب للحاجيات وييسر الشغل لليد العاملة وينمي الموارد الوطنية ، ويرفع بالتالي الدخل ومستوى العيش على اننا اذا كنا نعتبر التصنيع وسيلة من وسائل التطور الاقتصادي ، فان مما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام ، ان الدولة لا تنوي ان تنفرد وحدها بالتصنيع ، او تحتكر انجاز المشاريع ، لان معتقداتنا الدينية ، ونظمنا السياسية والاجتماعية ، والمحافظة على توازن الثروة القومية ، كل ذلك يقضي باحترام تصرفات الافراد والجماعات وصيانة ما لهم من اموال وممتلكات ، لذلك ترحب الدولة بالمبادرات الفردية ، وتشجع القطاع الخاص على ما يرغب في انجازه من اعمال مثمرة مفيدة ، ويكفي ان تكون المشاريع المرغوب في تحقيقها محكمة الوضع منسجمة مع مصلحة البلاد، ومتطلبات التنمية لتظفر من الدولة بالمعاضدة والتاييد والتشجيع .

مما تقر به العين ان نواب الاكثرية البرلمانية لم يجدوا في انفسهم حرجا من قضائنا وهل هم الا جزء من هذا الشعب الوفي الذي اعتاد الالتجاء الى حمى ملوكه .. والتسليم لاحكامهم ايمانا بعدلهم وثقة بتجردهم ويقينا في ايثارهم جانب الحق والصواب .

وستواصل الدولة اعمالها بشان التجهيزات الاساسية التي هي دعامة الاقتصاد مطية النهوض والعمران ، كشق الطرق وتعهدها ، وتجهيز المراسي والمطارات والسكك الحديدية، وتوسعة شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية وتقوية الطاقة الكهربائية ، متممة ما بدأته ، او محدثة ما لم يكن منها محدثا ، مما تدعو التنمية الى انشائه ، مولية الاسبقية للمشاريع ذات الفائدة المحققة ، والدخل الثابت متجنبة كل مشروع عديم الفائدة او بعيدها مبتعدة عن كل عمل من اعمال التعاظم او التهريج .

شعبي العزيز

ان رخاء بلادنا وازدهارها في مختلف الميادين ورفاهية شعبنا ، كل هذا لا يمكن ان يتحقق بتحقيق المشاريع في مخطط بلغ ما بلغ من الدقة والاحكام ، اذ كل مشروع يهدف الى تحقيق غاية من هذه الغايات يتطلب رصيدا من المال كفيلا بانجازه وجعله محقق الفائدة ، حسن العائدة وليس يخاف عليكم ان امكانياتنا لتمويل ما نود تمويله من هذه المشاريع ، قليلة ضعيفة ، لا تفي باقلها شأنا - ولا غنى لنا عن طرق ابواب المنظمات الدولية ، ومؤسسات السلف لتمتين ما رسمناه من خطة واخذنا انفسنا بتحقيقه وانجازه ، وليس في هذا من غضاضة علينا ، فقد سبقنا الى هذا الميدان ، من هو اقل مناحاجة واوسع منا مقدرات وامكانيات بيد انه يتعين علينا ان تتم المشاريع التي نلتمس تمويلها عن طريق المساعدة والسلف بطابع الجد ، وان تكون الفائدة المطلوبة من ورائها لا جدال في قيمتها ولا شك فيما ينشأ عنها من ازدهار ، وتخلفه من رفاهية ، على انه يتعين علينا فوق هذا كله ان يتصف تسييرنا وتدبيرنا لشؤون الدولة اية ما كانت مرافقها ، بصفات الحزم والجد والقصد ، اجتنابا لكل تبذير وتلافيا لكل ازمة ، واستدرارا للوسائل الحالية اللازمة ، وقد اصطدمنا كما اصطدم غيرنا بصعوبات منها ما هو ناشىء عن تحرير

سيادة البلاد ، وارتفاع التكاليف الناجمة عن الاستقلال ومنها ما هو ناتج عن قلة الكفاءة ، وضعف الخبرة ، فراينا والحالة هذه ان نتولى بنفسنا معالجتها ووضع حد لما كان من المتوقع ان تؤول اليه من استفحال ، فاصدرنا اوامرنا باتخاذ التدابير الصارمة للتقليل من الانفاق الذي لا تدعو اليه حاجة ماسة ، وقد اخذت هذه التدابير تؤتي ثمارها ، وتسفر عن نتائج وان كانت تسر من جهة ، فانها غير كافية من جهة اخرى ، ويتعين علينا ان نلاحق ما بذلنا من جهود ، وفرضنا على نفسنا من فروض لنصل الى الهدف الذي توخينا بلوغه وادراكه ، ولهذا فان من آكد واجباتنا كامة تسير في طريق النمو ، وتتطلع الى حل ما يستتبعه هذا النمو من مشاكل ، ان نتغلب على ما يعترض سبيلنا من عقبات ، بصدق في العزيمة وقوة في في الارادة ، وتجرد واستقامة ومراعاة للصالح العام فعلينا ان نعمل جميعا حيث ما كنا في ميدان العمل وان نضاعف الجهود لخلق الازدهار ، الكفيل بسد حاجياتنا المتصاعدة ولايجاد الشغل للمواطنين الذين يزداد عددهم سنة بعد سنة ، وعلينا ان نسعى السعي المحمود لاستثمار امكانياتنا ومقدراتنا استثمارا لا يوفر لنا ولذوينا القوت اليومي فحسب ، ولكنه يخلق الثروة والغنى لنا ولمن يخلفنا من اجيال .

شعبي العزيز

اذا كانت تلك بعض مظاهر النشاط الذي نبذيه في الداخل والوان السياسة التي ننهجها فيه فان عناية مماثلة واهتماما متواصلا اوليا الميدان الخارجي بغية دعم مركز المغرب الدولي واحلاله المكانة اللائقة به بين الشعوب وانك لتعلم اننا ننهج منذ استرجاعنا للاستقلال في هذا الميدان سياسة واضحة المعالم قويمة المبادىء بينة وتتلخص الاسس والاركان التي تقوم عليها هذه السياسة او ترمي اليها في المحافظة على السيادة الوطنية واستكمال الوحدة الترابية والدفاع عن حوزة البلاد والتعامل مع الدول بروح الثقة والود على اساس المساواة والوفاء بالعهود والالتزامات واجتناب التدخل فيما لغيرنا من شؤون داخلية وفض المشاكل بالوسائل السليمة وعن طريق المفاوضات وعلى ضوء هذه المبادىء التي اصبحت ميثاقا لسياستنا الخارجية والطابع الذي تتسم به زاولنا ما زاولنا من اعمال ، على الصعيد الدولي فلقد اسهم المغرب في اطار منظمة الامم المتحدة اسهاما فعالا في معالجة وحل المشاكل المستعصية التي كانت مطروحة امامها وقام بدور ايجابي في مجلس الامن الذي انتخب عضوا فيه فتميزت مواقفه بالحكمة والتبصر استنادا الى المبادىء القارة لسياستنا الخارجية وكانت هذه المواقف عاملا على ابراز شخصية المغرب في نطاق الاسرة الدولية ونال المغرب ثقة مجلس الامن وتقديره الامر الذي حمل المجلس بعينه عضوا في اللجنة المكلفة بوضع تقرير عن الحالة في افريقيا الجنوبية وتقديم اقتراحات لحل الميز العنصري كما اسند اليه رئاسة المنبثقة عنه والمكلفة بالحالة الخطيرة التي نشبت بين الكامبودج والفيتنام الجنوبية ، ولم تكن مشاركة المغرب في المنظمات التابعة للامم المتحدة اقل فعالية من مشاركته في المنظمات ذاتها مثل اليونسكو الذي انتخب عميد جامعة محمد الخامس رئيسا للجنتها التنفيذية الشيء الذي يدل على ما يحظى به بلدنا من عطف وتقدير .

وفي جامعة الدول العربية واصل المغرب سياسته الرامية الى دعم هذه المؤسسة التي تضم العرب كما واصل مشاركته في الجهود المبذولة من اجل تصفية الجو العربي وعودة الوئام بين الشعوب العربية وتقوية التضامن بين قياداتها وقام المغرب في المؤتمرات العربية بدور فعال في هذا السبيل ، ولم يتوان في مساندة قضية فلسطين العربية وتأييد حقوق شعبها ، وانه ليسرنا ان ينعقد مؤتمر القمة العربي المقبل في المغرب ونرحب بالذين سيشاركون فيه سلفا .

وبما ان المغرب قطرا افريقي يعنيه ما يعني سائر الاقطار الافريقية من قضايا وشؤون فانه واصل نشاطه في حظيرة المنظمات الافريقية المنبثقة عن ايمان قارتنا العميق بجدوى تكتيل الجهود وتوحيد الصف للنهوض بشؤوننا واخراجها من حالة التقدم والرقي وحضرنا بنفسنا في مؤتمر القمة الافريقي الذي انعقد بالقاهرة مغتنمين الفرصة السانحة لتجديد الاتصال والتعرف على كثير من رؤساء دول قارتنا والتذاكر معهم في القضايا التي تهم افريقيا بالدرجة الاولى مثل تصفية الاستعمار ومخلفاته وقطع دابر الميز العنصري لان ذلك شرط اساسي لانطلاق افريقيا نحو التقدم والرخاء وتحقيق ما تطمح اليه شعوبها من وحدة تنتظم بها الصفوف ويلتئم الشمل وتشاد صروح العز والمجد . وفي نطاق نشاطنا الافريقي لبينا دعوة صديقنا الرئيس ليوبولد سنغور لزيارة جمهورية السينغال زيارة اكدت روابط الاخوة التي تربط

الشعبين المغربي والسينغالي واسفرت على عقد اتفاقيات تطبع تضامنهما وتعاونهما بطابع ايجابي واذا كنا مؤمنين بما لقيام الوحدة الافريقية من فعالية وجدوى فاننا نعتقد ان قيام الوحدات الاقليمية في قارتنا خير سبيل لتحقيق الوحدة الشاملة واختصار المراحل الضرورية للوصول اليها ، وهذا ما يجعلنا علاوة على الروابط الخاصة التي تربط اقطار المغرب العربي نولي عناية فائقة لقضية تشييد المغرب العربي الذي تتوق اليها شعوبنا في الشمال الافريقي .

وفي هذا النطاق لبينا دعوة اخينا فخامة الرئيس السيد بورقيبة لزيارة الجمهورية التونسية ، حيث اتيحت لنا الفرصة لتبادل الراي مع فخامته في سائر الميادين التي تهم علاقات بلدينا والميادين التي تستأثر باهتمامنا معا ، واسفرت هذه الزيارة عن عقد اتفاقيات نعتبرها اساسا مهما من اسس تشييد المغرب العربي وقد اقترحنا في خطاب القيناه امام مجلس الامة التونسي عقد اجتماع يضم الاقطاب المغاربة الاربعة ، للبحث عن احسن الوسائل لاخراج الفكرة الى حيز الوجود ، وتخطيط سياسة محكمة رشيدة ، تلتزمها الاقطار المغربية في تعاملها مع الخارج ، وفي بعضها البعض .

وفي طريق عودتنا من تونس عرجنا على باريس واجتمعنا بصديقنا فخامة الجنرال دوكول رئيس الجمهورية الفرنسية الذي تربطنا واياه صداقة خاصة ، وتباحثنا في القضايا التي تهم البلدين ودار الحوار بيننا في جو من الصراحة والثقة ، ايقنا معه بعمق المودة التي تربط الشعبين المغربي والفرنسي ، وان كان التغلب على المصاعب التي تبدو في الافق احيانا دون ان يكون لها تأثير على علاقاتنا المرضية التي يرغب كلا الطرفين في تعزيزها ، وتوسيعها لخير البلدين ، كما لبينا في الشهر الماضي دعوة كريمة من صديقنا الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية . فقمنا برحلة خاصة الى اسبانيا مكنتنا من الاجتماع بفخامته وسمحت لنا ان نتبادل واياه وجهات النظر في كثير من المشاكل والقضايا التي تشغل بال شعبينا الصديقين المتجاورين ، وسجلنا واياه بمزيد الارتياح تحسن العلاقات بين بلدينا واستحكام روابط المودة والتعاون بينهما في شتى المجالات .

واننا لنعتزم القيام في القريب العاجل بزيارات رسمية الى بعض الاقطار الصديقة رائدنا في هذه الزيارات والاتصالات ، توطيد علائق المغرب باصدقائه ، واحلاله المكان اللائق به على الصعيد الدولي ، وخدمة السلم والحضارة والثقافة والدعوة للتقارب والتعاون المثمر النزيه بين الدول والحكومات والشعوب .

شعبي العزيز

هذه الجهود التي بذلناها وصرفناها والاعمال التي زاولناها وباشرناها خلال السنة المنصرمة اوردناها بايجاز واختصار وسقناها مقتصرين على ابرز ميادين نشاطنا ومساعينا ، مكتفين بالقليل الذي يدل على الكثير والنزر اليسير الذي يهدي الى الجم الوفير ، ولو عرضنا عليك الجليل والصغير من شؤون مملكتنا التي استرعت انتباهنا واستأثرت بالحظ الاوسع من اهتمامنا وعنايتنا ، لادركت مدى فهمنا لاداء الواجب الملقى على عاتقنا ولتبينت فوق كل ذلك قوة الاصرة التي تصلنا بك ولعلمت ان الوشائج التي تجمع بيننا وبينك والروابط التي تربطنا واياك وشائج عريقة وثيقة وروابط متينة مكينة يكمن فيها سر ما نجد في نفسنا من قوة واستعداد للسعي في اسعادك والعمل على اصلاح احوالك وايثارك بالسهر والحدب والسعي والطلب مستهينين بما نلقى في سبيل ذلك من تعب ونصب ، فلقد انصرفت جهودنا الى تحقيق ما راينا في تحقيقه الفائدة لبلادنا والخير لشعبنا ، لم ننقطع عن العمل المثمر البناء ولم نحد عن المحجة البيضاء لم تهن لنا ارادة ولم ينثن لنا عزم مستلهمين من الله فيما نأتي ونذر الهداية والرشاد والصواب والسداد متوخين بلوغ الاهداف التي رسمناها والغايات التي اوضحناها وسلوك المسالك التي آثرناها بعد استعمال الروية والتفكير واختيار احسن سبل التسيير والتدبير سواء في ذلك ما يتصل بشؤوننا الداخلية او ما له مساس بشؤوننا الخارجية وقد حبانا الله في توفيقه وتسديده وتأييده وتعضيده فاستوجب منا في كل آونة وحين الشكر الجميل والحمد الجزيل وسنواصل المساعي والجهود ونوالي السير الحثيث والعمل المعهود رغبة منا في استكمال ما بدأناه وحرصا منا على استنفاد كل وسيلة من شأنها ان تيسر بلوغ المرام وتسهل الوصول الى ما نتوق اليه باستمرار من عزيز المقاصد وسني الاهداف .

ويضمنه هذا الاتحاد من تعاون بين مختلف الكفايات وتعدد المواهب علىما يعود على الامة جمعاء بالفضل الكريم والخير العميم ولذا ندعو الى تحقيق هذه الوحدة وانجاز اجتماع الكلمة وتوحيد الصفوف لاننا نعتقد ان هذه هي انجع الطرق واجداها لحماية المكاسب الوطنية والسير قدما بالبلاد نحو ما نبتغيه لها من عز ورفاهية .

والله نسأل ان يهدي الامم والشعوب الى ما فيه صلاحها ويوفقها الى الصراط المستقيم ويضفي عليها نعمة الامن والطمأنينة ويسبغ عليها الوية الوئام والسلام كما نسأله جل وعلا ان يديم بيننا وبينك ما سعدت به بلادنا عبر القرون منذ اعتلاء آبائنا واجدادنا المقدسين عرش وطننا العزيز استمرار كيان الدولة ومناعة حوزتها وسببا من التئام بين الشعب ومكلكه الذي كان سببا من اسباب رفع شأنها واعلاء قدرها بين الامم والدول ومنه نلتمس جل وعلا ان يلهمنا جميعا مزيدا من التوفيق والسداد ويشد ازرنا ويوطد خطانا وينجح اعمالنا ومساعينا ويمد اسباب الحضارة بين قاصي الامة ودانيها حتى يكون غدها احسن من يومها ومستقبلها احسن من حاضرها نفتخر بها ونباهي ونعتز ونضاهي .

شعبي العزيز

ان من اعظم ما تتجه اليه رغائبنا وتطمح اليه نفسنا ان تجتمع الكلمة وتتحد الصفوف اتحادا يجعل منها صفا واحدا وطيد الاركان ثابت البنيان لا تنال منه الاهواء وان عظمت ، ولا تعصف به النوازع وان اشتدت وقويت ولئن كانت هذه الرغائب والمطامح مما تنطوي عليه القلوب فان ملككم الساهر على مصالح شعبه الحامي لحمى امته الواعي بحكم ما هو مقلد به من رعاية لها ، لما يجز بها من امور ويضنيها من شؤون ان ملككم اشدكم احساسا بضرورة اجتماع الكلمة واقواكم ايمانا بوجوب وحدة الصف واكثركم اقتناعا لما يكلفه هذا الاجتماع وحتى تكون خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتومن بالله .

والى الله نبتهل في الختام ان يتغمد والدنا منقذ الامة ومحرر البلاد جلالة الملك محمد الخامس ان يتغمده الله برحمته ورضوانه ويسبل عليه شآبيب فضله ورضوانه ويوفيه اجر العاملين المخلصين ويبوئه رفيع الدرجات في اعلى عليين سلام عليكم بما صبرتم فنعم اجر العاملين .

والسلام عليكم ورحمة الله

دراسات إسلامية

واجب الشباب المسلم اليوم

للأستاذ: أبو الأعلى المودودي

(هذه محاضرة القاها الاستاذ ابو الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية في باكستان ، امام جمع من الشباب الاسلامي في مسجد الدهلوي بمكة المكرمة ايام الحج عام 1381) وقد توصلنا بها في الايام الاخيرة ، فاحببنا ان نقدمها لقراء مجلة ((دعوة الحق)) تعميما للفائدة ...

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه اجمعين . وبعد ، اخواني الكرام ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يسرني في هذه اللحظة المباركة التعبير عن عظيم شكري وغبطتي بهذه الفرصة السعيدة التي اتيحت لي اليوم لان القي كلمتي المتواضعة امام مجموعة طيبة من الشباب المؤمن المخلص الذين جاءوا الى هذا البلد الامين من كل فج عميق ليذكروا اسم الله في ايام معلومات وليشهدوا منافع لهم ، وبتعبير اشمل لحضور اجتماع المؤتمر الاسلامي السنوي الكبير . والهدف من كلمتي هذه هو احاطة الشباب المؤمن علما بمنهاج الدعوة الاسلامية الذي تقتضيه الظروف الحاضرة في العالم الاسلامي . وساتنهز هذه الفرصة الثمينة لاخراج كل ما يضمره قلبي ويخفيه صدري ، لتكونوا على بصيرة تامة ومعرفة دقيقة بالوضع الراهن في البلاد الاسلامية ، ثم تبادروا الى اللجوء الى كل وسيلة تصلح – الى حد علمي – لاعادة المياه الى مجاريها ، بكل حكمة وتبصر وجراءة وصمود . واذا وجدتم ، ايها الاخوان ، في كلمتي هذه ما ترون فيه نفعا للاسلام والمسلمين فاسمعوا وعوا وليبلغ الشاهد الغائب ، لعلني لا اجد في المستقبل مثل هذه الفرصة السعيدة ، في مثل هذه الايام المباركة ، في مثل هذا المقام الكريم . وادعو الله تعالى ان يوفقني واياكم لما فيه مرضاته وان يجعل كل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم .

ايها الاخوة الكرام ... ان الامر الذي يجب عليكم ان تعلموه قبل كل شيء هو ان العالم الاسلامي ينقسم الى قسمين : قسم ، المسلمون فيه اقلية وازمة الحكم فيه بايدي غيرهم . وقسم ، المسلمون فيه اغلبية وهم الذين يقومون فيه بحكم انفسهم .

ومما لا جدال فيه ان القسم الثاني من هذين القسمين هو اكثر اهمية من القسم الاول بحكم الطبيعة ، اذ ان مصير المسلمين في الدنيا يتوقف في ازدهاره او اضمحلاله ، الى حد كبير ، على ما يختاره القسم الثاني من المنهاج في حياته الاجتماعية . ولا انكر ما للقسم الاول من الاهمية والمكانة في حد ذاته ، بل اقيم له وزنه . وذلك لان مجرد وجود المؤمنين بفكرة وعقيدة ونظام للحياة في سائر انحاء العالم ، بحيث يتجاوز عددهم آلافا مؤلفة ليكون اكبر وسيلة واقوى عامل لتشجيع الذين يؤمنون بتلك الفكرة والعقيدة والنظام للحياة فعلا ويرفعون لواءها . الا انه من الظاهر البين ان تلك العقيدة وتلك الفكرة وتلك الدعوة اذا صارت مغلوبة الشان ومهانة المكانة في عقر دارها فان المؤمنين بها المتفرقين في شتى بقاع العالم لن تقلهم الارض ولن تظلهم السماء الى اجل غير مسمى والى امد غير قصير ... ولذلك لا نكون مخطئين اذا قلنا : ان المصير الذي ستلقاه الامة الاسلامية في الدنيا انما هو نفس المصير الذي ستواجهه البلاد الاسلامية التي تتسع رقعتها من اندونيسيا والملايو شرقا الى مراكش ونيجيريا غربا . هذا هو منطق الفكر وهذا هو ما تشير اليه الاسباب الظاهرة . اما ان كان هنالك من الحوادث الخارقة للعادة ما يتوارى عن عيوننا ولكن الحكمة الالهية والقدرة الربانية تريد الاتيان به فليس ذلك من المستبعد عقلا والمستحيل وقوعا ، لان الله تعالى قادر على ان يفجر الانهار من الاحجار الصم ويبدل الصحاري القاحلة الجرداء حدائق جميلة غناء ريانة في لمح البصر . وسبحان من بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير .

فبناء على ما فرضنا آنفا بصدد مستقبل الامة الاسلامية حيث قلنا : ان مستقبلها مرتبط في خيره او شره بمستقبل البلاد الاسلامية ، نستعرض الآن : ما هي الاوضاع التي تسود اليوم

البلاد الاسلامية ؟ وما هي اسبابها ودواعيها ؟ وما هو المنهاج الذي ينبغي ان يسلكه العاملون للاسلام فيها ؟ .

مما لا يخفى عليكم ، ايها الاخوان ، ان البلاد الاسلامية قد وقعت في براثن الاستعمار آخر الامر ، بعد ان بقيت مصابة الى مدة غير يسيرة بالتدهور الفكري ، والجمود العقلي ، والانهيار الخلقي ، والاضطراب السياسي . وكان الاستعمار قد القى عصاه في البلاد الاسلامية في القرن الثامن عشر للميلاد ، وبلغ اوجه في اوائل القرن الحاضر ، حيث قد سيطر على البلاد الاسلامية كلها ما عدا النزر اليسير الذي بقي بمنجاة من الاستعباد المباشر للمستعمرين . الا ان الهزائم تلو الهزائم التي اصابته قد جعلته لا يختلف في ذله واستكانته عما آل اليه امر من حوله من البلاد الاسلامية ، بل صار اكثر شعورا بالنقص واشد ذعرا من الذي سلبه الاستعمار حريته سلبا كليا .

وان من اقطع النتائج التي انتهينا اليها على يد الاستعمار الغربي هو ما ترديناً فيه من الانهزام الفكري والانحلال الخلقي والتبعية الثقافية للغرب .

ايها الاخوة الكرام ... ان المستعمرين الغربيين لو سلبوا اموالنا سلبا ونهبوا ثرواتنا المادية نهبا وقتلونا تقتيلا وابادوا اولادنا عن بكرة ابيهم ودمروا بيوتنا تدميرا لما كان هذا الظلم اشنع نوعا ، واشد قسوة ، وافدح نتيجة ، من الظلم الذي اقترفوه نحونا ببث سموم حضارتهم المادية وثقافتهم الالحادية ، واخلاقهم المتهارة في مجتمعنا . وكان من سياستهم الاستعمارية ، انه كلما تمت لهم السيطرة والانتصار في قطر من الاقطار الاسلامية قضوا على نظامنا التعليمي والتربوي نهائيا — ان امكن لهم — او جعلوا المتخرجين منه من سقط المتاع وشيئا لا مقام له الا في سلة المهملات . كما انهم ، حسب خطتهم المدروسة لم يدعوا للغات الشعوب المسلمة المنهزمة مكانتها المرموقة بل طردوها من دوائر التعليم والتربية ولم يبقوها اداة لادارة الحكومة ، واقاموا على انقاضها صرح لغتهم وجعلوها هي الاخرى اداة التعليم وادارة الحكومة . وطبق هذه الخطة السيئة في البلاد الاسلامية جميع الفاتحين الغربيين ، من الهولنديين والانجليز الى الفرنسيين والايطاليين وكأنهم كانوا على اتفاق فيما بينهم في هذا الشأن .

ثم ان المستعمرين الغربيين انشأوا في الشعوب الاسلامية ، طبقا لخطتهم المرسومة ، جيلا جديدا يجهل الاسلام بمعظم تعاليمه السامية وعقائده الاساسية وشرائعه السمحاء وتاريخه المجيد وتقاليده الذهبية من ناحية ، ومن ناحية اخرى قد صيغ من جهة عقليته واسلوب تفكيره ونظره الى طبائع الاشياء في القوالب الغربية المادية . ثم بدأت تتولد من هذا الجيل المتفرنج اجيال متعاقبة كان كل لاحق منها ابعد تمسكا بالاسلام من سابقه ، واكثر اندفاعا وراء الحضارة المادية واشد شغفا بالثقافة الغربية واخلص ايمانا بفلسفة الغرب للحياة الانسانية . وقد بلغ هؤلاء من الانهزام الفكري مبلغه حيث عادوا يعتبرون التحدث بلغتهم القومية وصمة عار في جبينهم بينما يعتبرون التحدث بلغة الفاتحين مفخرة من المفاخر . وكان جبين احدهم يندى بسبب كونه فردا من افراد المسلمين بينما المستعمرون كانوا متعصبين لدينهم المسيحي ومعتزين باعتناقه . وكذلك كان المتفرنجون من المسلمين يفتخرون بمروقهم عن الدين واستهتارهم باحكامه ويكيدون لتقاليدهم الذهبية كل سبة ويعتبرون كل ذلك وسيلة لازدياد كرامتهم وعلو مكانتهم وارتفاع شانهم في المجتمع بينما احتفظ الفاتحون الغربيون بكرامة تقاليدهم البالية المبتذلة واعتصموا بحبل عقيدتهم الواهية . ان الفاتحين لم يرضوا ولا ليوم واحد التزي بازياء المسلمين وانتهاج طرازهم للحياة العامة — رغم بقائهم في البلاد الاسلامية مدى حياة احدهم — . اما القوم المتفرنجون فحدث عنهم ولا حرج ، انهم ما ادخروا جهدا في تقليد الغربيين في كل صغير وكبير من اساليبهم في الاكل والشرب الى عاداتهم للنهوض والقعود . واخيرا قد دخلوا كل جحر دخله الغربيون — رغم كونهم في بلادهم وفي بيئتهم وبين بني جلدتهم — وليت الامر وقف عند هذا الحد . ولكنهم ، اندفاعا وراء سنن الغربيين واقتفاء لكل اثر من آثارهم ، قد نهلوا من سموم افكارهم المادية والالحادية — كالعصبيات الجاهلية والاباحة الخلقية والمجون والخلاعة — حتى الثمالة . وقد رسخ في اذهانهم ان كل ما يجيء من الغرب حق وصواب ، والايمان به واجب ، والعمل بمقتضاه من امارات التقدمية ، والاعراض عنه تخلف ورجعية وحماقة وسفاهة . الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون .

ايها الاخوة الاحباء ... كان من خطط الاستعمار المدروسة عند المسلمين ان كل من كان منهم يحوز قصب السبق في اصطباغه بالصبغة الغربية وابتعاده عن السمات الاسلامية يحوز المكانة المرموقة في المجتمع والدوائر الرسمية ، المدنية منها والعسكرية . كما اصبحت لامثال هؤلاء الناس الاهمية كل الاهمية في الميادين السياسية والمجالات الاجتماعية ، ثم هم الذين تزعموا الحركات السياسية وهم الذين وقع عليهم الاختيار للتمثيل في المجالس النيابية ... وختام القول انهم هم الذين كان قد خلا لهم الجو في الحياة الاجتماعية فباضوا فيها وافرخوا .

ثم ان البلاد الاسلامية لما رفعت فيها حركات التحرير رأسها كان من المحتوم بحكم الطبيعة ان ترجع ازمة زعامتها الى ايديهم ، اذ انهم هم الذين كانوا مضطلعين بلغة القوم وعارفين بطبيعتهم بسبب كونهم اقرب الناس اليهم . فلذلك لما بدأت البلاد الاسلامية ينكمش فيها ظل الاستعمار وتحطم فيها اغلاله وتتمتع بالاستقلال والحرية انتقلت اليهم ازمة الحكم وسلطات الحل والعقد . فصاروا خلفاء المستعمرين في الارض .

ان لتاريخ الاستعمار منذ توغله في البلاد الاسلامية الى توليه عنها وبداية عهد الاستقلال والحرية عدة نواح ، لا بد لنا ان نضعها امام اعيننا خلال دراستنا للاوضاع الراهنة في البلاد الاسلامية ، اذ لا يمكننا دراسة تلك الاوضاع وتحليلها بكل دقة بعد صرف النظر عن تلك النواحي . فهاكم بعضها :

الاولى : ان المستعمرين لم يتمكنوا من ازاحة عامة المسلمين من طريق الاسلام طول مدة استيلائهم على البلاد الاسلامية على رغم جهودهم في هذا الغرض . لا شك ان المستعمرين قد اطبقوا عليهم الجهل وعكروا صفو اخلاقهم الزكية ونفذوا فيهم قوانينهم المستوردة بدلا من احكام الاسلام ، وجعلوهم متعودين على حياة غير اسلامية . الا انهم ما استطاعوا اثارتهم ضد الاسلام وتعاليمه . والدليل على ذلك هو ان عامة المسلمين حتى الساعة ما زالوا مولعين بالاسلام ، كما كانوا في الماضي ، وستجدهم مؤمنين به من صميم قلوبهم واخلاص في نيتهم وصدق في عزيمتهم ، حيث لا يرضون بدونه دينا ولا نظاما للحياة ، مع انهم لا يعرفونه كل المعرفة ولا يتفقهون في احكامه وتعاليمه . ولا جدال في ان اخلاقهم قد انهارت وعاداتهم قد ساءت واذواقهم قد فسدت الا انهم لم تتبدل لديهم مقاييس القيم للاخلاق . نعم .. من الممكن ان يأكلوا الربا ويقترفوا الزنا ويتعاطوا الخمور ، بل وهم يفعلون كل ذلك فعلا ، الا انك لا تجد فيهم من يؤمن بحلة هذه المحرمات ما عدا الشرذمة القليلة من المتفرنجين الذين احلوا ما حرم الله وحرموا ما احله الله . ان عامة المسلمين لم يعتبروا الرقص والغناء والسهرات بالملاهي والفجور من اهل الثقافة وصميم الحضارة ــ وان لم يستطيعوا ترك الاستلذاذ بها وتثاقلوا الى الارض عند ما دعوا الى تزكية انفسهم ــ كما انهم ما زالوا يعيشون خلفا عن سلف تحت القوانين الغربية ، ولكنهم لم يرسخ في اذهانهم ان هذه القوانين في شيء من الحق والصحة وان قوانين الاسلام قد اكل عليها الدهر وشرب ، ولم تعد تصلح لمسايرة العصر الحاضر . ان الاقلية القليلة من المفتتنين بالحضارة الغربية قد اخذوا ببريقها وآمنوا بالقوانين الغربية والنظم الوضعية الا ان عامة المسلمين لا يؤمنون الا بالاسلام ولا يطالبون الا بتطبيق قوانينه في بلادهم .

الثانية : ان رجال الدين في البلاد الاسلامية لهم احتكاك مستمر بعامة المسلمين ومخالطة دائمة معهم ، في افراحهم واتراحهم ، حيث لا يتكلمون الا بما يتكلم به عامة المسلمين ولا يفتون الا بما يعتقدونه من دين ... الا ان هؤلاء الناس ــ اي العلماء ــ بحكم بقائهم مبعدين عن ازمة الحكم منعزلين عن مزاولة الشؤون السياسية والاجتماعية ، الى امد غير يسير لم يعودوا يصلحون لتوجيه المسلمين من ناحية السياسة . ولهذا السبب نفسه ما استطاعوا التربع على مناصب الزعامة لحركات الكفاح والتحرير التي قامت في السنوات الاخيرة في كل قطر من الاقطار الاسلامية الواقعة تحت نير الاستعمار . كما انهم لم يتمكنوا في عهد الاستقلال من الاسهام المباشر في ادارة الدولة . وان مهمتهم في حياتنا الاجتماعية الحاضرة لا تعدو وظيفة (الفرملة) في جهاز السيارة حيث يحاولون ، الى حد ما ، دون سرعة سيارة الحياة الاجتماعية . غير ان هذه (الفرملة) قد تكسرت في بعض الاقطار الاسلامية . اما السائق ــ وهو الفئة الحاكمة المولعة بالغرب ــ فقد يهوي بها الى الدرك الاسفل ، بسرعة مدهشة ، ومع ذلك انه يظن انه يعرج بها الى الجهة العليا ويحسب انه يحسن بذلك صنعا .

الثالثة : ان الحركات التحريرية التي قامت في الاقطار الاسلامية وان كان يتولى قيادتها الفئة المتفرنجة ، الا انه من الجدير بالذكر انها لم تستطع تحريك عامة المسلمين وتشحيذ هممهم واذكاء مشاعرهم لدفعهم وراء حركاتهم وجعلهم يستميتون فيها الا باسم الدين وباسم استعادة المجد الاسلامي ، فلم يدخروا وسعا في مناشدة الشعوب الاسلامية باسم الله ورسوله ، ومن اثبات دعوتهم صراعا بين الاسلام والكفر ، استمالة قلوبهم لدعوتهم وتحريضا لهم على افراغ جهدهم وبذل مهجهم في سبيلها . وذلك ، لانهم ما رأوا نجاحهم في اشراك المسلمين في ركبهم وحثهم على استجابة دعوتهم واتباع خطواتهم والانضواء تحت لوائهم بدون الالتجاء الى هذه الوسيلة الناجحة .

ومن ادهى الدواهي وافجع الكوارث انه لما تحقق لهم المقصود ، وتم للبلاد استقلالها نبذوا عهودهم وراء ظهورهم وتناسوا كل ما كانوا يدلون به من التصريحات والبيانات اثناء معركة التحرير ، بل الاسلام كان اول ضحية لخياناتهم بعد الاستقلال ــ ذلك الاسلام الذي باسمه كانت هذه الفئة تقيم الدنيا وتقعدها ، وبفضله تكللت معاركهم بالنجاح . اليس هذا ــ ايها الاخوان ــ من أكبر الخيانات التي شوهدت في تاريخ الاسلام ، واعظم اكذوبة ظهرت في مضمار السياسة ، وابشع انحراف رأته عين السماء .

لمثل هذا يذوب القلب من كمد

ان كان في القلب اسلام وايمان

الرابعة : الاخيرة ... ان الاستقلال الذي حصل للبلاد الاسلامية ، تحت زعامة هذه الفئة وبجهود عامة المسلمين ، انما هو استقلال سياسي فقط . وانما الفرق كل الفرق بين الاستعمار الغابر والاستقلال الحاضر هو يتلخص في ان السيطرة التي كانت للاجانب فيما مضى اصبح يتمتع بها الاقارب في الحاضر . حيث لا اختلاف بينهما ، في ميولهما واتجاهاتهما وفلسفتهما للاخلاق والاجتماع والاقتصاد ، كما ان موقفهما من الاسلام متقارب ، حتى ان الاسس التي وضعها المستعمرون لنظام التعليم والتربية تحقيقا لمصالحهم الخاصة لا يزال يأخذ بها المستعمرون الجدد ، وان القوانين التي وضعها المستعمرون الاجانب لا تزال تطبق ، بل اضف الى هذا ان التشريع الجديد لا يزال ينتهج نفس المنهج الذي كان ينتهجه في عهد الاجانب ، من جهة اسسه وفكرته ونظمه . وزاد الطين بلة ان الاحوال

الشخصية التي لم يقدر الاجانب من التعرض لها ، نرى الآن محاولات مشؤومة للقضاء عليها او ادخال التعديلات عليها باسم التقدم ومسايرة الحاجات العصرية ، في عهد الاستقلال ... عهد الاستعمار الجديد .

اما الحضارة الغربية والاسس الخلقية المادية ، التي خلفها المستعمرون الغربيون بعد مغادرتهم البلاد الاسلامية ، فهؤلاء المتفرنجون من المسلمين لا يعضون عليها بالنواجذ فحسب ، بل قد شمروا عن ساق جدهم لتعويد شعوبهم عليها اكثر مما تعودت عليها في عهد الاستعمار . ان هؤلاء المساكين لا يقدرون ان يتصوروا نظاما للحياة الاجتماعية لا تقوم على اسس القومية والوطنية وما الى ذلك من النظم الحديثة وقد انتهى بهم الامر الى انهم شتتوا شمل المسلمين باسم القومية ومزقوا جمعهم وفرقوا كلمتهم باسم الوحدة القومية فجعلوهم يقتل بعضهم بعضا ورأ كل قويهم ضعيفهم كل ذلك باسم القومية . كما قد بلغ الالحاد من اذهانهم مبلغه واشربوا في قلوبهم العلمانية ، وعادوا ينتهزون كل فرصة سانحة لافساد الجيل الحاضر وتعكير صفو اخلاقه ودينه والانحراف به عن جادة الاسلام وتعاليمه ، بل وتشجيعه على الاستهتار بالعقائد الاسلامية من البعث والنشور والجنة والنار والثواب والعقاب . ونشطوا في اشاعة الاباحية ـ التي هم منغمسون فيها الى آذانهم ـ تحت اشرافهم ورعايتهم تحت ستار الاصلاح والحرية الفردية والتقدم وتنوير الرأي العــام .

ان الذي لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان هو ان هؤلاء المتفرنجين مهما ناصبوا للاستعمار الغربي عداءهم ، ومهما اثاروا ضده الضجات . الا ان المستعمرين احب لديهم من كل شيء . بدليل ان كل بادرة من بوادر الغرب تاخذ بمجامع قلوبهم وكل ظاهرة من ظواهره تبهر عيونهم وكل ما ياتي اليهم من الغرب يعتبرونه مقياسا للحق ومعيارا للتقدم ، ويقلدونه في كل صغير وكبير مستطر وغير مستطر ، مع الفارق ان الغرب مجتهد فيما يعمل وهم مقلدون لا رأي لديهم ولا تفكير ، وان الغرب يهلك عن بينة وهم يهلكون عن عمى . خسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

ايها الاخوة الكرام ...

ان هذه النواحي التي عرضتها عليكم يمكنكم في ضوئها دراسة الاوضاع الراهنة في البلاد الاسلامية على اكمل وجه ويسهل عليكم معرفة موطن الداء فيها ووصف الدواء له .

الا ترون ان جميع الحكومات الاسلامية في الدنيا قد طرأ عليها الوهن وتغلغل فيها الضعف وصارت كأنها خشب مسندة . فما السبب في ذلك ؟ انما السبب الوحيد في ذلك هو انها تعارض ضمائر المسلمين وعواطفهم وعقائدهم ... يريد المسلمون الرجوع الى الاسلام وشريعته السمحة ونظامه المحكم بينما الحكومات ترغمهم على الاستمساك باذيال الغرب والالتحاق بمعسكره . ومن نتائج هذا الصراع المستمر ان عامة المسلمين لا يسايرون حكوماتهم بقلوبهم . ومن الواضح منطقيا وواقعيا ان اية دولة لا يمكن ان يتوفر لها اسباب القوة والسلطان وعوامل الرقي والنهوض اذا كانت حكومتها في واد وشعبها في واد آخر لا يتكاتفان في تحقيق مطالب الرقي واسباب الوصول الى ذروة المجد : لا الحكومة بأيديها الامينة وتصرفاتها الصحيحة ولا الشعب بقلبه النابض وعزيمته الصادقة . واذا كان الامر كذلك ـ وكان الصراع على قدم وساق بين الحكومة والشعب او بين الايدي والقلوب اذا صح هذا التعبير ـ فمن المحال البتة ان تخطوا الحكومة خطوة الى الامام وتتقدم البلاد ولو قيد شعرة . لان سائر الجهود والطاقات بسبب هذا الصراع الداخلي تذهب ادراج الرياح وتصير هباءا منثورا .

ومن جراء هذا الوضع المؤلم ، الذي بينته لكم آنفا ، فان البلاد الاسلامية لا تزال تصيبها كوارث الدكتاتوريات . واذا سبرت غور هذه الكوارث يتبين لك : ان الفئة المتفرنجة التي جعلها المستعمر خلفاءه في البلاد تعلم علم اليقين بان الحكم اذا قام على اساس الانتخاب العام فان زمامه لن يبقى في ايديها الخائنة الى مدة طويلة ، بل سينتقل عاجلا او آجلا الى الذين يطالبون باقامة نظام الحكم على ما يختاره الشعب من عقيدة وما يحمله من فكرة وما يرثه من مقدسات . فنظرا لذلك فان هذه الفئة لا تسمح للقيم الديمقراطية ان تظهر ولا تدعها تكتمل وتسير سيرها الطبيعي ، بل هي تبادر الى فرض الحكم الدكتاتوري محل النظام الديمقراطي . ولكنها تسمي دكتاتوريتها باسم الديمقراطية لخدع الناس واظهار نفسها بمظهر انصار الديمقراطية . وهم في الحقيقة لايخدعون الا انفسهم وما يشعــرون .

وكانت هذه الدكتاتوريات قام بها في بداية الامر الزعماء السياسيون من الفئة المتفرنجة ثم تطورت الامور تطورها الطبيعي وسارت الاشياء الى طريقها المحتوم وتنبهت الجيوش في البلاد الاسلامية لحقيقة القضية ورأت ان النظام الدكتاتوري لا يقوم الا على اكتافها وتنفيذ مخططه لا يتم الا بسلاحها فجاء هذا الشعور بالضباط العسكريين من معسكراتهم وثكناتهم الى ميادين السياسة وبدأوا يحيكون خيوط المؤامرة لقلب نظام الحكم وبدأوا يفرضون على الشعب الدكتاتارية العسكرية بدلا من الدكتاتورية السياسية بعد ازاحة الزعماء السياسيين من الحكم والزج بهم في السجون او تحديد اقامتهم في دورهم . وها نحن اولاء نرى اليوم ان الجيوش في البلاد الاسلامية صارت بلاء على شعوبها وآفة في حق بلادها ولم تعد وظيفتها الدفاع عن الوطن وجهاد الاعداء بل صار شغلها الشاغل فتح بلاد نفسها عنوة . واستعملت ، لذلك الغرض ، نفس السلاح الذي سلمه الشعب المسكين للدفاع عنه وحمايته ، وسيلة لاستعباده واخضاعه . وها قد اتى على البلاد الاسلامية حين من الدهر لا تحل فيه قضاياها الخطيرة ومشاكلها الشائكة في البرلمان والمجالس النيابية وبالانتخاب العام او الاستفتاء الشعبي بل تحل في

المعسكرات وبالدبابات والمدمات والرشاشات . وان تعجب فعجب ان الجيوش ايضا لا تتفق كلمتها على زعيم واحد او قائد بعينه بل ينتهز كل ضابط من الضباط فرصة لتمهيد السبيل لفرض دكتاتوريته والاستبداد بكرسي الحكم بعد تحطيم غيره . ومن المضحكات المبكيات انه اذا تم لواحد منهم السيطرة على البلاد فهو يعتبر ضالة الشعب ومنقذ الشعب والزعيم الاوحد ورجل الساعة حتى اذا واجه مصيره المحتوم اصبح اكبر خائن والد اعداء الشعب . اما الشعوب الاسلامية فشأنها اليوم شان الدمى في ايدي الاطفال لا دخل لها في شان من شؤون بلادها .

والامر الوحيد الذي يتفق عليه كل من الدكتاتوريين السياسيين والعسكريين مع تضارب مصالحهم واختلاف اغراضهم هو انه كلما اتيحت لاحد منهم الفرصة لسيطرة على البلاد واستخدام وسائلها لم يتأخر في بث سموم الالحاد والفجور واطلاق سراح الدعاة الى الخلاعة والمجون ليلعبوا دورهم في طمس معالم الفضيلة وصرف الشباب عن الاهداف السامية في الاخلاق وعن الدين الى متعة العيش والشهوة الدنيئة .

ايها الاخوة الكرام ....

ان هناك بارقة امل ، في هذا الظلام الحالك تلمع في ضوئها حقيقتان : اولاهما ، ان الله تعالى اذاق انصار الالحاد والفسوق ودعاة الاباحية والمجون وبال امرهم فالبسهم شيعا يذيق بعضهم باس بعض . وهذا من فضل الله على الامة (ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) اذ لو انهم كانوا يرمون عن قوس واحدة لاصبحوا للامة الاسلامية داء عضالا لا علاج له . ولكنهم اتخذوا الشيطان وليهم . وان كيد الشيطان كان ضعيفا .

ثانيهما : ان قلوب عامة المسلمين لا ينقصها التحمس للدين والفضيلة ولا يروقهم ما يقوم به الزعماء والقادة المصطنعون من عملية الهدم والتخريب . وان هناك لشواهد تدل على انه اذا قامت جماعة راشدة تتوفر فيها شروط الاهلية والكفاءة للقيام بدور الزعامة والتوجيه في جانب ، وفي الجانب الآخر تكون على ايمان راسخ بالاسلام وعلى عقيدة قوية بمبادئه وعلى عزيمة صادقة للتضحية بكل غال ورخيص في سبيله . فلا شك ان هذه الجماعة هي التي سيؤول اليها زمام الشعوب الاسلامية آخر الامر ، وهي التي سيكتب الله لها الانتصار في المعركة الفاصلة بين الحق والباطل ، وهي التي ستتولى تطهير تلك الشعوب من ادناس الالحاد والفسق والفجور وترجع بها الى ما كانت عليه في القرون الماضية من الفضيلة والسعادة والرفاهية (ولا تيأسوا من روح الله ، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) .

ويهمني ، في ختام كلمتي ، ان اذكر للشباب المؤمن ، ولا سيما المثقفين منهم ثقافة عصرية ، الامور التي يجب عليهم الاخذ بها للقيام بالعمل الجدي للاسلام في الظروف الحاضرة .

اولا : لا بد لكم ، قبل كل شيء ، من معرفة دقيقة بحقيقة الاسلام ، لتكونوا مسلمين علما وتفكيرا كما انتم مسلمون قلبا وعاطفة ، ولتكونوا على قسط كبير من القدرة الكافية والكفاءة اللازمة لتسيير الشؤون الاجتماعية في العصر الحاضر وفقا لاحكام الاسلام ومصالحه وقواعده .

ثانيا : عليكم ان تبادروا الى تقويم ما اعوج واصلاح ما فسد من اخلاقكم وعاداتكم حتى تشهدوا بذلك شهادة عملية للاسلام الذي شهدتموه من قبل شهادة قولية ولتعلموا بان التناقض في قول الانسان وعمله يزرع بذور النفاق في القلوب ويزيل ثقة الناس به . وان نجاحكم ليتوقف على الاخلاص في النية والصدق في العزيمة ، وعلى ان توافق اعمالكم اقوالكم - ان الرجل الذي يقول ما لا يفعل انما يضر بدعوته اكبر ضرر . (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) .

ثالثا : ان لا تدخروا جهدا في بذل كل ما تستطيعون من قوة فكرية وعملية اودعها الله اياكم في سبيل الدعوة بالكتابة والخطابة ، وان تقوموا بدراسة اسس الحضارة الغربية وانتقادها وتمييز خبيثها من طيبها حتى تحرروا بذلك عقول المسلمين وقلوبهم من التبعية للغرب ، وحتى تحطموا اصنام النظريات الغربية التي استحوذت على قلوب جماعة من المسلمين من زمن طويل . هذا في جانب ، وفي الجانب الآخر عليكم ان تقوموا بتدوين وعرض قوانين الاسلام للحياة الانسانية بطريقة علمية ترغم الجيل الجديد على الاعتقاد بصحة هذه القوانين وتقنعه بان نظام الاسلام من شانه انه اذا اخذ به شعب من شعوب العالم لا يتقدم فحسب ، بل يسبق الآخرين في كل ناحية من نواحي الحياة . ان هذا العمل بقدر ما يتسع نطاقه ويتجه الى خطوط مستقيمة يزداد عدد العاملين للدعوة الاسلامية وانصارها والمتأثرين بها في كل شعبة من شعب الحياة . ولا بد من اطالة هذا العمل لمدة غير يسيرة حتى ياتي على الدعوة يوم ينضوي تحت لوائها مجموعة كبيرة من المؤمنين بها ، الذين نحتاج اليهم لتشييد صرح البلاد على دعائم النظام الاسلامي . من العبث ان نتوقع انقلابا اسلاميا شاملا قبل ان تسبقه عملية الاعداد والتحضير . واذا حصل ، بطريقة صناعية وبدون اعداد كامل فلن يدوم ولن تتأصل له في الارض جذور .

رابعا : ان تضموا الى اسرتكم كل من يتأثر بدعوتكم الاسلامية ، وتكونوا منهم جماعة قوية ذات نظام متين ودستور محكم حتى لا يمكن للضعف والخور ان ياخذا الى صفوفها سبيلا . ان مجرد تكوين جماعة من الناس الذين ابدوا اتفاقهم على مبدأ معين دون تنظيم دقيق محكم يقوم امره على السمع والطاعة عمل مبتور لا يجدي بشيء — هذا ما تؤكده التجارب الماضية ، ولا ينبئكم مثل خبير .

خامسا : عليكم ان تهتموا كذلك بنشر الدعوة بين صفوف العوام حتى تبددوا ظلام جهلهم وتجعلوهم على بينة من امر دينهم ، وحتى يتبين لهم الخبيث من الطيب . كما يجب

عليكم ان تهتموا باصلاح اخلاقهم ورفع مستوى تفكيرهم ووعيهم الاسلامي ليقفوا سدا منيعا في وجه السيل العارم من الالحاد والفسوق الذي ينتشر بسرعة في البلاد الاسلامية بمساعدة وتشجيع من حكوماتها الفاسدة . وذلك لان الشعوب التي الهتها شهواتها وملذاتها لا يمكنها ان تكون ارضا طيبة لان تقوم فيها دولة اسلامية ، ولانه بقدر ما تفشو الميوعة وتنتشر الخلاعة بين بين عامة الناس يصبح من المستحيل اقامة نظام اسلامي فيهم . وان الكذابين والخونة والفسقة والفجرة قدر ما يصلحون لنظام كافر لا يصلحون لنظام اسلامي .

سادسا . لا تحاولوا اقامة نظام اسلامي على اسس غير سليمة وعلى دعائم ضعيفة وقواعد متزلزلة ، بل يجب عليكم الصبر في هذا الشان ، لان الاهداف التي نريد تحقيقها انما هي اهداف ضخمة كبيرة تهدف الى تصحيح القيم الانسانية في افهام الناس والى اعادتهم الى حظيرة الاسلام بعد الردة التي هم عليها منذ زمان طويل . ومثل هذا العمل الجليل يحتاج الى مثابرة ومصابرة والى تفكير عميق . كما انه يجب عليكم ان تخطوا كل خطوة بحساب وبحكمة وتبصر ، ولا تخطوا خطوة جديدة الا بعد ان تراجعوا نتائج خطواتكم السابقة وتدرسوا ثمارها : هل هي سارت في الطريق المرسوم وهل جاءتكم بالنتائج المرجوة ، ومن الشاهد المسلم ان الاستعجال امر غير مامون العاقبة . فاشتراكنا – مثلا – في وزارة غير صحيحة وغير مؤمنة بمبادئنا ، على رجاء ان مشاركتنا فيها خطوة تقربنا الى غاياتنا لامر خاطيء لان التجارب العلمية تؤكد بان مثل هذا العمل لا تجنى منه الثمار الطيبة ، اذ ان الذين يسيطرون على الحكم هم الذين يتولون رسم سياستهم الداخلية والخارجية ويقومون بتنفيذها حسب ما توحي اليهم مصالحهم واهواؤهم . واما الذين يشاركونهم بغية تحقيق الاهداف النبيلة التي يضعونها نصب اعينهم ، لا بد لهم من مسايرتهم . ومعنى ذلك انهم يصبحون آخر الامر ابواقا لهم وآلة في ايديهم يفعلون بهم ما يشاؤون ويستغلونهم كما يريدون .

ايها الاخوة الكرام ...

اود ان اوجه اليكم نصيحة ، في الختام ، وهي : ان لا تقوموا بعمل جمعيات سرية لتحقيق الاهداف ، وان تتحاشوا عن استخدام العنف والحرب والسلاح لتغيير الاوضاع ، لان هذا الطريق ايضا نوع من الاستعجال ، الذي لا يجدي بشيء ، ومحاولة للوصول الى الغاية باقصر طريق . ان هذا الطريق اسوأ عاقبة واكثر ضررا من كل صورة اخرى . وان الانقلاب الصحيح السليم قد حصل في الماضي – وسيحصل كذلك في المستقبل – بعمل علني ونشاط واضح وضوح الشمس في رابعة النهار . فعليكم ان تنشروا دعوتكم علنا وتقوموا باصلاح قلوب الناس وعقولهم على اوسع النطاق وتسخروا الناس لغاياتكم المثلى بسلاح من الخلق العذب والشمائل الكريمة والسلوك الحسن والموعظة الحسنة والحكمة البالغة ، وان تواجهوا كل ما يقابلكم من المحن والشدائد مواجهة الابطال . هذا هو الطريق الذي سيمكننا من عمل انقلاب عميق الجذور راسخ الاس قوي الدعائم كبير النفع في حق هذه الامة المسكينة ومثل هذا الانقلاب لا يمكن لاي قوة معادية ان تقف في وجهه . واقول ان هذه الامة لا يصلح آخرها الا بما صلح به اولها . اما اذا استعجلتم في الامر وقمتم بعمل الانقلاب بوسائل العنف ، ثم نجحتم في هذا الشان الى حد ما ، فسيكون مثله كمثل الهواء الذي دخل من الباب ليخرج من النافذة . هذه هي النصيحة التي احببت توجيهها لكل من يقوم بامر الدعوة الاسلامية . وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد . واقول كما قال الشاعر :

فدت نفسي وما ملكت يميني
فوارس صدقوا فيهم ظنوني

واسأل الله تعالى ان يسدد خطانا ويلهمنا السداد والرشاد ويوفقنا لاعلاء كلمته بالطريق الذي يرتضيه لنا . انه نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

اســلام عمــر

ويوم اسلمت عز الحق ، وارتفعت عن كاهل الدين اثقال يعانيها

حافــظ ابراهيــم

اسلامه للدين كان عزا رنح عطف المصطفى وهزا

شــوقــي

ثقافة القرآن ثقافة عالمية

للأستاذ : التهامي الوزاني : عميد كلية أصول الدين

الاستاذ الكبير السيد التهامي الوزاني عميد كلية اصول الدين بتطوان ، له عدة مؤلفات تاريخية واجتماعية ، وله نظرياته ، وافكاره الخاصة .

والبحث الذي يلم باطرافه فى موضوع « عالمية الثقافة القرآنية » قد ابتعد فى بعض جوانبه عن النظريات المعروفة سواء فى احتمال نبوة افلاطون وارسطو ، واضرابهما او فى استعمال القرآن لمنطق ارسطو بذاته ، وفى كون ذي القرنين المذكور فى القرآن هو الاسكندر المقدوني او كون الحكمة المذكورة فى القرآن هي حكمة الاغريق أو غير ذلك من نظرياته القابلة للبحث .

واذا كانت الحقيقة بنت البحث كما يقولون ، فان مجلة : « دعوة الحق » على استعداد لنشر ما يرد عليها فى موضوع عالمية الثقافة القرآنية ساير الاستاذ الكبير الوزاني او خالفه مع شكرها للجميع ..

من الناس من يولدون ويكبرون ويقضون الاعمار المتادة او الطويلة . ومع ذلك فانهم لم يتمتعوا بمعرفة جوانب البيئات التي عاشوا بين احضانها ، شأنهم شان الحمار يحمل اسفارا يتناول المهتدي سفرا منها فيتوجه بمعرفة ما اشتمل عليه الى الوجهة التي خلقه الله ليتوجه اليها ، اما الحمار فمهمته تنتهي بكونه حاملا اسفارا ينقلها من وجهة الى وجهة . ومن آتاه الله الوعي فقد آتاه خيرا كثيرا ، وقد امرنا الله عز وجل بصورة غير مباشرة بان ننعم النظر فيما خلقه في سماواته واراضيه ، فقال منددا باقوام ضاقت عقولهم وعجزوا عن مسايرة سنن الله في خلقه فقال جل من قائل (وفي انفسكم افلا تبصرون ؟) قال هذا حينما كان المشركون يطلبون ان يروا المعجزات والخوارق للعادات . واولى الناس بالتفكر المؤمنون واولاهم بذلك النبيئون والمرسلون . وليس من الحق ان نضع حدود مفاهيم القرآن الكريم حيث وصل بها المفسرون القدماء وكذلك المحدثون فان المفسرين انما فسروا القرآن داخل حدودهم الضيقة وايام عزلتهم عن بقية اطراف العالم . اما اليوم وقد اتصلت حلقات سلسلة الخليقة واصبحت الدنيا متقاربة المكان والزمان والتفكير واصبحت لنا الوسائل التي تمكننا ان توسع نطاق افكارنا الى الحد الذي وصلته الساعة ؛ دون ان تدعي ان هذه هي النهاية ، فانما نحن في وسط الطريق ، لسنا ندري ماذا قطعناه منها ولا ما بقي امام البشرية ان تقطعه ، ولنا ان نسجل معطياتنا ومكاسبنا في هذه المرحلة الحلوة التي نقطعها . وانما نحن ادركنا الفرق بين حاضرنا وماضينا لاننا عشنا في الماضي وكانت ثقافتنا طيلة السنين العشرين الاولى من حياتنا كلها ماخوذة عن الانتاج المتاثر الى اقصى الحدود بثقافة القرون الوسطى . فلما هاجمتنا اوربا وغزت بلادنا واحتلت افكارنا ووجهت وعينا ، مثل ما اخذتنا معارفها وحضارتها فاذا بنا نتحول من امة معصوبة العينين الى امة سميعة بصيرة ، ودفعنا الاعجاب بالجديد ـ بالنسبة الينا ـ الى ان نكتشف ان العالم كان موجودا قبل الاسلام ، وان الاسلام نفسه احالنا في ترغيب وترهيب على ان نسير في الارض لننظر ماذا انتجه الاقدمون ، وما كانت

تصرفاتهم ، وما بلغوه من المجد والشموخ ، وكيف كانت عاقبة الذين من قبلنا كنتيجة للنهج الذي انتهجوه في تاريخهم ان خيرا فخير وان شرا فشر . واختلفت قراءتنا للقرآن هذا اليوم عما كنا نقرؤه في ربيع عمرنا ، فاذا اخذنا نقرا عن تاريخ الاقدمين ثم نتلو بعد ذلك اورادنا القرآنية نجد تقاربا شديدا بين ماضي البشرية وحاضرها ، وأن ما كنا نعده بعدا بين حضارة الاغريق والرومان ومن سبقهما من البابليين والاشوريين والاقباط والفنيقيين والعبريين وبين الحضارة القرآنية الإسلامية لم يكن له من وجود الا في ثنايا عقولنا الضيقة ، والا فان القرآن يمثل الدرة الغالية وسط عقد اللؤلؤ المكنون الحضاري . وقلما فكرنا في النماذج الانسانية الشاملة التي يرددها القرآن الكريم .

وكان البعض منا يحسب ان القرآن لم يعرف الا ما اشتملت عليه التوراة والانجيل وغاب عنا ان نفكر في ذي القرنين ، فانه اغريقي يوناني مقدوني ، فهذا الملك العظيم الذي قاد الامة الاغريقية الى ارقى امجادها التاريخية رقيا كان ثمرة لما بذله من جهود في سبيل العلوم والفنون ، وما بنته من حضارة جذرية قررت الاطار العام للحضارات التي اتت بعدها . ليس ذو القرنين سوى الاسكندر الاكبر المقدوني . فهذا الملك الذي اثنى عليه الحق بقوله (انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا) ونوه القرآن باعماله الاصلاحية في حماية الامم المتحضرة من جاهلية رحل الاسيويين المسمين في التوراة جوج وماجوج ، وفي القرآن ياجوج وماجوج لهو عرض لمظهر نبيل من مظاهر الحضارة اليونانية . وكان له ابن خالة — حسبما ذكره المفسرون — وهو الذي رحل اليه للاخذ عنه موسى وفتاه يوشع بن نوح عليهم السلام وقال الله في ذلك (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) والقرآن الكريم بهذا العرض النزيه يفهمنا ان البشرية ليست بين ابعاضها فواصل ولا حواجز ، ولا طبقات ، فهذا موسى عاهل العبرانيين ومن اولي العزم من الرسل ، يرحل لملاقاة رجل اغريقي ، لياخذ عنه علما لايعلمه . وهذا هو التعليم الصحيح في اعلى مستوياته ونقل لنا القرآن الكريم بعض تصرفات الخضر الاغريقي عليه السلام واصبح في التاريخ الاسلامي شيخ مشايخ المسلمين ، ومشعل الصوفية بسلوكه وهديه صفحات من المجد والكرامة. ولسنا الآن في معرض تحليل الجزئيات ، وانما قصدنا ان نثبت اعتراف الاسلام بفضائل الحضارات القديمة والاعتناء ببعض فروعها ، وهي التي تناسب الاسلوب القرآني الذي يتناول الشؤون من ناحية عرض امجد الاعمال ، وامجد الاشخاص ، وهنالك شخص ثالث يوناني يسميه القرآن (لقمان) ونقل لنا القرآن بعض وصاياه لابنه واعتبرناها عناصر اساسية في التربية الاسلامية . فلنعلم الان انها وصايا يونانية اقرها الاسلام بنفس القيمة التي كانت لها في امة الاغريق . وصورة الحج الاسلامي لاتختلف كثيرا عن مواسم الاغريق في زيارتهم (الاكربول) وانما لم لم ينفذ الحكم على سقراط في الوقت المحدد ، لانه كان في الاشهر الحرم التي كان اليونانيون يحرمون فيها ازهاق النفوس . واذا قال الله سبحانه (وان من امة الا خلا فيها نذير) فانه يعني من بين هذه الامم اليونان . وهذا يونس عليه السلام وهو ذو النون كان من (نينوى) وهي قرية في صميم العالم اليوناني الواسع القديم وسماه القرآن نبيا ، ولكن اليونانيين لم يسموه بهذا الاسم حيث كانت لهم دول غير الدول السامية ، فكانوا يسمون رجالاتهم حكماء ، وكانوا يسمونهم ابطالا ولم تكن النبوة بمعناها السامي معروفة لديهم ، رغم انهم كانوا يعرفون الدانة والكهانة ، والسحر ، لكن هذه المراتب كانت وثنية ، اما الموحدون فكان لهم عالمهم ، ولهم فلاسفتهم ، يدافعون عن الافكار الصالحة ، وكانت الطبقات الممتازة منهم ذات ديانات خاصة تختلف عن الديانات الشعبية ، ومن ذلك عقيدة التوحيد وما اجدر افلاطون وارسططالس واضرابهما ان يكونوا انبياء ورسلا . لكن العالم اليوناني الحكيم لم يكن يقبل النبوآت بالصورة التي كانت عليها في بوادي بابل حيث عاش ابراهيم عليه السلام ، ووجه الفكر السامي توجيها ساميا له طابعه النبيل ، اما الرسالات في العوالم المتحضرة الاخرى من مصرية وبابلية واشورية فكانت الحكمة والحجة وهي التي مهدت الطريق النصرانية لما اخذت بين طرفي الثقافتين السامية والآرية . وذكر القرآن الكريم الفنيقيين حيث خاطبهم رسولهم بقوله (اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين) ونوه القرآن بالسفن والمواخر ، وما كانت الرواسي في البحر كالاعلام من سفن امم البحر الاحمر ، وانما كانت سفنا اغريقية ورومانية وفنيقية ، ذلك لان القرآن يرى في البشر انهم بنوا رجل واحد ، وانهم متجاورون متبادلون للمنافع ، ولم يعترف بغير الفارق العقدي . ان القرآن لايعيش في عزلة وانما البسه حلتها رجال صالحون كانوا في عزلة فنظروا

القرآن بمنظارها وقد تدهشهم بعض التعابير القرآنية لانها في صميم خضم الحياة البشرية العامة فقد قراوا قول الله (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) فاما الكتاب فقد عرفوه وهو الحي واما الحكمة فاختلفوا فيها لانهم غفلوا عن دراسة نفسياتهم وما اصطفت به من انتمائها الى عالم الكتاب . ولو ساروا على طرق التفصيل وانتقوا من تاريخ الحضارة اساليبها لما عسر عليهم ان يجدوا المفهوم الاجتماعي لعبارة الحكمة . ذلك ان العالم باعتبار الهداية والعمل الصالح يقسم الى عالم الكتاب وعلى راسه بنو اسرائيل ؛ والى عالم الحكمة وعلى راسه الامم اليونانية . فلما نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء قرآنا جامعا بين الكتاب والحكمة باعتبار ان الامرين معا تراث انساني ؛ للمسلمين ان يستفيدوا من احدهما كما يستفيدون من الآخر . وبحسب النظرة السطحية يبدو ان القرآن اخذ من عالم الكتاب ـ بني اسرائيل ـ اكثر مما اخذ من عالم الحكمة ـ اليونان ـ وليس الامر كذلك بل الكفتان متساويتان ، فقد نقل القرآن لنا من الحكمة ما لا يقل عما اخذه من الكتاب مع الزيادات القيمة والتعليقات الموجهة والتعديلات القويمة « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم » فحيثما كانت الحسنى اخذ بها القرآن الكريم ومثل ما هيمن على الكتاب هيمن على الحكمة ؛ فاستعمل المحاورات السقراطية في نحو قوله سبحانه (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) والمنطق الارسطاطاليسي في مثل قوله (ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والارض) ومثل لنا جانبا من ترف الرومانيين حين قال : (ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا) وتأمل في قوله سبحانه (وسررا عليها يتكئون) وتذكر ان مجالس لهو الرومان كانت ذات اسرة فخمة يشرب عليها المترف ويداعب القيان ؛ ونرى في هذه المعجزة العظمى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علما بانه عليه الصلاة والسلام لم يطلع على هذه المجالس ولا يمكن ان يحدثه بتلك البطاصيل احد ممن عرفهم فبقى الامر وحيا صرفا . وفي هذه الآية مزيج من الثقافات بحيث علم ان التمدد على الاسرة في مجامع اللهو كان شأن الارستقراطية الرومانية ؛ عرف الى جنب ذلك انهم كانوا يتنافسون في زخرفة الابواب وتطعيمها بالنقوش وتصفيحها بصفائح ومسامير الذهب والفضة ؛ ففي ذكر الابواب يجد الفكر نفسه منجذبا الى اعتبارين ، اما ان الكلام من باب حذف النعت كقول القائل : فلم اعط شيئا ، ولم امنع ، يعني لم اعط شيئا كثيرا ولم امنع شيئا قليلا ؛ فالابواب غير الموصوفة لفظا موصوفة معنى بانها ابواب مبالغ في زخرفتها ، واما ان السياق سياق حديث مع العرب بصفة مباشرة ، وكانت بيوتهم بمكة والمدينة ليست لها ابواب اكتفاء بابواب الدور لان المعمارية العربية المأخوذة عن الهندية والفينيقية كانت الدور فيها عبارة عن حصن صغير قلما توجد له نوافذ الى الخارج ؛ واذا وجدت النوافذ فانها غير مفتقرة الى الالواح الزجاجية حيث يوجب اغلاقها حالة شبيهة بحالة الاختناق لشدة الحرارة وانحباس الاهوية في اكثر الاحيان ، فكانت ابواب البيوت في الداخل انما ترخى عليها الستور ولا تتخذ لها المصاريع ، حتى ان التشريع نص على الادب في دخول هذه الحجر حيث يقول الله سبحانه : (ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) فلو كانت الحجر ذات مصاريع خشبية لكانوا امروا بان يغلقوها عليهم بالمزاليج ولكنها كانت ذات ستائر ليس الا . والمعتاد ان الخدم والاطفال في الدار يلجون الحجر كلها من غير استئذان فامروا ان يستاذنوا في الاوقات المعهود فيها ان يفضي الرجل الى اهله اذا استيقظ لصلاة الصبح فانه سوف يغتسل للانصراف الى المسجد ، والبلاد الحارة يشتد فيها الميل الجنسي فقبل ان يغتسل المسلم يريد ـ في اكثر الحالات ـ ان يفضي الى اهله ، وقد تدخل الخادم او الطفل فيجد سيد البيت داخل سريره لقضاء اربه من اهله فكان النهي عن الدخول الا بعد استئذان واذن وكذلك عند راحة وسط النهار فلقد كان الانصار اصحاب اعمال وملاك آبار فاذا كانت الظهيرة عادوا من اعمالهم الى بيوتهم وقد تدعوهم الحاجة الى الخلوة باهلهم فمنعت الخادم والطفل من رفع الستر عن باب الحجرة التي فيها سيد المنزل الا بعد اذن واستئذان ؛ وكذلك الشأن بعد صلاة العشاء . وفي هذا تنبيه للرجل بان لا ينساق الى شهوته في كل وقت وحين لانه يتعرض بذلك الى هتك حجاب الوقار بينه وبين خادمته وولده وبنته ؛ لانهن ماذونات في ان يلجن دون اذن فيما عدا الاوقات الثلاثة . وانما

تكبد المجتمع العربي هذه الصعوبة لانه مضطر لاقتصاد ثمن المصاريع الخشبية ، ولانه في حاجـة الى شم الهواء . وكانوا يرون الابواب ذات المصاريع نوعا مـن الترف الذي تتوق اليه نفوسهم . فلذلك سيق مساق الكفاف والتقشف وعدم الانسياق الى متاع الدنيا .
واما المعارج فكانت تلك المعارج العريضـة البالـغ عرضها اربعة امتار فاكثر المقامـة من الرخام القليلـة الارتفاع فيما بين الدرجة والدرجة ، وهي تشمـل نوعين : نوعا يتمثل في المدرجات الدائرية المحدقـة بميادين صراع اللهو (الكاليسيوم) فانها معارج تشكل مظهرا من مظاهر الترف الجموعي ومعارج مستطيلـة في صدر قاعات الاجتماع عند الرومانيين ، يقـوم عليها الخطباء ومندوبو الامة ويجلس في اعلى درجاتها الامبراطور وحاشيته وكلا المعراجين يعبر عن الرخاء والحضارة والترف اما سقف الفضة فلسنا ندري ماذا دعا العرب الى ان يجعلوها حلما من احلامهم وامنيـة غالية من امانيهم .

وفي كثير من المناسبات يقول الله سبحانـه : (اولم يسيروا في الارض فينظروا) وهذا معنـاه ان اتساع الفكر بالسياحات وكسب المعلومات يساعـد الدعوة الاسلامية ويجعل فهم الناس ميسورا لما يقصه عليهم القرآن من حقائق الكون . والدنيـا لله يجبـي منها ما يشاء فيرضاه ، ويمقت ما لا يرضيـه ويحث على الاعراض عنه . وجاء الاسلام فوجد الدنيا عنـد اهلها طبقات ، والناس في مراكزهـم الاجتماعيـة درجات ، وفي اكثر الحـالات كانت احسن الانظمـة لارفع الطبقات ، واسخفها للطبقات المنحطة ، هكـذا وجد الاسلام وضعية الناس فرفعهم دفعة واحدة الى اعلى المستويات ، لانه لم يشأ ان ينزل بالراقين الـى درجة المنحطيـن ، بل عمـل على الحاق المستويات المنخفضة بالمراتب السنية . فقد كان بمكـة اصناف من الزواج منها ما هو سفاح محض ، وكانت طبقـة الاشراف تتزاوج على الطريقة التي اقرها الاسـلام وحدها واعتبر ما سواها سفاحا حـراما ، وكـانـت الشريفات يتمتعن بميزة الحجاب واكثر مامدح الشعراء ذوات الخدور اللائي كن لا يطلن المكث حتى فى نواحـي الخيام بل كانت اقامتهم في خدر خاص ، فاذا حـان وقت الرحيل انيخت لهن المطايا ليركبن الهـوادج ، فينقلن من الخدر الى الهودج الى ان ينزلن في خـدر لائق بشرف محتدهن ، في حيـن كانت فيه المـرأة العربية من الطبقات الواطئة تعتبـر من التبـرج ان تطوف بالبيت عارية البدن الا من ستـرة شبيهـة بـ (بالبكين) في وسطها دون صدرها ، فكره الاسلام الاسفاف بالمرأة الى حد ان اصبح المتنطعون يلتجئون الى واد بناتهم دون ان يجدوا من ذوي الاحـلام من يردعهم ، ووضع المرأة في نصابها كانسان ذي حرمـة وبايع المرأة كما بايع الرجل . واكرم الله عقائـل من مختلف القبائل فتزوجهن عليه الصلاة والسلام ورضي عنهن وبواهن اسنى ما كانت تطمح اليه اجل امرأة في الدنيا ، وكان المقياس الحضاري في يد الروم فكانـوا يتخذون للرقيق والاسيرات اللباس القصيـر ، اما الارستقراطيات والمحجوبات عند بعولتهن من الاشراف ، وقـد يمكـن القول بان اللباس الطويل الفضفـاض المجرور الذيول لم يكن بالمباح ان تلبسه امرأة مـن الطبقات الوضيعة مثل ما كانت الشريفات يتنزهن عن اللباس القصير ولا سيما في الحفلات والاجتماعـات المختلطة . ورضي الاسلام للمرأة اللباس الطويـل ، فامر بان يكون لباس عامة المومنات ، واقرأ ان شئت قول الله سبحانه (يا ايها النبيء قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنـى ان يعرفن فلا يؤذين) وترى السياق المرتب هنا ترتيبا خلقيا انسانيا ، فازواج النبي عليه السلام يجب عليهن ان يتسترن اعلانا لخلة الوقار والحياء ، وسترتهـن لا يعني البطالة والفراغ ؛ فقـد كـن قائمات بواجب التبليغ فى البيت وبواجب المهنة ايضا ، فهـذه سودة رضي الله عنها كانت تحترف الدباغة على ما تقتضيه هذه الحرفة من تقشف وعناء ، ولكنها في وقت الصلاة كانت تلبس لباسهـا الطويـل المنسحب على الارض لتصلي في الصفوف الاخيرة خلف الرجال ، ومـا كان الاسلام ليخص بالفضل فريقـا من المومنـات دون الاخريات ، فكان التكريم في الدرجـة الاولى لازواج الرسول وبناته ثم شاركهن غيرهـن من شاء مـن المومنات . وهنا نجد ايضا رائحة التاثير الحضـاري الروماني مثل ما لمسناه في الحياة القرشية المتأثـرة برحلتي الايلاف ، رحلة الشتاء الى اليمن فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، ورحلة الصيف الى الشام شمـال شبه الجزيرة ، فان اليمن بلاد الرمال ومواطن الاحقاف يسهل فيها السير ايام الشتاء ، لان الامطـار تثبت الاقدام في الرمال ، بخلاف الشان في الصيف فانهـا تكون مهيلة منهالة ، اما طريـق المكييـن الى الشام فاغلبها في ارض مترية تفسدها الامطار والسيـول ، ويصلحها اليبس والحر ، وليس من المعقول ان يتردد تجار قريش باحلامهم الثاقبة واحاسيسهم المرهفـة

ونخوتهم الخارقة دون ان يتأثروا بالحضارة الرومانية البزنطية ، ومن غير شك انها كانت هي المقياس ، وهذا عبد الله بن جدعان كان يصنع الفالودج ليطعم ضيوفه من افضل ما يطعمه الرومان ، وليست مجالس القيان بمكة واتخاذ آلات الطرب واللهو واشاعة الترنم بالغناء الا اخذا عن حضارة الروم في جوانب من جوانبها ، واذا اخذ الذين يكفرون بالرحمن من الحضارة عيوبها فان الاسلام اخذ بمزاياها ، ومنها الثياب الضافية الفضفاضة السقراطيات وكل المسلمات ارستقراطيات لانهن يشكلن طبقة واحدة هي طبقة المراة المسلمة دون بحث في لونها ولا في اصلها وفصلها ، فهي بنت الاسلام وكفى . وظلت سمية وهي امة سوداء مضرب الامثال في الجهاد والتضحية ما دام القرآن يتلى ايام نزوله وبعد نزوله الى يومنا هذا والى ما شاء الله . نعم لقد كان اخذ العرب عن الروم وفارس والقبط وبني اسرائيل مشوها حتى نزل القرآن فرد الاشياء الى اصولها ، واستخدم نفس القواعد الراقية التي استخدمها الروم ، ولو نزل بلغة لاتينية لادرك اسراره اللاتينيون . لكنه نزل عربيا لمخاطبة العرب في الدرجة الاولى ، وهم وان لم يكونوا من المعرفة في مستوى الروم فهم من الناحية الخلقية والنفسية اعلى كعبا منهم ، وانما ينظر الله الى القلوب ولا ينظر الى المظاهر التي لا ترتكز على دعامة الايمان فقد استخدم القرآن المنطق الاغريقي فرد على السفسطائيين اقوالهم بعد ان حكاها عنهم ، كقوله سبحانه حكاية عنهم (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون ، وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) فهذه سفسطة محضه. لان قائليها انفسهم لا يومنون بهذا القيل ، لانهم لا يمكن ان يكونوا مثل آبائهم في كل شيء ، ولان كل جماعة لابد ان تعترض بعض افكار من تقدمها ، لكن لما احرجوا استعملوا لغة المغالطة ، فرد الله عليهم ردا منطقيا سهلا على رسولهم ، فقال له (قل اولوا جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) وحكى عنهم نوعا من الخطابة ـ وهي ما نسميه في وقتنا الحاضر بالديماغوجية ـ وهو اسلوب من الكلام لايزين الفكرة بالالفاظ وانما يجندها بطريقة انتقاء الالفاظ ورصها رصا موجبا كقوله تعالى حكاية عن الدهريين (هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد) فاذا حللت هذه الالفاظ عن طريق الاسناد اللفظي لا يوجد فيها ما يخبر بانكارهم للبعث ولكن تفصيلهم لتمزق الاشياء وتاكيدهم بقولهم كل ممزق تبرعا دون ان يطلب منهم ، فيه ايماء بان هذا غير ممكن ، والخطابة تختلف عن الشعر ، في ان الشعر يزيد على ذلك تشويقا الى الفكرة المرادة بطريقة الاطراء او تنفير من فكرة يرغب في معارضتها بالالتجاء الى الاستهجان باحدى طرقه كقولهم (اراغب انت عن آلهتنا يا ابراهيم) فانهم في حوارهم هذا يوحون الى المستمعين بأن ما يتركه ابراهيم آلهة حقيقية لهم ، ولو رغبوا في الاسلوب الحيادي الذي لا تكييف فيه لقالوا : اراغب انت عن معبوداتنا ، فرد عليهم في بعض محاوراته مع ابيه بطريق برهاني شعري في آن واحد فقال : (يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) وفي الجدال بقوله (لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين) الى قوله (انما اعبد رب هذه البلدة التي حرمها ، وله كل شيء) وقد اشتمل الجدل هنا على شعر ايضا . وبعد ان اثبت عظمة معبوده خطا معهم خطوة الى الامام فقال : (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) ثم يلقي بها صريحة فيقول (وما قدروا الله حق قدره) فقد استخدم القرآن المنطق الاغريقي في اروع صور التطبيق . كل هذا على لسان الصادق المصدوق الذي لم يتقدم له ان تعاطى العلوم (وما كنت تدري من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)

فاخذ القرآن من كل امة احسن ما عندها وفسح صدره للفنون الجميلة الى الحد الذي ارتضاه ، وبينما نجده يندد بالوثنية اذا به يلتقط لنا صورة بالغة في الروعة لو قدر لمنصف ماهر ان يسجلها لاخذت بمجامع الالباب . ففي موطن بالغ من الجدية كل مبلغ يزف لنا سلوى للترويح والادكار ، فان من اصعب المواقف المعنوية موقف النشر والحشر . فاذا نشروا من قبورهم ونودوا بان يقصدوا مكان الحشر ياخذون

في قصده كل السبل والطرق كما قال الله سبحانه (وهم من كل حدب ينسلون) فهذا تعبير لا غموض فيه وجاء في نفس الموضوع (يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون) ولا يمكن أن يضرب لتفهيم العرب مثل ابلغ من هذا المثل ، ويجوز أن يضرب لهم باقبالهم على موسم الحج او سوق عكاظ لكن الذين لا يحجون ولا يذهبون الى عكاظ عددهم كثير جدا فتبقى الصورة غامضة في اذهانهم . اما النصب والصنم ففي كل قبيلة له مكان يقصد في مواسم معينة قياتيه اهل القبيلة ومن في حلفهم من القبائل الاخرى ليقضوا حوائجهم ويتزاوروا قرباؤهم ويقررون الحرب او الهدنة معللين ذلك كله بانه من مراسيم النصب او الصنم او البيت . واذا علم ان من شانهم في اجتماعهم بالنصب ان نساءهم يرقصن مرجرجات الارداف استنادا لقول امريء القيس :

فعن لنا سرب كان نعاجه

عذارى دوار في ملاء مذيل

وهذا منظر اخاذ للشباب وللرجال والنساء عموما فاذا وقع التمثيل به اسرع مجه الى الخاطر اسراعا لا يضاهيه اسراع . وهذا تبجيل لاحد الاوضاع الجاهلية مما يتدرج في الثقافة العربية بصفة عامة . وهناك اعتبارات استثنائية تتمثل في قوله سبحانه (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وقوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث) وهكذا يزخر القرآن بالامثال والحكم والمواعظ والاحكام . وهو يخاطب البشر تارة ويتوجه الى العرب تارة ويشير الى العجم حينا بعد حين . « ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مومنين » ثم يصب هذه الثقافات كلها في قالب واحد بعد تاكيد ما يتاكد منها والازدراء بما يزدري ، في اسلوب رائع وهيمنة لا تحدها الحدود (ولو كان من غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) .

تطوان : التهامي الوزاني



شرح آيات من سورة النّور

للأستاذ : عبد اللطيف الجراري

يقول الله تبارك وتعالى من سورة النور « ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا ، فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون » .

الحرج : ـ الضيق ويراد به هنا وفي الدينيات الاثم ، ما ملكتم مفاتحه ـ اي ما كان تحت تصرفكم من عقار واثاث بطريق الوكالة او الحفظ ، والصديق من يخلص لك المودة ، ويهمه ما يهمك ويطلق على الواحد والجمع ـ واني لنا به فقد اصبح اعز من بيض الانق بل رابع المستحيلات ـ جميعا : مجتمعين ؛ اشتاتا : اي متفرقين ، واحدهم شتيت . على انفسكم : اي على اهل البيوت ، طيبة : اي تطيب بها نفس المستمع .

بعد ان ذكر سبحانه ـ ان للماليك والصبيان الدخول في البيوت في غير العورات الثلاث بلا استئذان ولا اذن من اهل البيت ـ ذكر هنا انه لا حرج على اهل هذه الاعذار الثلاثة في تركهم الجهاد وما يشبهه ، وذلك يستلزم عدم الاستئذان منه صلى الله عليه وسلم ، فلهم القعود عندئذ من غير استئذان، ولا اذن ، كما لا حرج عمن ذكروا بعدهم في الاكل من البيوت المذكورة في الآية بقول الزمخشري في كشافه هنا ـ والكلام على هذا التفسير صحيح لالتقاء الطائفتين في ان كلا منهما منفى عنه الحرج ، ومثاله ـ ان يستفتي مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق عن النحر فتقول :

ليس على المسافر حرج ان يفطر ، ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر .

قال الحسن : نزلت الآية في ابن ام مكتوم وضع الله عنه الجهاد وكان أعمى ، وقال مقاتل ـ نزلت في الحارث بن عمرو ، وكان قد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا وخلف مالك بن يزيد على اهله ، فلما رجع وجده مجهودا فساله عن حاله فقال : تحرجت أن آكل من طعامك بغير اذنك .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ ان المراد من الحرج المنفي في الآية الحرج في الاكل ذلك انه لما نزل قوله تعالى : « ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل » تحرج المسلمون عن مؤاكلة الاعمى لانه لا يبصر موضع الطعام الطيب ، والاعرج لانه لا يستطيع المزاحمة على الطعام ، والمريض لانه لا يستطيع استيفاء الطعام ، فانزل الله هذه الآية ، والمعنى على هذه الرواية : ليس في مؤاكلة الاعمى ولا ما بعده حرج .

فقد كانت حساسية هؤلاء النفر مرهفة حتى كانوا يحذرون ان يقعوا فيما نهى الله عنه ، ويتحرجوا أن يلموا بالمحظور ولو من بعيد ، اولئك الناس ، والناس هؤلاء ، فانزل الله هذه الآية ، ترفع الحرج عن الاعمى والمريض والاعرج ، وعن القريب ان ياكل من بيت قريبه ، وان يصحب معه امثال هؤلاء المحاويج، وذلك محمول على ان صاحب البيت لا يكره هذا ولا يتضرر به ـ استنادا الى القواعد العامة في انه « لا ضرر ولا ضرار » والضرر يزال والى انه لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفس »

فان الآية آية تشريع ، فقد نلحظ فيها دقة الاداء اللفظي والترتيب الموضوعي والصياغة التي لا تدع مجالا للشك والغموض ، كما نلمح فيها ترتيب

القرابات ـ فهي تبـدأ ببيـوت الابناء والازواج ولا تذكرهم بل تقول الآية « من بيوتكم » فيدخل فيهـا بيت الابن وبيت الزوج ـ فبيت الابـن بيت لابيـه ، وبيت الزوج بيت لزوجته ـ وتليها بيـوت الآبـاء ، فبيوت الامهات ، فبيوت الاخوة ، فبيوت الاخـوات ، فبيوت الاعمام ، فبيوت العمات ، فبيوت الاخـوال ، فبيوت الخالات ـ ويضاف الى هذه القرابات والخازن على مال الرجـل فله ان ياكـل مما يملك مفاتحـه بالمعروف ، ولا يزيد على حاجة طعامه والمراد بالخازن كما جاء عن ابن عباس وكيله وقيمـه في ضيعتـه وماشيته فله الاكل من ثمرته وثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخـر .

ويلحق بها بيو تالاصدقاء لربط صلتهم بصلـة القرابة ، عند عدم التأذي والضرر ، فقد يسر الاصدقاء ان يأكل اصدقائهم من طعامهم بدون استئذان . ولله در بعض طلبة الحديث من الشباب مخاطبا ابن فارس وقد استاذنه في الكتب من قرورته ـ دواته قال : من انبسط الى الاخوان بالاستيذان فقد استحق الحرمان

وبعد ما انتهى سبحانه من ذكـر البيوت التي يسوغ الاكل منها ـ بين الحالة التي يجوز عليها الاكل. فقال عز ذكره : « ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعـا او اشتاتا » ذلك انه كان من عادات بعضهم في الجاهلية الا ياكل طعاما على انفراد ، فان لم يجد من يؤاكلـه عاف الطعام ، فرفع الله هذا الحـرج المتكلف ، ورد الامر الى بساطته بلا تعقيد ، واباح ان ياكلـوا افرادا او جماعـات .

ولم يقف الكتاب الكريم هنا بل زاد في تهـذيب النفوس وترويد الافكار ، وتنوير الاذهان وتغذيتهـا بحر الآداب والاخلاق الرفيعة ـ فذكر آداب دخـول البيوت التي يؤكل فيهـا : قال : « فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة » وهو تعبير لطيف عن قوة الرابطة بين المذكورين فـي الآية ، فالذي يسلم منهم على قريبه أو صديقه يسلم على نفسه ، والتحية التي يلقيها عليه هي تحية مـن عند الله تحمل ذلك الروح ، وتفوح بذلك العطـر ، وتربط بينهم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها .

وهكـذا ترتبط نفوس المؤمنيـن بربهـم في الصغيـرة والكبيـرة .

« كذلك يبين الله لكم الآيـات لعلكم تعقلـون » تدركون ما تنطوي عليه المناهج الالهيـة من حكمـة وتقـديـر .

وهنا ترى الكتاب العزيز مرة اخرى ينتقل مـن تنظيم العلاقات بين الاقارب والاصدقاء الى تنسيقها بين الاسرة الكبيرة ـ اسرة المسلمين ، وعلى راسهـا رئيسها وقائدها محمد عليه الصلاة والسلام ، والـى آداب المسلمين في مجلس الرسول الاكرم . قـال الله تعالى : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذيـن يؤمنـون بالله ورسوله ، فاذا استاذنـوك لبعض شأنهم فاذن لمـن شئت منهم واستغفر لهم الله ، ان الله غفور رحيم » الى آخـر السـورة .

امر جامع ـ اي خطب جلل يستعـان فيـه بالمجربين من ذوي الخبرة والآراء كقتـال عـدو او تشاور في حادث عرض ـ والتسلل : الخروج من البيت تدريجيا وخفية ، واللواذ والملاوذة التستر ، يقـال ـ لاذ فلان بكذا اذا استتر به ، والمخالفة : ان ياخذ كـل واحد طريقا غير طريق الاخـر في حاله او فعلـه ، فتنة : اي بلاء وامتحان في الدنيا ، عذاب اليم ـ مؤلم موجـع في الاخـرة .

بعـد ما امر الله المؤمنيـن بالاستئذان عنـد الدخول ـ امرهم جلت عظمته بالاستئـذان حيـن الخروج ولا سيما اذا كانوا في امر هـام جامع مـع الرسول صلوات الله عليه ـ كتشاور في قتـال او في حادث عرض وبين ان من يفعل ذلك في امتثـال فهو من كامل الايمان اذ يكون ذلك كالمصداق لصحتـه والمميز للمخلص فيه عن المنافق الذي ديدنه وعادته التسلل والفرار ، ثم امر رسوله ان يأذن لمن شاء منهم اذا استاذنه ، ثم امر المؤمنين ان يوقروا نبيهـم ولا يسموه باسمه بل يقولون يا نبي الله ، ويا رسول الله وليحذروا ان يخالفوا أمره وسنته وشريعته بل عليهم أن يزنوا اقوالهم وافعالهم بأقواله وأفعاله ، فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه فهو مردود على فاعله وقائلـه كائنا من كان ، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من عمل عملا ليس عليـه امـرنا فهـو رد » .

روى ابن اسحاق في سبب نزول هذه الآيات ـ انه لما تجمع قريش والاحزاب في غزوة الخندق فـي

السنة الخامسة التي قاسى المسلمون فيها امر الصعوبات في حفر الخندق الذي عمل فيه الرسول الاكرم بنقل التراب متمثلا بشعر ابن رواحة .

اللهم أنت لولا ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا
وان ارادوا فتنة ابينا

فلما سمع الرسول ما اجمعوا له من الامر ــ ضرب الخندق على المدينة وكان في اختطاطه للخندق وحفره مقتبسا من الخطط الحربية بفارس اذ دله على ذلك سلمان الفارسي الذي قال فيه عليه السلام: (سلمان منا اهل البيت) ، ولا حرج ان ياخذ الانسان عن غيره ما تدعو الحاجة اليه وتقتضيه المصلحة العامة اقتصاديا واجتماعيا وحربيا كما هنا

وكان (كما علم) من العاملين ترغيبا للمسلمين، وتحريضا لهم على المشاركة والعمل ، نعم ابطا عن الرسول واصحابه رجال من المنافقين ، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ، ويتسللون الى اهليهم بغير علم منه عليه السلام ولا اذنه .

وجعل الرجل من المسلمين اذا انابته النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه في اللحوق بحاجته ، فياذن له ، فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير واحتسابا له .

فانزل الله تعالى في اولئك المومنين « انما المومنون الآية . ثم قال تعالى يعني ــ المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير اذن من النبي صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الآية .

واما كان الحال في سبب النزول فالآيات تتضمن الآداب النفسية التنظيمية بين الجماعة وقائدها ــ هذه الآداب التي لا يستقيم امر الجماعة الا حين تنبع من مشاعرها وعواطفها واعماقها ثم تستقر في حياتها فتصبح تقليدا متبعا وقانونا نافذا ، والا فهي الفوضى التي لا حدود لها . « انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله » لا الذين يقولون بافواههم ثم لا يحققون مدلول قولهم ، ولا يطيعون الله ورسوله .

« واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه » والامر الجامع الذي يقتضي اشتراك الجماعة فيه لراي او حرب او عمل من الاعمال العامة ، فلا يذهب المؤمنون حتى يستأذنوا امامهم ، كي لايصبح الامر فوضى بلا وقار ولا نظام ، والحالة ان روح الامم والشعوب التي تريد السير في ركاب الحضارة فنيا وثقافيا واقتصاديا ضاربة في نفس اللحظة امثالا رائعة برجال سلفها الصالح ، روحها النظام ، وهجيراها التنسيق والترتيب كما يقول الاديب الحضاري في مطلع قصيده :

فما نيل المعالي بالتواني ❊ ولكن بالعزيمة والنظام

الرباط : عبد الله الجراري

نور الله لايهدى لعاصي

شكا رجل الى وكيع ابن الجراح سوء الحفظ ، فقال : استعينوا على الحفظ بترك المعاصي ، فانشأ يقول .

شكوت الى وكيع سوء حفظي
فارشدني الى ترك المعاصي
واخبرني بان العلم نور
ونور الله لايهدى لعاص

وقرأ : « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » .



في يقيني ان « الاسلام » في غزوة جديدة للفكر الانساني ولا اقول الغربي ،هذه هي الغزوة الثانية ، اما الغزوة الاولى فهي تلك التي جاءت اثر القرون الوسطى المظلمة لاوربا ، والتي كانت اساسا لعصر النهضة في القرن الخامس عشر الميلادي .

تلك الغزوة الاولى كانت اساس الحضارة الحاضرة ، فقد تلقى المسلمون دينهم الذي هو في الواقع « دين ومجتمع وحضارة » والذي استطاع بامتزاجه بعصارات الفكر الانساني المتمثل في ثقافات اليونان وفارس ان يقيم تلك الحضارة الضخمة التي عاشت الف عام ، وما تزال قيمها في مجال الفكر والثقافة والادب واللغة والتشريع والتاريخ قائمة حية متفاعلة لم تمت ، ولم تضعف ولم تتخلف ، وقد مرت بالغرب فترة عصبية تنكر فيها لفضل الثقافة الاسلامية والاسلام ذاته ، واعلن تجاهله الكامل لها، وسجل بان الحضارة الغربية الحديثة هي ثمرة الحضارة الرومانية القديمة وبينهما الف عام وانه ليس بين ارسطو وديكارت غير معبر الزمان .

وقد عنى عنى كثير من الباحثين بان يكشفوا عن حقيقة الدور التاريخي لثقافة والحضارة الاسلاميتين ، واثرهما ، في حضارة الغرب القائمة الان .

وهذا ليس مجال البحث اليوم ، فقد مرت السنون الطويلة منذ بدأ الغرب حملته الضخمة على الاسلام عن طريق ترجمة القرآن وتحريفه وتصوير النبي محمد (ص) بصورة مزيفة ومهاجمة اصول الاسلام ومقاصده في عشرات المواضع واعطاء صورة مظلمة مضببة له ، وقد شنت هذه الحملة تحت تأثير عاملين (1) سيطرة الكنيسة ومحاولتها اقصاء الاسلام عن طريقها (2) سيطرة النفوذ الاجنبي الذي كان يرى في الاسلام قوة معترضة امام اطماعه وتوسعه ، ومن هنا جاءت (الحملة على الاسلام) على عنفها مضطربة مهلهلة ، ليست قائمة على منهج البحث العلمي الصحيح وانما ابرز معالمها تلك العبارات الطائشة وتلك الاتهامات التي تبدو منها روح التعصب والحقد .

ولقد كان اصحاب هذه الحملة يهدفون الى امرين :

الاول : اغراق الفكر الغربي بدراسات ومراجع عن الاسلام تحول بينه وبين الدراسات الاصلية والاساسية النابعة من كتابة المسلمين او المنصفين على الاقل .

الثاني : تشويه الاسلام في نظر اصحابه ومعتنقيه واثارة الشكوك والشبهات في نفوسهم لصرفهم عنه ، وتحطيم قيمه في انفسهم مما يعين الاستعمار على خلق طائفة من المثقفين المؤمنين بالقيم الغربية التي تعاطف النفوذ الاجنبي وتقبله .

* * *

غير ان هذه الحملة المضببة لم تحل بين الاسلام وبين النفاذ الى القلوب والعقول ، فلم تلبث مقاصده وقيمه الى ان بلغت الى عشرات من طلاب الحق واثرت فيهم ، فانبعثت بضوء جديد تطور من بعد الى « تيار » قوي يحمل الحقيقة الى ما سوى العالم الاسلامي شرقا وغربا .

ولا نعتقد ان هذا التيار التي عنينا برسم صورة له في هذه الدراسة يمكن ان يدفع الاتهام عن الغرب المتعصب ازاء الاسلام ، او يعطي وثيقة يمكن ان يعتبرها بعض انصار الفكر الغربي انصافا له ، ذلك لان حملة التحدي والتعصب ما تزال مستمرة في تيارها القوي ، اما هذا التيار الجديد فانني اعده تيارا في الفكر الانساني العالمي استطاع ان يشق طريقه بالرغم من كل القوى التي قاومته او وقفت في طريقه ، وتسجل النصوص كيف ان كل هؤلاء الذين واجهوا الاسلام بعقل مفتوح وقلب سليم قد لقوا من قومهم مزيدا من الاضطهاد وان بعضهم جرد من املاكه (الدكتور خالد شلدريك مثلا) او حمل عليه حملا سخيفة كالكاتبة الايطالية .

او اضطر ان يمضي خمسين سنة قبل ان يعلن اسلامه خوفا من اضطراب حياته العملية كاللورد « هدلي » .

وانا واثق من ان هذا التيار سيزداد قوة بمرور الايام وبعمق ، ويصل الى ابعد مدى ولا شك في صدق ما ذهب اليه الذين انتقلوا الى عقيدة الاسلام من ان هناك عشرات قد آمنوا بالاسلام ولم يتح لهم ان يجهروا به وان من يستمع الى حديث لاحد الدعاة العاملين في هذا الميدان كالمهندس محمد توفيق احمد صاحب مجلة « بريد الاسلام » والذي يحمل لواء التبشير الاسلامي بالبريد منذ ثلاثين عاما ليدهش كيف ان كتابا بسيطا صغير الحجم في اربعين صحيفة يستطيع ان يكسب عقلا جديدا كذا بلغ انسانا .. متعطشا الى فهم الاسلام ، وان هذا العمل قد حقق لمئات من المثقفين في اوربا وامريكا الاقتناع العميق بجوهر هذا الدين .

وهكذا يعمق هذا التيار ويتسع نطاقه .

فاذا عدنا الى الصورة الاولى لوجدنا ان الفكر الغربي قد كان حفيا بان يضع حجابا كثيفا على العقل الانساني بحملته على الاسلام ، هذه الحملة التي يصورها (م. ر. كويت) في كتابه « الاسلام والدولة البريطانية » (✱) حين يقول :

« ان الكثيرين منا شبوا على كراهية الاسلام ، وارتضعوا ذلك مع لبان امهاتهم ، هذا فضلا على ان ما لدينا من المعلومات عن الاسلام يزيد في بعدنا عن معرفة حقيقته خصوصا لعدم امكاننا الوقوف على اصوله من اللغة العربية » .

ومن عجب انه ما تكاد تمر فترة لا تزيد عن ستين عاما حتى يجد الاسلام مجالا واضحا في الفكر الانساني يستطيع به ان يواجه حملة الفكر الغربي عليه .

فاليوم تزخر مكتبات اوربا وامريكا والشرق بعشرات من الكتب ، متفقون من غير اهل العالم الاسلامي يصورون فيها مشاعرهم ازاء الاسلام ويكشفون فيها عن مفاهيم له ، ولا بد ان تحمل هذه الكتب بعض الاخطاء او الاضطرابات ولكنها في جوهرها صادقة ، فقد قرأ هؤلاء ما كتبه الغربيون المتعصبون ومنه — في الاغلب — نفذوا الى الحقيقة ، وتجربة الدكتور خالد شلدريك (✱) البريطاني المسلم واضح فيه يعترف بانه لم يتلق هذا الدين اول الامر من كتبه الاصلية وانما تلقاه من كتابات الطاعنين ، وان البحث والتأمل دفعه الى دراسة البوذية والبرهمية وسائر الاديان ويجد في مكاتب بريطانيا كتبا متصفة عن كل الاديان ما عدا الاسلام فقد وجد كتبه مملوءة بالتحامل والمطاعن ، وهي تقول انه دين لا اهمية له ، وقال الدكتور شلدريك لنفسه : اذا كان الاسلام لا اهمية له الى هذا الحد فلما ذا يبذلون كل هذه الجهود للتحامل عليه ومقاومته وتوجيه المطاعن اليه يقول : « وقد وقر في نفسي انه لولا ان الاسلام دين يخشاه هؤلاء الناس ويحسبون له حسابا كبيرا لما فيه من القوة والحيوية ، لما بذلوا كل هذه الجهود لمقاومته والطعن فيه وتشويه سمعته » .

وهكذا استطاع الاسلام عن طريق الكتب المشوهة عنه ان يشق طريقه وان يبدأ غزوة جديدة للفكر الانساني ، لا شك سيكون لها مدى كبير واثر لا حد له ، هذا الاثر الذي يكشف عنه كل الذين عرفوا الاسلام وآمنوا به .

ان الذين كونوا هذا التيار الجديد الذي يعد غزوة جديدة من الاسلام للفكر الانساني يمثلون ثلاث جبهات :

✱ معجبون هزهم الاسلام بحقائقه الدامغة فقالوا فيه كلمة الحق وهم امثال توماس كارليل وجوستاف لوبون وجورج سارتون وهورتن الالماني وهرجودنج وديفونبيب وكلود فارير ومرتيه وتريتون وبرنارد شو ولوتروب ستودارد وول ديورانت ولفرن كانتول سميث واميل درينجم والبارون كارادي فو والدكتور بول ديركلا وسيديو .

وهؤلاء بين مؤرخين وصحفيين وكتاب قد وصلت اليه الحقيقة فاعلنوها معترفين بفضل الاسلام واثره في الحضارة الحديثة وقيمه الحية النابضة ومدى ما يمكن ان تقدمه للانسانية .

✱ قادة وكتاب وسياسيون قالوا الحقيقة لقومهم لتضع حكوماتهم ومؤسساتهم الخطط التي تمكنها من رسم طريق صحيح مع العالم الاسلامي ومن هؤلاء : هنري دي كاستري والقس اسحق طيلو وليم ماسينيون وجب وريخه مليه وكريستان سنوك هيروجرونجيه وسير ريتشارد وود وشاتليه واوجين يونغ .

✱ مؤمنون بهرهم الاسلام حقيقة فآمنوا به امثال اللورد هدلي واتيان دينيه وليون دوش والدكتورة لورامنيشيا فاليري وليوبولد غابس وعبد الله كوليام وتنكيتايا وهبايسا وصاري هينكل وخالد شلدريك .

وهناك مجموعة اخرى من كبار المفكرين استطاعوا ان يصححوا آراءهم في الاسلام بعد مراجعة لافكاره امثال رينان واكوست كونت ومن عجب ان ترى ديفو توبب يؤلف كتابا يطلق عليه اسم « اعتذار الى محمد والاسلام » او تسمع قصة ليون روش الذي عمل كاتما لاسرار الامير عبد القادر الجزائري وجاسوسا عليه لفرنسا واستطاع بعد ثلاثين عاما ان يجذبه اليه .

وامامي اكثر من ثلاثين مرجعا واكثر من مائتي فكرة عن كتاب غربيين وشرقيين اعترفوا للاسلام بالفضل ، ومن بين هؤلاء الكتاب ابرز كتاب الانسانية امثال : كارليل وتوينبي وبرنادتشو ويلز وجب ودرمنجم وسيديو في وثائق ثابتة ،

(✱) مجلة « الفتح » — 13 صفر 1357 م 12 .

يكشفون فيها عن رأيهم الذي كتبوه دون اي ضغط او اكراه . فما ذا يعني هذا .

ما الذي دفع هؤلاء الى ان يقولوا كلمة الحق في الاســـــــلام ؟ .

اذا كنا نتهم بعض الكتاب الذين حملوا على الاسلام انهم كانوا متصلين بالكنيسة او بوزارات المستعمرات في دولهم، فما ذا نقول في هؤلاء وليس للاسلام سلطان في اوربا يستطيع ان يغري كتابا لهم مثل هذا النفوذ الفكري يقولوا كلمة الحق ، اذن فليس سبيل الا ان الاسلام بقوته الذاتية الدافعة ومقاصده القوية ، وتعاليمه الصادقة ، وقيمه الانسانية هو الذي استطاع ان ينفذ الى هذه القلوب والعقول .

واذا كان الاستعمار والتعصب قد شق في قلب الفكر الغربي تيارا قويا ضد الاسلام فان الاسلام استطاع ان يقوم بغزوة جديدة في الفكر الانساني كله ويحفر تيارا لا شك في اصالته وقوته ، برز فيه كتاب من الاعلام في مجال الفكر الغربي وكتاب تدل كتاباتهم على الصدق والايمان بالحقيقة ، وقد واجه هؤلاء جميع ما وجه للاسلام من اتهامات في حملة التحدي الضخمة الضارية واستطاعوا ان يكشفوا عن حقائق هامة .

اولا : ان الكتاب الغربيين لم يعتمدوا المذهب العلمي اساسا لآرائهم او ابحاثهم .

ثانيا : ان الاسلام (بوصفه دينا وثقافة ومجتمعا وحضارة) يكشف في تعاليمه عن سلامة وبساطة وشمول يمكن ان يعطي الانسانية الحائرة الان حاجتها .

ثالثا : ان الاسلام لا يقف عقبة في سبيل الفكر فقد يكون المرء صحيح الاسلام وفي الوقت نفسه حر الفكر (*) .

رابعا : ان الاسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والاجناس ، كذلك لكل انواع العقليات وجميع درجات الحياة على حد تعبير ناصر الدين دينية الذي يقول :

« وبينما تجد الاسلام يهيج في نفس الرجل العملي في اسواق لندن حيث مبدأ القوم « الوقت من ذهب » اذ هو يأخذ بلب ذلك الفيلسوف الروحاني وكما يتقبله عن رضا ذلك الشرقي ذو التأملات ورب الخيال اذ يهواه ذلك الغربي الذي افناه الفن وتملكه الشعر » (*) .

خامسا : قدرة المسلمين على تمثل اراء الغرب والفكر الانساني في تطوره ، يقول كازانوفا : يعتقد الكثيرون منا ان المسلمين لا يستطيعون تمثل آرائنا وعظم افكارنا ، يعتقدون ذلك وينسون ان نبي الاسلام هو القائل بان فضل العلم خير من فضل العبادة .

سادسا : صدق القرآن وتأكيد رسالته من الله وانه ليس من صنع محمد ، يقول سانت هيلر في كتابه تاريخ النبي : « انه كان يشك في صدق النبي في رسالته حتى قرأ في جميع السير انه لما نزلت آية الحفظ ووعد الله نبيه بانه سيتولى حراسته وقال « والله يعصمك من الناس » بادر محمد بصرف حرسه ، والمرء لا يكذب على نفسه ولا يخدعها فلو كان لهذا الوحي مصدر غير الله لا بقى محمد حرسه » .

سابعا : الاعتراف بفضل « الاسلام » على الحضارة الحديثة حتى ان نيتشة (*) يقول : لقد حرمتنا المسيحية من ميراث العبقرية القديمة ثم حرمتنا بعد ذلك من الاسلام فقد ديست بالاقدام تلك المدنية العظيمة مدنية الاندلس الغربية ولما ذا لانها نشأت من اصول رفيعة وغرائز شريفة ثم من غرائز رجال تلك المدنية لم تنكر الحياة بل اجابتها بالايجاب وفتحت لها صدرها ، لقد قاتل الصليبيون تلك المدنية وكان اولى بهم ان يسجدوا لها على التراب ويعبدونها ، وما مدنيتنا في هذا القرن التاسع عشر الا فقيرة وانية بجانب مدنية الاسلام في ذلك الوقـــت .

ثامنا : مسايرة الاسلام للمدنية :

وهذه عبارة ولز ، كل دين لا يسير مع المدنية في كل طور من اطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به ، وان الديانة الحق التي وجدتها تسير مع المدنية انى سارت هي المدنية الاسلامية ، واذا اراد الانسان ان يعرف شيئا عن هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات علمية وقوانين وانظمة لربط المجتمع واذا طلب مني احد ، ان احدد له الاسلام فانني احدده بهذه العبارة « الاسلام هو المدنية » (*) .

تاسعا . انتشار الاسلام بالاقتناع :

يقول اللورد هدلي ص 262 لا اظن ابدا ان المسلمين اجتهدوا في حين من الاحيان ان يحشروا افكارهم ومعتقداتهم الدينية في حلوق الناس وصدورهم بالقوة او الفظاعة او التعذيب ولم يشهر محمد السلاح الا حين الحاجة القصوى لحماية البشرية، وان اعداء الاسلام لأعجز من ان يأتوا بدليل او مثل من الامثلة التي اثرت فيها الحرب على هداية قبيلة واحدة او شخص واحد.

عاشرا : بساطة الاسلام ووضوح حقائقه :

(*) اشعة كتاب ناصر الدين دينية ــ ترجمة اسعد رستم .

(*) مجلة « المستقبل » 24 / 5 / 1914 ترجمة لسلامة موسى عن نيتشـــة .

(*) « موسوعة الحديقة » لمحب الدين الخطيب ج : 7 ص 262.

يقول اللورد هدلي : (*) ان اعظم ما تركه الاسلام في نفسي ما تجلى له من البساطة والحقيقة بحيث وجدته يمتاز على غيره ببساطته وخلوه من كل مغالطة او ابهام . الدين الذي ليس فيه اي اثر للاحتمالات والخيالات والذي يدعو الانسان الى الثقة الكاملة بعدل الله ورحمته » .

حادي عشر : صدق محمد

يقول كارليل : افيقوى مدع زائف على ايجاد دين ، ان الزائف لا يستطيع ان ينشيء شيئا ولو كان هذا الشيء بيتا من الطوب » .

ويقول دوزي . « لو صح ما قاله القساوسة من ان محمدا نبي منافق كذاب فكيف تعلل انتصاره ، ما بال فتوحات اتباعه تترى وتتلو احداها الاخرى ، وما بال انتصاراتهم على الشعوب لا تقف عند حد ، وكيف لا يدل ذلك على معجزة هذا الرسول » .

ومن رأي برناردشو ان يدعى محمد « منقذ الانسانية » وعنده انه لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته .

ويقول الدكتور ماردوس المستشرق الفرنسي ان اكثر الكتاب ارتيابا وشكا قد خضعوا لسلطان تأثير محمد . ويقول ولز : ان محمد كان من انجح الانبياء ، واكثرهم توفيقا .

ويقول غوته : اننا اهل اوربا بجميع مفاهيمنا لم نصل الى ابعد مما وصل اليه محمد وسوف لا يتقدم عيه احد . ويقول وليم موير : ان محمدا قد امتاز بوضوح كلامه ويسر دينه ، وقد اتم من الاعمال ما يدهش العقول ولم يعهد التاريخ مصلحا ايقظ النفوس واحيا الاخلاق في زمن قصير كما فعل محمد .

ثاني عشر . الاسلام له مرتدون وهو مسيحية وزيادة .

يقول الكونت هنري دي كاستري : ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي ليس له مرتدون ، ويقول (ايتان دينيه) ان للاسلام على النفوس طابعا لا يمحى والذين يعتنقونه من الاوربيين والامريكيين دائما من الخاصة واسلامهم خالصة فيه لانهم ابعد ما يكونون عن الاغراض المادية .

ثالث عشر : الاسلام ليس عدوا للعلم :

وقد اعترف بذلك (البرت هوبك) حين قال : حينما تعمقت في قراءة القرآن اندهشت لعصرية القرآن في علاقته بالعلم ، ففي الاسلام من المستحيل وجود مثل حادث (جاليلو) والتعاليم الاسلامية لن تعارض البحوث العلمية الحديثة ولم تقف في وجه مقتضيات العالم الحديث .

وقال ترتون : ان الاسلام يكبر من شأن العلم اكبارا لا شائبة فيه فهو فريضة على كل مسلم ومسلمة .

رابع عشر : توقف الاسلام اظلم اوربا :

اعترف بذلك كلود فارير استاذ اللغات الشرقية ، وهنري دي شامبيون وجيمس برستد .

قال كلود فارير : ان فاجعة عام 732 كانت اشأم الفجائع التي انقضت على الانسانية في القرون الوسطى ، هي معركة « بواتيه » ، برابرة المحاربين من الافرنج بقيادة شارل مارتل . ما ذا عساها ان تكون بلادنا الفرنسية لو انقذها الاسلام العمراني المتسامح .

ويقول هنري دي شامبيون : ان انتصار كارل مارتل على تقدم الاسلام في فرنسا اخر سير المدنية ثمانية قرون وانه هو الذي اوقع اوربا في ظلمات القرون الوسطى ومكابدة المذابح الاهلية الناشئة عن التعصب الديني .. والمذهبي .

وقال جيمس برستد : ان العصر الاسلامي في اسبانيا كان اكبر عامل من عوامل المدنية في اوربا وان انخذال المسلمين في اسبانيا كان بمثابة انهزام المدنية امام الهمجية .

القاهـــرة : الاستاذ انور الجندي

(*) المنار م 29 ج : 5 عن مجلة « اسلاميك رفيو » .

كنا في الحرب اذا اشتد الباس ، واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، فلا يكـــون أحـــد أقـــرب الـــى العـــدو منـــه .

((علي))

الانطلاقة المنحرفة

للأستاذ : عبد السلام الهراس

(ان اعداء الاسلام لا يخشون بناء جامعة او تاسيس مصنع او تغيير وزارة بمقدار ما يخشون بناء أمة وتاسيس عقيدة وتغيير نفوس)

مر على العالم الاسلامي حين من الدهر طويلا ، كان يعاني خلاله امراض التخلف الحضاري واشتدت به تلك الامراض ، ودفعته بعنف نحو الانهيار والقهقرى ، ولكنه مع ذلك لم يحس بالالم ولم يشعر بالحاجة الى تغيير اوضاعه ، وقد كان لهجوم الاستعمار على بلاده ، وتدهور الخلافة العثمانية ، اثر كبير في يقظته من كابوس الغرور والاستسلام للاحلام ، وشعوره بالاخطار المحدقة به ، وقد حاول المصلح محمد بن عبد الوهاب، ان يقوم بتجربة اصلاحية بالجزيرة العربية فاحيط بها من كل جانب ، ولم تستطع تأسيس الدولة التي كان يريد ، كما اطلقها جمال الدين الافغاني صيحة جدية ، عبر هذا العالم النائم ، وقام بنشاط جبار لاسماع الاذان اصوات الخطر ، فاستيقظ اناس مستجيبين للصيحة ، فتكونت قيادة جديدة لتجارب في واجهتين ، الفساد الداخلي المتمثل في المتآمرين على مصالح الامة، والاستعمار الخارجي ، ولكن هذه القيادة لم تكن فكرتها مبنية على ايديولوجية تستهدف تكوين امة متحضرة ذات رسالة ، وانما غلب على تلك القيادة النزعة السياسية ، وذلك نفسره مبدئيا بعاملين :

1) العامل الاول : ان الضرورة الملحة كانت تقتضي مكافحة الاستعمار ومقاومته ، لانه اصبح خطرا واقعا في بعض البلاد الاسلامية ، ومهددا للبعض الاخر ، وهذه الظروف فرضت على البعض القيام بالعمل المسلح وعلى الاخرين بالعمل السياسي ، او على حد تعبير احد السياسيين : ان السياسة هي الوسيلة التي بقيت لدينا بعد فشل السلاح ، وهكذا تأسست احزاب سياسية ، منها المتطرف ، ومنها المعتدل ، ومنها المتعاون، ووضعت شعارات للشعوب الاسلامية ، كالجلاء ، والاستقلال ، والحرية ، والبرلمان ، والوطنية ، وتجمعت حول هذه الشعارات عواطف الشعوب المغلوبة على امرها ، تستجمع قواها ، وتتحمس لتحقيق تلك الشعارات ، في جو من الاخلاص ونكران الذات ، وقد بين الواقع ان تلك الشعارات كانت غامضة ، تحتمل تفسيرات (معينة) وان كانت الشعوب الاسلامية قد فهمتها فهما متطرفا متصلا بالعقيدة التي تحملها .

2) العامل الثاني : ما يسميه استاذنا الجليل مالك ابن نبي بالنزعة الى السهولة ، فبدلا من التغيير الجذري للنفس الذي هو اساس الحضارة ، نرى اصحاب النزعة الى السهولة ، يلجأون الى نوع من التعويض ، كالخطب الرنانة ، والمظاهر التي الفها العالم الاسلامي منذ قرن من الزمن ، فلم تغير ما به ، وان التغيير النفسي لاعظم واجل من الجهاد بالسيف والسخاء بالدم ، ولذلك كان مفهوم الاسلام : الجهاد الاكبر .

وقد حققت النزعة السياسية للعالم الاسلامي بعض الشعارات على النحو الذي فهم هنا وهناك ، كما انشات له مدارس وجامعات ونشاطا في الميدان الصحافي والفكري ، والفني ، ولكن مع ذلك ، فقد اصبحت ترفرف على هذا العالم الاسلامي اعلام مختلفة الالوان ، اعطت للمأساة مظهرا آخر ، لا يقل خطورة عن المظهر الاول ، فقد تعددت الاتجاهات واختلفت الاهواء ، وتناكرت اشد ما يكون التناكر ، واصبحت كل دولة

(تنمو) في اطار خاص مما يعمق الهوة بينها وبين الدول الاخرى (الشقيقة) ، ويبدد احلام المسلمين في الوحدة تحت لواء القرآن، هذهظاهرة ، اما الظاهرة الثانية فهي:

ان الاستعمار لم يمنح ((الاستقلال)) لهذا العالم ، الا بعد ان كان قد هيأ له قيادة ثقافية صنعها بعينيه ، وزودها بروحانية خاصة ، وصوفية متطرفة ، فاصبح ستريحا على مصيره ، ومسرورا بمستقبله ، وصاحب الحظ الاوفر في هذا ((الاستقلال)) والحق ان هذه القيادة قد افلحت في كثير من البلاد الاسلامية في القيام برسالتها التي هيئت لها .

والظاهرة الثالثة وهي نتيجة للظاهرة الثانية وتتمثل في اشاعة الثقافة الاستعمارية والقوانين الاجنبية وخنق كل محاولة جدية لنشر الثقافة الاسلامية ، بل ومقاومة الحركات التحريرية المبنية على الفكرة الاسلامية بكل شراسة وقسوة ، وان اعداء الاسلام لا يخشون بناء جامعه او تاسيس مصنع او تغيير وزارة بمقدار ما يخشون بناء امة وتاسيس عقيدة وتغيير نفوس ، ولذا فان الثقافة الاستعمارية تعمل على خلق توجيه خاص يتيح بقاء فعليا للاستعمار واستمرار البلاد في التخلف والتبعية الروحية والفكرية ، وانشغالها بامور جزئية ومشاريع ثانوية ، وصرف همها على الالتفات الى منبع القوة ومفتاح المشاكل .

الظاهرة الرابعة ان مشاكل هـذا العالم تتزايـد باستمرار وبشكل مخيف ، وتتعقد كلما طال بها الزمن ولم تعد ((القيادة)) ، عموما ، قادرة على ايجاد الحلول لان الحل غالبا ما يكون ناشئا عن تقريرات ودراسات فنية لا تمس جوهر المشكل ، لان العقلية التي ابدعته لا تتصل نفسيا واجتماعيا وحضاريـا بمحيط المشكـل

والظاهرة الخامسة شيوع الاضطرابات والانقلابـات على الاوضاع وسيطرة القلق النفسي على الشباب ، مما جعلهم هدفا لافكار غريبة ومثل مختلفة منها المستورد ومنها المصنوع محليا ، وقد ساعدت الاوضاع الثقافية على تعميق هذا القلق ، وتنشيط ذاك الاضطراب .

الظاهرة السادسة : خمود جـذوة الحمـاس في الشعوب الاسلامية لما اصبحت تضمره من سوء الظن نحو قياداتها الثقافية والسياسية التي عملت على انهاك هذا الحماس واستهلاكه دون ان تربطه بفكرة خالـدة تلهبه دائما ، وتمده بالقوة والاصرار .

وقد تحول سوء الظن الى نوع من الحقد والسخـط والاستهتار احيانا مما زاد في الهوة عمقا واتساعا بيـن ما يسمى بالقاعدة والقيادة .

والظاهرة السابعة وجود فراغ عقائدي مخيف يدفع بهذا الذي يطلق عليه العالم الاسلامي الى الابتعاد شيئا فشيئا عن الفكرة الاسلامية واعتبارها فكرة تاريخيـة انتهى دورها من مسرح التاريخ ، اذ لم تعـد صالحة لعالم الذرة والصاروخ ، ومن ثم فان الافكار الرأسمالية والماركسية اصبح لها دورها الفعال في مخيلة الاجيـال الحالية ، وان كانت الافكار الاشتراكية اكثر جاذبية ولمعانا من غيرها .

وهكذا ينتقل العالم الاسلامي في قلق مستمر من تجربة الى اخرى ومن دواء الى آخر دون ان يعثر على حقيقة الدواء الناجع ، لانه لم يعثر بعد على حقيقة المرض الذي اصابه ، وهكذا سلخ قرنا من عمره دون ان يتخلص من التخلف والسيطرة والتبعية الثقافية ، لانه لم يلتفت الى مفتاح مشكلته والى سر دوائه : الى نفسه فيغيرها والى روحه فيطهرها على اساس من الفكرة الاسلامية التي من طبيعتها ان تقضي على جميـع الامـراض والمشاكل لانها رسالة حضارية ، ولو نحن اتخذناها نقطة انطلاقنا لكان للعالم الاسلامي كيان غير هذا الكيان ، ولحقق اضعاف اضعاف الانتصارات التي تحققت لـه بانطلاقتـه الاولـى .

وان الاعتراف بفشل الانطلاقة الاولى لا يعني قدحا او تجريحا ، وانما يعني قبل كل شيء محاولة مخلصة لتصحيح الانطلاقة بكل موضوعية وبدون عقد ، وان كل محاولة للاستمرار في خط السير الاول — ان كان ثمة خط — انما هو تضليل لهذا العالم الاسلامي عن حقيقة مشكلته وابعاد له عن دوره الطبيعي في القيـام برسالته الانسانية في هذا العالم المضطرب :

ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها .

تطوان : عبد السلام الهراس

حياة الإسلام في قواعده الخمس

للأستاذ : محمد بن تاويت الطنجي

- 2 -

أمــا الصــلاة :

فالعبادات في الاسلام ، لها ـ فوق انها حقوق الله ، وعبادات يتقرب بها المسلم الى الله ـ معان ذات اثر بعيد في الحياة الدنيا للمتعبدين .

ومن هنا جاءت عناية الاسلام بهذه المعاني ، يبرزها ، ويوجه اليها انظار المسلمين ليعقلوها ، ويفهموا اهدافها ومراميها ، واتخذ من القيام بهذه العبادات وتطبيقها ، وتكرار بعضها مرات في اليوم بليلته ـ وسيلة لربطها بمعانيها وبروحها وبأهدافها ، ولتثبيتها في عقول المسلمين وقلوبهم ، بحيث يصبح سلوكهم ، تجاه ربهم وتجاه الناس ، جاريا وفق مقتضياتها ، وحسب توجيهاتها .

وهذه المعاني يعود نفعها الى المسلم في حياته الدنيا هذه ، فضلا عما يجنيه من ثمراتها ـ كعبادات ـ يثيبه الله مالك يوم الدين على القيام بها يوم الجزاء في الحياة الاخرى .

والصلاة ، اول الواجبات الدينية التي فرضها الله على المسلمين ـ بعد الايمان ، اصدق ما يقال في الترجمة عنها : انها صلة بين العبد وربه ، ودين الاسلام ، حين فرض على كل مسلم ومسلمة اقامتها خمس مرات في كل يوم وليلة (*)، وفصل ما بين الصلاة والصلاة منها بمدة ، قصد بتكرارها ، وبتقسيمها على اليوم والليلة ـ ان تكون هذه الصلة دائمة ، وان يقف المسلم بين يدي الله بين الحين والحين في كل صلاة من صلواته يجددها ، ويشهد الله ، وهو يعلم سره ونجواه ، على انه وفي لعهده (*) ويستعينه على اداء الامانة التي حملها ، ويستهديه الى الصراط المستقيم .

والمصلي ، اثناء وقوفه بين يدي الله ، ينصرف عن شؤون دنياه الى ما هو اكبر من امور حياته ومن دنياه ، وهنا تقف على حكمة الاسلام في اختياره لكلمة « الله اكبر » مفتتحا للصلاة، وللنداء للصلاة عند الاذان .

ينصرف عن حياته ومهامها ، الى لحظات قدسية يقفها امام ربه ، ويتأهب لها بطهارة بدنه وثوبه ، فيستقبل ـ عندما يستقبل القبلة ـ وجه ربه (*) ، ويأخذ في مناجاته (*) متأدبا ، في كل ذلك ، بهدي الاسلام ، فيما فرضه عليه في صلاته من قرآن يقرأه ، وفيما علمه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من تشهد ودعاء يدعو به ، فيعرض على ربه روحه وقلبه وعقله ، وكل جزء مدرك فيه ، يرجو لها الهداية الى الصراط المستقيم ، فيما تعقل وتفهم وتدرك وتتذوق ، ولحواسه وجوارحه ان يكون ما تحسه وما تعمله في دائرة هذه الهداية .

ويعرض على ربه ايضا لب دين الاسلام وخلاصته ، من ايمان بالله ، وبنبوة رسول الله ، وتصديق بما جاء به عن الله، وايمان باليوم الآخر ، والله الكريم جل جلاله من جانبه « لا يزال مقبلا على العبد وهو في صلاته (*) » .

والايمان باليوم الآخر ، وما اليه من محاسبة على الاعمال، والدقة البالغة التي يفيدها ان الله الذي يحيط علمه بالجليل والدقيق من اعمال الناس ، هو مالك يوم الدين الحاكم بين الناس الذي يفصل بينهم يوم القيامة ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (*) ، « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة اتينا بها وكفى بنا حاسبين » (*) .

نقول : هذا الايمان باليوم الآخر ، الذي يكرر المصلي الاعتراف به في كل صلاة ـ فوق انه يؤكد ما قرره الاسلام

(*) سنن ابي داود 1 ـ 102 .
(*) سنن ابي داود 1 ـ 112 .
(*) سنن ابي داود 1 ـ 112 .
(*) شرح الزرقاني على الموطأ 1 ـ 167 .
(*) سنن ابي داود 1 ـ 209 ، مسند احمد 4 ـ 202 .
(*) سورة الزلزلة 7 ـ 8 .

من ان الانسان محسوبة عليه اعماله ، مسؤول عن سلوكه — يقرر ان العدالة الاسلامية ترقبه ، فتحاسبه الشريعة في الحياة الدنيا عن سلوكه ما استطاعت وسائل البشر ان تمكنها من محاسبته ، وتستعين بضمير المسلم — الذي ينبهه الى واجبه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء — ان يمكن الشريعة من تحقيق العدل بين الناس ، فلا يكتم الشهادة ، ويقول الحق ولو على نفسه او الوالدين او الاقربين .

فاذا ما عجزت وسائل البشر ، والتوت مسالك تطبيق هذه العدالة ، وخفيت المعالم ، او اخفيت ، عن اعين الناس . تولى احقاق الحق واقرار العدل ، من لا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء ، فتم العدل الاسلامي في اكمل صوره .

أما الزكـــاة :

فقد تولى الاسلام — بصورة دائمة — توجيه الحياة الانسانية الوجهة التي يراها تكفل الحياة السعيدة الكريمة للانسان ، في دينه وفي دنياه معا ، يوجهه في معتقده ، وقد ارتاك مدى الاسلام في عقيدة المسلم ويوجهه في اعماله الدينية الاخرى ، سواء منها التي يتصل الانسان فيها بربه ، ام التي تصله بالانسان اخيه .

وعناية الاسلام بحياة الناس ، وصلته بها وبتوجيهها ، تتطلب ان تكون له مبادىء ثابتة واضحة يسير الناس عليها ويحتكمون اليها عند ما تحوجهم الحاجة الى ذلك ، فكانت شريعة الاسلام استجابة لما تطلبته العناية ، وتمثلت هذه الشريعة في القرآن الكريم ، يرسم خطوطها الكبرى ، وفي افعال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، توقف المؤمنين على كيفية تطبيقها ، وفي اقواله التي يمثلها الحديث النبوي ، تفصل المجمل ، وتوضح المبهم ، وتبين الغامض .

والقرآن الكريم قد كرر الحديث في تبيين منزلة الانسان في هذا الكون (✱) ، فهو خليفة الله في الارض (✱) ، خلقه ليعمرها (✱) ، والمكونات بما فيها من مختلف العوالم ، انما خلقت لهذا الانسان ليتصرف فيها ، ويتمتع بجميع ما يمكنه الانتفاع به من خيراتها (✱) .

وهذا الحديث — مهما اختلف الصوغ فيه — يرمي الى الابانة عن كرامة الانسان والاشادة بمنزلتها في التعاليم الاسلامية وسمو مكانته فيها ، فهو رفيع المنزلة في حديث الاسلام عما يجب ان يعتقده الانسان وكيف يجب ، وهو كريم معزز عند الحديث عما يجب عليه ان يعمله .

وكرامة الانسان ومنزلته السامية عنده ، لا يختص بها — في الاسلام — انسان دون انسان ، بل هي حق له كانسان من غير ان تدخل في الاعتبار تلك العوارض التي تلحقه من مال وجاه ولون ونسب ، وغيرها ، فاذا ما فضل انسان آخر ، وتفاوتت المنازل وتباعدت الدرجات والمراتب ، فان ذلك يرجع الى ما يقدمه الانسان لربه ، ولاخيه الانسان من اعمال الخير ، والى حظ كل انسان من التشبث بمبادىء الاسلام وتمثله لها .

وحق الانسان في هذه الكرامة محتاج الى قاعدة تحميه من الطغيان والاعتداء ، وهنا نفهم المركز الاسمى الذي يشغله « العدل » في الاسلام ، فهو الذي يعطي كل انسان حقه في الحياة الكريمة التي تليق به ، ويحمي هذا الحق من ان يطغى عليه طاغ او يستبد به مستبد .

والاسلام — في تقديره الواقعي للانسان — لم يجد في اختلاف درجات بني الانسان في ارزاقهم واموالهم وممتلكاتهم (✱) مخالفة لسنن الكون ، فالانسان ، في عرف واقع الحياة ، ليس له الا ثمرات سعيه ، وهو سعي تختلف نتائجه باختلاف القدر والمواهب والكد .

ومن هنا كان من مسلمات مبادىء العدل ، في تعاليمه ، ان يحمي مال المسلم مثلما يحمي عرضه ودمه (✱) ، فمال المسلم — في تشريع الاسلام — في حمى من ان تمتد اليه ، بغير حق ، يد لا تملكه ، ولكن هذه الحماية — في هذا التشريع ايضا — يجب ان لا تمس كرامة المسلم الفقير ، ويجب ان لا تنتهي بالاثرياء الى الطغيان واستعباد الناس .

✱) سورة الانبياء 47 .
✱) سورة الاسراء 70 .
✱) سورة البقرة 30 ، الانعام 165 ، فاطر 29 .
✱) سورة هود 61 .
✱) سورة ابراهيم 32 — 33 ، النحل 12 ، 14 ، الحج 65 لقمان 20 ، الجاثية 12 ، 13 ، سورة ص 36 .
✱) سورة النحل 71 . آل عمران 37 . النور 38 . البقرة 212 . الاسراء 30 . القصص 82 . العنكبوت 37 ، 62 . سبأ 36 . الزمر 52 .
✱) سورة الحجرات 12 ، صحيح مسلم 1 — 58 .

وبناء مجتمع اسلامي على دعائم ثابتة ، يسوده الاخاء والتعاون على البناء واعمال الخير (*) ، وخدمة الصالح العام ـ من اهم الاهداف التي يقصد الاسلام الى تحقيقها ، وفي سبيل ان يتم له هذا البناء وفي سبيل ان يحميه من الانهيار ، ساغ له ان يتدخل في اموال المسلمين وممتلكاتهم ، فهداهم الى صراط الله المستقيم فيها، ونبههم الى حق اخوانهم الضعفاء والفقراء والمساكين في اموالهم (*) ، ففرض الزكاة ، واوجب على المسلم الغني ان يخرج في كل سنة جزءا من ماله لاخيه الضعيف المحتاج ، وهكذا حمى كرامة المسلم الفقير من طغيان صاحب المال عليه ، ومن استبداده به .

ويبلغ من عناية الاسلام بهذه الكرامة الانسانية ، ان رفع حق الفقير في مال الغني الى درجة العبادة ، فالزكاة هي القاعدة الثالثة من قواعد الاسلام ، (*) ووضعها في عداد الاسس التي يقوم عليها الاسلام ، يجعلها ـ فوق انها خدمة اجتماعية ـ حقا من حقوق الله تتولى الدولة جبايته وتحصيله وحمايته ورعايته ، وتجبر على ادائه من امتنع ، وتحاربه من اجله ان دعت الحال الى محاربته ، كما تتولى ـ بعد ذلك ـ ايصاله لمن اثبت لها تحريها النزيه انه يستحقه .

فعل دين الاسلام كل هذا صونا لكرامة المسلم المحتاج ان تمتهن ، وحماية لشرفه ان يخدش ، وحفاظا على ماء وجهه ان تذهب به كدوح المسألة اذا ما تولى اخذ حقه من الاغنياء بنفسه .

اما الصيام :

فقد رأينا ، في ايضاح المغزى الذي يحققه الايمان باليوم الآخر ، ان الاسلام يستعين بضمير المسلم في تحقيق العدالة ، حين تعجز الوسائل الظاهرة ، او تلتوي عن تحقيقها .

ونقول هنا : ان هذه الاستعانة جزء من عملية التوجيه الذي يقوم الاسلام به لجوارح الانسان وحواسه ، وقلبه وعقله ، وهي استعانة بأمين صادق ، وحكم عدل ، فاذا ما نبه قلب الانسان وضميره الى طريق الخير ، ودل عليها ، وملأه اليقين، اعان ، وصدق في عونه .

سأل وابصة بن معبد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن البر (والبر ، اسم يجمع انواع الطاعات واعمال القربات)، فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « استفت قلبك ، البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك (*) في النفس ، وتردد في الصدر (*) وان افتاك الناس وأفتوك (*) .

والقرآن عند ما كرر ، وفي صيغات متنوعة : ان « الله بكل شيء عليم » (*) وانه « يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور » (*) كان بصدد تهيئة قلب المسلم لقبول المثل الاسلامية العليا ، وائتمانه عليها وعلى حمايتها ، وكان الى هذا، بما وصف من علم الله المحيط الشامل ، يحذره عاقبة الانحراف عن هذه المثل .

وفرض على المسلمين صيام شهر رمضان ، والصيام عبادة ، وهي تعني معاني كثيرة سامية تتولى تهذيب الانسان وتصفية روحه ، وتقوية ارادته .

والذي يتصل بموضوعنا من معاني الصيام ناحيتان :

الاولى :

انه امتحان لامانة هذا « الضمير » الذي تولت التعاليم الاسلامية تهيئته وتربيته وتوجيهه ، وسبر لمدى اقتناع قلب المسلم وضميره بهذه التعاليم والتوجيهات التي القيت اليه ، ومحاولة لمعرفة ما اذا كان قد بلغ اليقين بقلبه درجة من القوة بحيث تنبعث عنه الاعمال الخارجية محققة للاهداف التي وجهه اليها الاسلام .

ان قواعد الاسلام ، من اعتقاد وصلاة وحج وزكاة ـ كلها اعمال ايجابية ، تراها العين ، وتسمعها الاذن عند القيام القولي او الفعلي بها ، اما الصيام فهو امتناع عن الاكل والشرب من من الفجر الى الغروب ، هو عمل سلبي ، هو كف عن العمل وليس عملا يرى او يسمع ، وبهذا اصبح تركه والخيانة فيه ـ في غفلة عن اعين الناس ـ ميسرا سهلا ، فاذا ما اداه المسلم وحفظ فيه الامانة ، كان معنى ذلك ان هذا الضمير قد اصبح حارسا امينا على تعاليم الاسلام ، ومن هنا يمكننا ان ندرك

(*) سورة المائدة 2 ، صحيح مسلم 1 ـ 49 .
(*) سورة الذاريات 19 ، المعارج 24 ، التوبة 103 ، النساء 34
(*) صحيح مسلم 3 ـ 94 . فتح القدير 6 ـ 456 .
(*) لم تنشرح له النفس .
(*) لم يستقر بل ظل مترددا مضطربا .
(*) الاربعين النووية ، شرح السعد 80 ، والفتح المبين لابن حجر الهيتمي 190 .
(*) سورة البقرة 29 ، 231 .
(*) سورة غافر 19 .

المعنى الذي يشير اليه الحديث : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به » (✱) .

فمن ، غير الله عالم السر والنجوى ، يدرك حقيقة الامر في الصيام ؟

والناحيـة الثانيـة :

ان آيتين من كتاب الله عما :
« انا انزلناه في ليلة القدر ، وما ادراك ما ليلـة القدر ، ليلة القدر خير من الف شهر » (✱) .
و « شهر رمضان الذي انزل فيـه القرآن هدى للنـاس وبينات من الهدى والفرقان » (✱) .

وحديثا من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عز :

سأل ابو قتادة رسول الله فقال : « أرأيت صوم يـوم الاثنين ويوم الخميس ؟ قال : فيه ولـدت ، وفيه انـزل علي القرآن » (✱) .

تشير ـ كلها ـ الى ان الاسلام حريص على تخليد ايامه الكبرى ، فالقرآن حبل الله المتين ، وعروته الوثقى ، ونعمتـه الباقية ، ومصدر الهداية الى السبيل الاقـوم في شـؤون الدين والدنيا ـ هذا القرآن ، وهذه تعاليمه السامية ، وهذا شأنـه الرفيع ، واثره البعيد في حياة الانسانية ـ نزل على رسول الله اول ما نزل في ليلة القدر من شهر رمضان ، وهو حدث جديـر بان يخلد الاسلام ذكراه ، وان يجددها شهرا كاملا من كل عام، فيحفظ عليها حيويتها واشراقها في قلب كل مسلم ، ويحميها ان يلحقها الذبول ، او يضعف من نورها طول السنين .

ومن هنا ارتبطت فريضة الصيام بشهر رمضان الذي اختير لبدء رسالة الاسلام ، فكانت هذه الفريضة احيـاء سنويا لذكرى بـدء النـــور .

وأمـا الحـــج :

ففي السنة التاسعة من الهجرة النبويـة الكريـمة فرضـت عبادة الحج ، فكان خاتمة الاركان الخمسة التي يقوم عليها بناء الاسلام ، وكان آخر ما فرض على المسلمين من هذه القواعد .
وقد حدد لأدائه زمان ومكان لا يتعداهما : الزمان شهر ذي الحجة ، والمكان جبل عرفة والبيت الحرام .

وقبل ان يلحق الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بالرفيق الاعلى بنحو من ثمانين يوما حج حجته الخالدة التي عرفت في تاريخ الاسلام بحجة الوداع وفيها ـ عند وقوفـه عليه الـسلام بجبل عرفة ـ نزل قول الله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » (✱) .

فكان لبنة اخيرة تم بها بناء صرح الاسلام ، وكانت ايذانا بختم الرسالة ونهاية المطاف .

في اثناء حجة يودع فيها رسول الاسلام العظيم امة الاسلام بعد ان جاهد في سبيل هدايتها وسعادتها .

وفي جبل عرفة وقريبا من البيت الحرام حيث ولد الاسلام وترعرع ونما ، وحيث ولد رسول الاسلام وشب واكتهل، وأدى رسالة الله في صبر وعزيمة وايمان كانت مثلا عالية في تاريخ الجهاد في سبيل العقيدة .

هناك ، في زمن عز وجود مثله بين الازمان ، وفي مكان شهد من الاحداث ما يفخر به على كل مكان ، كانت خاتمـــة البنـــاء .

ما اجدر هذا الزمان بخلود الذكرى ! وهذا المكان الذي شهد هذا النور بالزيارة ، وان تشد اليه الرحال !

للمسلم ان يصلي اينما كان ، وله ان يصوم حيثما حـل عليه شهر الصيام ، وله كذلك ان يزكي ماله حيث وجد ، ولكن على المسلم ان يؤم ، مـرة واحدة في عمـره ، البلاد المقدسة ليشاهدها فيرى فيها مشرق النور ، ويقف ، في اجلال وخشوع، امام من بلغه عن الله عز وجل هذا النور .

تلك حكمة من حكم الله في فرض « الحج » وربط هذه العبادة بتلك البقاع ، وتخصيصها بشهر ذي الحجة من كل عام .

جزى الله عنا نبينا محمدا افضل ما هو اهلـه ، وهدانا للتي هي اقوم .

محمد بن تاويت الطنجي

(✱) صحيـــح البخـاري 3 ـ 26 .
(✱) سورة القدر 1 ـ 4 .
(✱) سورة البقرة 184 ـ 185 .
(✱) سنن ابي داود 1 ـ 565 .
(✱) سورة المائـــدة 3 .

فتح بيت المقدس وتسامح عمر

للأستاذ : أبي العباس احمد التيجاني

وعدت قراء المجلة فى عدد الشهر المتصل بالكتابة فى قضية فتح بيت المقدس احدى الجواهر التي ازدان بها عقد الفتوحات الاسلامية .

طبعا القضية تناولتها أقلام المؤرخين والاخباريين من المسلمين بما تقتضيه وضعيتها ومنزلتها فى المقدسات الاسلامية ، وعليه فان الباعث لي على الكتابة انما هو عرض المسالة على ما هي عليه عند الاوربيين زيادة فى ثروة مجتمعنا الاسلامي وبالاخص جيل اليوم الجامع بين الثقافتين الاسلامية والغربية ، ولمزيد النفع ، واثبات صحة ما اكتب ، اعلم القراء بان سائر الحوادث التي اذكرها مصدرها كتاب (دي فرجي) احد اعضاء الجمعية الاسيوية التي تعنى بدراسة تاريخ الامم فيما يرجع لدياناتهم واخلاقهم وعوائدهم سمى كتابه هذا تاريخ الجزيرة ، طبع الاخوة (فرمان ديدو) اصحاب مطابع الجامعات .

بعد هذا التمهيد اقول : بعد ان تم للمسلمين فتح الجزيرة وتقاربت الديار من ديار الامبراطورية الرومانية قرب الديار الشامية ، اخذت المناوشات يتطاير شررها من حين لاخر ، خصوصا ، والدولة الرومانية ما كانت تجهل ظهور الدين الجديد ، فى الجزيرة ، الامر الذي اقض مضجعها ، خصوصا ومعظم رعاياها فى هذا القسم ، من امبراطوريتها ، اغلبهم مسيحيون ، يضاف الى ذلك عشائر اليهود المجاورين لهم ، فالصدمة بين الديانات الثلاث اصبح امرا متوقعا ليل نهار ، وفعلا اخذت المناوشات تتكرر وتتسع دوائرها فى شبه الدوائر فى الماء اذا القيت فيه حجرا الى ان صارت دائرة واحدة ، اعني حربا عوانا اصبحت فيها العرب والروم وجها لوجه الركاب يحك الركاب من جهة العرب خالد بن الوليد وابو عبيدة على راس الحملة الاسلامية ومن جهة الروم ابن هرقل خليفة قيصر رومة فى تلك الديار على راس جيش اجتمعت فيه الحامية الرومانية واليونان وحلفاؤهم من عرب غسان المتنصرة تحت قيادة جبلة ابن الايهم يبلغ عددهم على ما رواه المؤلف ما يقرب من مالتي الف مقاتل ، بينما كان عدد المسلمين لا يتجاوز الثلاثين الفا فدارت رحى الحرب سجالا بين الفريقين وبعد ثلاث كرات واشتباكات ملتهبة حمية وحماسا من الطرفين ، هؤلاء تدفعهم الغيرة على دينهم الجديد ، واولئك يدفعهم واجب الدفاع عن حرمة المسيحية وحرمة الامبراطورية . ولما راى خالد عدد العدو يتكاثر من القبائل المجاورة اشار الى ابي عبيدة بالتزام خطة التراجع الى الوراء اما لانه خشي ان يحاط به ، واما لمكيدة اوحت بها الظروف وراءها ما وراءها تراجع اغرى العدو الى شن حملة تزيد فى نظره فى توهين عزائم المسلمين ، وعهد بهذه الحملة للقائد اليوناني فاندفع هذا الاخير بجيشه مقتحما للنهر الفاصل بينه وبين العدو باشارة من احد من ذويه ، اكد لهم انه سهل العبور فكان هذا التهور نكبة لقي فيها عدد كبير حتفهم وزاد فى رعب المهاجمين ما ابصروه من طلائع العرب برزت من سفح جبل فاشتبكت طلائع العرب مع مؤخر الجيش الروماني وحمي الوطيس حتى ان خالدا انكسر سيفه نصفيه فى مبارزة مع قائد الجيش اليوناني فنزل من على فرسه واحتضن الخصم بين ساعديه وقتله خنقا (بالحرق) وتبع النكبة التي حلت بالجيش اليوناني ما زاد فى خطورة الموقف وذلك ان جبلة ابن الايهم لما شاهد ما شاهد من ثبات العرب وشهامتهم الحق بهم واسلم هو وقواده والقبائل التي تحت حكمه الامر الذي فت فى عضد الجيش الروماني لان عرب غسان كانوا الركن الذي عليه المعول لكونهم من جنس العدو فهم لذلك من اعلم الناس بدهائهم ومكائدهم فى الحرب ، وهنا دقت

ساعة هزيمة الجيش الروماني فانسحب تاركا من ورائه عددا من الاسرى وكميات من الغنائم ، فلما بلغ الخليفة عمر هذا النصر ، الذي لم يكن في الحسبان يرجع الفضل فيه لخالد الذي تمكن من جلب العدو لبطاح الشام وسهوله حيث يفسح المجال للخيل كتب من حينه ، الى ابي عبيدة بان يولي الجيش وجهه شطر بيت المقدس بدلا من حلب واقليمها كما كان تقرر في اول الامر فزحف الجيش الى ناحية بيت القدس وكان اول الواصلين (خالد) على راس الخيالة ومن ورائه ابو عبيدة على راس المشاة معظم الجيش وسرعان ما طوت المدينة خالد من جهة الشمال وابو عبيدة من جهة الجنوب واستمر القتال طيلة اربعة اشهر ، المسلمون يبذلون ما في طاقتهم لاجل احتلال المدينة والدخول اليها والمسيحيون هم كذلك مستميتون في الدفاع على قبر المسيح بتحريض من بطريقهم (صفرونيوس) صابرين في المازق الذي اصبحوا فيه بعد ان تم تطويق المدينة وضرب الحصار عليها امام شدة وطاة العدو والياس من النجدة لم يسع (صفرونيوس) الا النزول على حكم الواقع والرضى بالاستسلام لكن على شرط اشترطه وهو ان بيت القدس بلاد الانبياء لا تبرأ ذمته وضميره الا بتسليمها لنبي ، وبما ان نبيكم وجده الحال انتقل الى الملا الاعلى فان مفاتح المدينة لا تدفع الا لخليفة نبيكم لا الى عسكريين . وبعد ان استشار مع الاساقفة اتفق الجميع على ان تكون المخابرة في امر الاستسلام مع ابي عبيدة لا مع خالد ، لانه انسان عسكري تغلب فيه القساوة والصرامة فاجابهم ابو عبيدة الى طلبهم وطير الاعلام بذلك الى عمر ، ذلك الخليفة الذي انشأ مدينة البصرة على الخليج الفارسي وهزم الرومان في سهول الشام فلبى الدعوة من حينه وخرج على راحلته من المدينة بدون حامية تخفره ولا اصحاب ولا رفيقا واحدا وبعد ان وقع على المعاهدة فتحت له ابواب المدينة فدخلها في رفقة البعض من قواد جيشه ، وعليه معطف من وبر الابل فطلب باديء ذي بدء الدخول الى هيكل سليمان ليحوله مسجدا لدينه الجديد فلما وصل الى كنيسة القيامة جلس في وسطها والبطرس (صفرو نيوس) يحرق الارم ويردد الحسرات على هذا المشهد ولم يتمالك ان همس باللغة اليونانية لاصحابه هذه هي النكبة العظمى والفاجعة الكبرى التي ذكرتها احبار النبي (دانيال) ثم ان عمر شعر بقرب وقت الصلاة ، وهو لا يزال داخل الكنيسة فاستشار الرهبان ليشيروا عليه بالمكان الذي يمكنه ان يؤدي فيه هذه الفريضة فاشار عليه (صفرونيوس) بان يصلي حيث هو داخل الكنيسة فاجابه عمر بهذا الجواب : (ان كنت امتنعت من الصلاة في كنيسة مسيحية فذلك في صالحكم لاني ان صليت هنا ما كان اسرع المسلمين للاستيلاء على هذا المعبد ولا من يقدر ان يمنعهم من الصلاة في محل صلى فيه خليفة نبيهم) . ثم ولى وجهه الى وجهة مكة وكبر وكبر قواده وكل من وجدهم الحال معه ، وبعد السلام سال البطريق ان يدله على محل يبني فيه مسجدا يؤدي فيه المسلمون واجباتهم الدينية من غير تشويش على المسيحيين ، وبدون مزاحمة لهم ، فدله البطريق على المحل الذي راى فيه يعقوب رؤياه المشهورة ، وكانت فيه صخرة يعرف بها فضرب عمر الضربة الاولى بالفاس ليقتدي به من انتدبهم لهذا العمل ثم طلب الدخول لكنيسة بيت لحم وفيها النعم على النصارى تلبية لالتماس تقدم به البطريق بامتياز قل ان يجود به غيره من المحاربين يقضي هذا الامتياز بالتحجير على المسلمين ان لا يصلوا في المكان الا فرادى لا جماعة وكتب بهذا عهد امضاه الخليفة بخط يده ، وهنا تم فتح بيت المقدس احدى القبلتين ، نقلا بالترجمة من تاريخ ديفرجي المشار اليه في فاتحة هذا المقال .

هذا التسامح الذي ظهر على يد عمر وهو الذي لا تلين له قناة في الدين وهذه الروح الشريفة التي اوحت اليه بتلك المنقبة الخالدة هي التي اذابت الثلوج المتجمدة بيننا وبين القوم وايقظت ضمائرهم ، الى ان في العدوة التي تقابلهم اناسا كذلك لهم دستور جدير بالاحترام ومزيد التقدير ، وفعلا بمثل الشهامة والرحمة التي عامل بها امثال عمر اعداء هم في المواقف التي يرويها التاريخ الى ان اصبحت ترى كثيرا من مشاهير مفكري الاوربيين يشيدون بمحاسن الاسلام وشرف مقدساته من بينهم على سبيل التمثيل الكاتب الانجليزي (روبرصوه) في كتابه تاريخ (شارلوكان) والمؤرخ اوربان في كتاب (تسامح الاسلام) (كوسطاف لوبون) المعروف في الاوساط الاسلامية والبطريق (ميشو) في كتابه : (جولة في الشرق) والى حضرات القراء فقرة جاءت في هذا الكتاب : (مما يؤسف له في حق الدول المسيحية ان التسامح الديني الذي هو قانون التراحم العام بين الامم علمه لهم المسلمون) .

ويقول دبرصوه من جهته : (المسلمون هم وحدهم الامة التي جمعت بين نشر دعوتهم بالسيف مع السماح لمن لم يدخل في دينهم ان يبقى على دينه وعوائده) .

لما دخل عمر بيت القدس لم يمس مسيحيا بسوء ولما دخلها الصليبيون امعنوا في قتل المسلمين واحرقوا اليهود ، وفي تعليقه على ترجمة قوله تعالى : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين من آمن منهم

بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يقول الدكتور بيرون ما يلي : ((سورة القرآن طافحة بثابات التسامح الديني في معنى هذه الاية الا ان كثيرا من علماء المسلمين حملتهم نشوة انتصارات الاسلام وسرعة انتشاره على ابطال حكم هذه الايات تارة بضروب من التاويل وتارة بادعاء النسخ)) . ذكر المؤلف هذا التعليق على وجه المقابلة بين التسامح الذي جاء به الاسلام والتعصب الذي تقراه في اسفار المزامير عند بني اسرائيل وما جاء في معناه عند المسيحيين في الانجيل الثالث للقديس متى . (نقلا عن كتاب تحليل القرآن لجول لابوم صفحة 425) .

هذا التسامح الذي صدر من عمر هو اصدق واجمل تمثيل للعفو عن قدرة اوحى به خلقه الديني الذي جعله في تصرفاته ينظر الى اللب لا الى مجرد الالفاظ والاصطلاحات المتواضع عليها ، والى الحكمة المتوخاة من التعاليم الدينية كما ترشد اليه روح القرآن: « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)) — ((ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر ، من آمن بالله ، واليوم الاخر ، الى آخر الاية)) — من هذه الروح استمد الخليفة مقياس اعماله ومعاملاته مع نفسه ومع الناس ؛ من ذلك ما رواه سالم عن ابيه ان غيلان بن مسلمة طلق زوجاته على عهد عمر وقسم ماله بين بنيه واراد التبتل والانقطاع للعبادة فاستدعاه عمر وقال له اني لا اظن ان الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فنعاه اليك ولعلك لا تمكث الا قليلا وايم الله لتراجعن نساءك ولترجعن في مالك اولا ورثتهن منك ولامرت بقبرك فيرجم كما رجم قبر ابي رغال)) والامر بخلاف ذلك عندنا اليوم ، الفقيه عندنا قصارا ، ان يقول ((ان العصمة بيد الزوج له ان يطلق متى شاء)) يروي ايضا ان عمر كان في جماعة من الصحابة في المسجد ينتظرون الصلاة فالتفت الخليفة الى ابي موسى وقال له : ((اسمعنا شيئا من كلام ربنا)) . فاخذ ابو موسى في التلاوة الى ان تجاوز الوقت المختار فقال احد الصحابة: ((يا امير المومنين خرج وقت الصلاة)) فكان الجواب من عمر : (نحن فيها)) ومن هذا الباب ايضا موقفه رضي الله عنه في مسالة قطع يد السارق انه لا قطع في مجاعة .

من امثال هذه المشكاة السلمية شعت الاضواء على الائمة يشهد لذلك ان المذهب المالكي ولا مفهوم للمذهب المالكي يعتبر في القضاء الظروف ومقتضيات الاحوال لا يقتصر على تطبيق النصوص جافة

الرباط : ابو العباس احمد التيجاني

فكان ايضا فاتح القلوب

وفتحت مكة للاسلام	وحل فيها ظافر الاعلام
ورفق الغالب بالمغلوب	فكان ايضا فاتح القلوب
اطلقهم ، ومن بالامان	« فالطلقاء » هم على الزمان

شوقي



نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 3 -

قبل ان ابدأ هذه الحلقة اريد ان اجيب عن اعتراض تقدم به الى مشافهة نفر من طلبة الجامعة . وينحصر انتقادهم في امرين : احدهما ما قرأوه في المقال الاول من الكلمات الجافية الخشنة الموجهة الى المدعو ريني الحبشي . والثاني قالوا كيف تحتج بالقرآن والحديث على خصمك ، وهو لا يؤمن بهما ، فأجبتهما عن الاول بأن الجفاء والشتم والبذاء كانت ابتداء من الحبشي ، ولم تكن موجهة الي ، ولا الى ابي ، ولا الى شخص احترمه ، بل كانت موجهة الى خالق السموات والارض الذي اعبده ويعبده جميع المؤمنين به فلو ان شاتما شتمني فأجبته بشتم مثل شتمه لرأيتم انني معذور ولم تعتبوا علي ، بل كنتم تلومونه لابتدائه بالظلم والشتم . وهكذا ، لو شتم شخصا محترما عند قومه فعوقب على ذلك بعقاب شديد كالسجن والقتل لقلتم انه يستحق ذلك ، فهل ذلك الشخص في نظركم اعظم من الله ، ام تريدون ان اغضب لنفسي ولقومي ولرؤسائهم ، حتى اذا جاء شخص دسه اعداء قومنا وديننا والحروه بشتم الاعضا واعانة مقدساتنا ، حينئذ نعفو ونصفح ، هذا شأن المنافقين الذين لا مبدأ لهم ولا ايمان . واما ايراد الآيات والاحاديث ، فلم اوردها للاحتجاج بها عليه ، وانما اوردتها تحديا له ان يجد فيها مطعنا ، على ان القرآن لا يفرض على الناس ان يؤمنوا بلا دليل ولا برهان ، وانما امرهم بالنظر في البراهين التي عرضها وبسطها بأسلوب بليغ ، لا ينظر فيه ناظر عاقل منصف الا كان مضطرا للايمان والتصديق .

« من اين سرق الحبشي ذلك الرأي السخيف ؟! »

بعد ما كتبت ما تقدم وجدت النص الذي سرقه الحبشي وتظاهر بانه رأيه الخاص الذي وصل اليه بتفكيره العبقري ، واراد ان يقدمه هدية للتربية العربية تبرعا منه دون ان يلتمسه ملتمس او يسأله سائل .

من حسن المصادفة اني بعد ما فرغت من كتابة الحلقة الثانية ، وذكرت فيها تأليف جوليان هكسلي الانكليزي Julian Huxley الذي اسماه Man Stands Alone اي الانسان يقوم وحده .) ورد العالم الامريكي كريسي موريسن Cressy Morrison بكتابة الذي اسماه Man Does Not Stand Alone الانسان لا يقوم وحده . ومعنى الاسم الاول ان الانسان مستقل بنفسه لا يحتاج الى اله يدبر شؤونه . ومعنى الرد عليه ليس الانسان قائما بنفسه ، بل هو محتاج الى خالقه . وقفت على ملخص لكلام هكسلي في مجلة البعث الاسلامي الهندية في الجزء الرابع والخامس من السنة التاسعة للدكتور وحيد الدين خان ، بعد ما لخص كلام المؤلف الانكليزي عاد عليه بالنقض واورد عليه ردا مفحما لعالم امريكي آخر اسمه (سيسيل بيس هامن . Cecil Bayce Hamann وما لخص كلام هكسلي ليتبين القارئ العربي ان الحبشي سرقه ليتحف به العرب ، ولم يذكر الرد عليه طبعا ، لانه سارق يقصد الهدم والتخريب . وهذا كلام هكسلي مختصرا بعد الترجمة :

ان الديانة لدى مفكري العصر الحديث لا تحمل قيمة ، بل وانها غريزة الانسان التي تدفعه الى تأويل هذا الكون . ان الداعي الى البحث عن التاويل ليس خطأ في نفسه ، غير ان قلة المعلومات هي التي دعت آباءنا الاولين الى ردود خاطئة تعبر عن الاله او الديانة ، والانسان الذي عثر على اخطائه القديمة في كثير من امور الحياة بفضل نهضته العلمية وتقدمه الثقافي بلغ اليوم الى موقف يستطيع فيه اصلاح اخطائه الفاحشة حول تاويل هذا الكون .

وبناء على هذا النوع من التفكير تصبح الديانة تاويلا غير حقيقي لحقائق غير ثابتة ، وبما ان الانسان كان محدود العلم والثقافة قديما لم ينجح في تاويل الوقائع والاحداث ، فاضطر الى اختراع فروض خاطئة باسم الدين ، ولكن قانون التقدم العلمي العام اخرجه اليوم من ظلمات الاوهام الى نور العلوم الحديثة ، فامكن له في ضوء المعلومات الجديدة ان يطلع

على حقائق الاشياء عن طريق التجربة والمشاهدة بدلا من ان يؤمن بعقائد لا صلة لها بالحقيقة اصلا . ولذلك فان الاشياء التي كانت نتيجة اسباب ما فوق الطبيعة في الزمن القديم اصبحت اليوم حقيقة ملموسة مصدرها الاسباب الطبيعية . وقد اثبت الاسلوب الحديث لدراسة الاشياء ان الايمان بوجود الاله لم يكن اكتشافا حقيقيا ، وانما كان ذلك تخمين العهد الجاهلي الذي قضى عليه نور العلم الحديث .

لقد اثبت (نيوتن) انه ليس هناك اله يحكم دورة الافلاك والكواكب ، كما ان نظرية (لابلاس) تصدق ان النظام الفلكي لا يحتاج الى اله يسيره بانتظام . وقد قام (دارون) و (باسجر) باثبات هذا المبدأ في المجال البيولوجي . ان تقدم علم النفس ، وزيادة المعلومات التاريخية في القرن الحاضر ازاح الاله عن مقامه المفروض ليحكم الحياة الانسانية وسير التاريخ .

ان بطل هذه الثورة في عالم الطبيعة انما هو (نيوتن) الذي قدم نظرية ان الكون مرتبط بمبادىء غير قابلة للتغيير والحدوث . وهناك قوانين ثابتة تشرف على حركة الاجرام السماوية كلها . وظهر في الاخير كثير ممن قاموا بهذا التحقيق حتى بدا لهم ان جميع ما بين السماء والارض من الاحداث ، انما هي طوع اشارة لنظام خاص محكم يدعى باسم قانون الطبيعة (Law of nature) وهذا التحقيق يقضي طبعا على وجود اله قادر وراء هذا الكون قائم بتسيير نظام الكون الدقيق . واكثر ما يقال في هذا الصدد هو ان هناك الها حرك جهاز الكون مرة في البدء ، ولذلك كان الناس قديما يؤمنون باله كأول محرك للكون . ويقول (والتير) ان الاله يشبه في تكوين نظام الكون صانع الساعات الذي يركب الآلات الدقيقة في شكل خاص ثم يتركها للناس يستعملون ، دون ان تبقى له علاقة بها . وجاء (هيوم) فقضى على هذا الاله العاطل بقوله : انما رأينا الساعات تصنع ، ولكننا لم نر الاكوان تصنع وتكون ، فكيف يمكن لنا ان نؤمن باله قام بصنع هذا الكون .

تقدم العلوم الطبيعية وتوسعها مكن الانسان مما لم يكن يحلمه من قبل . فقد كنا لا نعرف حادثة كيف حدثت لعدم اطلاعنا على اوضاع الوقائع والاحداث ، ولكنها اصبحت اليوم شيئا معلوما لظهور اوضاعها . واضرب لذلك مثلا ، وهو ان الانسان عند ما لم يكن يعرف كيف تطلع الشمس وتغرب ، كان يعتقد بوجود اله يامر بطلوع الشمس وغروبها . وهكذا نشأت فكرة قوة ما وراء الطبيعة التي كانت تحول كل شيء تجهل مصدره الى تلك القوة . ولكننا الآن حينما عرفنا ان طلوع الشمس وغروبها انما يحصلان بدوران الارض حولها لا تحتاج الى فرض اله ينظم طلوع الشمس وغروبها . وهكذا كل شيء كان مصدره غير معلوم ، وكان يحول الى قوة خفية اصبح اليوم نتيجة عمل القوى المعلومة ورد فعلها في ضوء دراسة العلوم الحديثة . كأن العلوم باسباب الاحداث الطبيعية قضى على حاجة فرض اله ، او قوة ما وراء الطبيعة التي كان الناس قد سلطوها عليهم . ان تسمية قوس قزح علامة الله فوق الشمس ظن خاطىء اذ كان ذلك ينشأ من انعطاف اشعة الشمس على المطر النازل .

رد العالم الامريكي « سيسيل بيس هامن » على هكسلي :

كيف يحتج هكسلي على مبدئه بمثل هذه الافكار ، يقول : ان كانت الاحداث تصدر من اجل اسباب طبعية ، فلا شك ان قوة ما وراء الطبيعة لا تستطيع ان تكون مصدرها . وينبغي ان نبحث الآن عن الحجة التي عرضت في ضوء دراسة الطبيعة . وهي ان دراسة الكون تعطي فكرة ان الوقائع لا تحدث الا وفق مبدء الفطرة . اذن لا حاجة لتاويلها الى فرض اله ، لان المبدأ المعلوم انما هو دليل على وجود الوقائع والاحداث .

وقد رد على هذا النوع من الاستدلال احسن رد العالم الامريكي سيسيل بيس هامن (Nature is a Fact Not an Explanation) يعني ان مبدأ الفطرة حقيقة الكون ، وليس تاويل الكون . سلمنا انكم اطلعتم على مبدأ الفطرة ، ولكن الذي اطلعتم عليه ليس جوابا لتلك المسألة التي يحتج فيها بالديانة . ان الدين يعطي فكرة عن تلك الاسباب والعوامل التي تعمل عليها وراء هذا الكون . على حين ، الاكتشاف العلمي يتعلق بمسألة الكون وهيكله الخارجي . ان العلم الحديث يفسر لنا تفاصيل الاحداث فقط ، وليس هو تاويلها الحقيقي . ان العلوم الطبعية كلها تدور حول الموجود وماهيته، وهي لا تقدر على ان تبحث عن الموجود ، كيف ظهر الى حيز الوجود ولماذا ؟؟ بالرغم مما يعلم الجميع ان علاقة التاويل انما هي بهذا الجانب الآخر .

ولكي نفهم ذلك جيدا اضرب لكم مثلا . كلنا يعلم ان فرخ الدجاج يتربى في جوف البيضة وبانكسارها يخرج الى العالم الخارجي . فكيف يحدث هذا الواقع ، وكيف تنكسر البيضة ويخرج الفرخ الذي لا يعدو ان يكون مضغة لحم ؟ . لقد كان الانسان يجيب على هذا السؤال قديما بان الله هو الذي يفعل ذلك ، ولكن اليوم بعد المشاهدة الآلية بدا ان مدة (21) يوما لا تكاد تتم ، اذ يبدو على منقار الفرخ شيء خشن مثل القرن الصغير ، وذلك هو الذي يساعد الفرخ على كسر البيضة ، والخروج منها . واما هذا القرن الصغير فيسقط بنفسه بعد ولادة الفرخ بايام .

هذه المشاهدة تكذب الوهم القديم بوجود اله يامر بخروج الفرخ لدى جاحدي الدين اليوم ، لان الآلة تبين لنا بكل وضوح ان هناك قانون 21 يوما يحدث خلالها كل ما ساعد الفرخ في خروجه من جوف البيضة ، ولكن ذلك مغالطة صريحة لا غير لان المشاهدة الجديدة تفسر لنا عدة حلقات الواقع ، وبعض اشكاله فقط ، دون ان توضح السبب الاصلي للواقع . ان الفرق الذي حدث بعد هذه المشاهدة الجديدة هو ان مسألة انكسار

البيضة ، انما توقفت على القرن الصغير الذي يحمله الفرخ . اما كسر الفرخ البيضة بقرنه فحلقة متوسطة للواقع ، وليس ذلك سببا له . فان السبب يتضح عند ما نعلم كيفية ظهور القرن على منقار الفرخ . وبعبارة اخرى ، يجب ان نبحث عن السبب الاخير الذي كان يعرف بحاجة الفرخ الى شيء خشن على منقاره للخروج من جوف البيضة . فامر المادة بان يظهر على منقار الفرخ كقرن صغير بتمام 21 يوما ثم يسقط بعد ولادة الفرخ بنفسه . فكأن المسألة تحولت من كسر البيضة الى خلق القرن . والمعلوم انه ليس هنا فرق نوعي في الحالتين كلتيهما . واكثر ما يسمى ذلك مشاهدة واسعة للحقيقة ، دون ان نسميه تاويل الحقيقة . كان الناس فيما مضى من الزمان ينسبون عمل هضم الغذاء وتحلله في الجسم الى الاله ، ولكن العلم الحديث اثبت ان ذلك نتيجة تأثير كيمائي ، فهل كان ذلك نفيا لوجود الاله ؟ ولي ان اسأل ، ما هي تلك القوة التي اوحت الى الاجزاء الكيميائية ان تبدي مثل هذا التأثير النافع ؟؟ . والغذاء عند ما يدخل المعدة ويمر بمراحل متعددة عن طريق نظام متحرك يبدو جليا ان هذا النظام المدهش الغريب ليس مصادفة من المصادفات، ولم يأت الى حيز الوجود بنفسه ، والحقيقة ان هذه المشاهدة تحتم الايمان بوجود اله يقوم باملاء ارادته على الخلق بواسطة قوانينه العظيمة التي خلق الحياة من اجلها .

وبذلك نستطيع ان ندرك حقيقة الاكتشافات الحديثة . ومما لا يسعنا انكاره هو ان علم الطبيعة زاد من معلومات الانسان حول الكون ومشاهداته فيه ، انه استطاع ان يقدم له تلك القوانين الطبيعية التي تحكم الكون وتحركه . واضرب لذلك مثلا وهو ان الانسان في قديم الزمان لم يكن يعرف عن المطر سوى انه ينزل من السماء ، ولكنه عرف الان جميع مراحل المطر التي يمر بها من بخار البحار يصعد الى السماء وينزل الى الارض امطارا ، ولكن هذه الاكتشافات كلها صورة للواقع ، وليست تاويل الواقع ، لان علم الطبيعة لا يعلم الانسان عن قوانين الفطرة كيف اصبحت قوانين . وكيف هي مستمرة في عملها بشكل نافع في السماء والارض ، وبصورة صحيحة يقوم عليها اساس القوانين في علم الطبيعة . والحقيقة ان الطبيعة التي اطلع عليها الانسان فبدأ يدعي انه تمكن من اكتشاف تاويل . مثلا اذا سألت طبيبا عن لون الدم وقلت له ، لم يكون للرد على السؤال الحقيقي ، وتعبير خاطيء عن الحلقة الاخيرة للواقع .

ان الطبيعة لا تؤول الكون ، وانما هي في حاجة الى تاويل . مثلا اذا سألت طبيبا عن لون الدم وقلت له ، لم يكون لون الدم احمر ؟؟ يرد عليك فورا ، ان الدم يحمل كرات صغيرة حمرا ، وهي التي تسبب له لونا احمر . صحيح ، ولكن ما الذي جعل هذه الكرات الصغيرة حمرا ؟؟ . ان هذه الكرات تحمل مادة اسمها (هيمو جلوبين Haemoglobin) وعند ما تدفعها نبضات القلب داخل شبكة شعيرات الرئة الهائلة تتصل كل كرة منها بأوكسجين الهواء الجوي وتتحول الى لون احمر قان .

صحيح ، ولكن من اين جاءت هذه الكرات الحمر التي تحمل مادة (هيموجلوبين ؟؟ انها تتكون في الكبد . فهمت قولك ايها الطبيب ، وهو يثير الاستغراب بدون شك ، غير انني لم اتمكن من ان افهم ذلك القانون الذي يجعل الدم والكرات الحمر والكبد الى غير ذلك من اشياء كثيرة مما يحمله جسم الانسان مرتبطا في نظام دقيق لا يتخلف عن وظيفته في حال ما ؟؟ انه قانون الفطرة .

ما ذا تعني بقانون الفطرة ؟؟

ان معناه ، وظيفة القوة الكيميائية والطبيعة الخرقاء . ولكن ما الذي يجعل هذه الطاقات الخرقاء تعمل عملها بوجه معلوم على الدوام وتدفعه الى مصير معلوم ، وكيف تنظم نشاطها بطريق يوحي الى طائر ليطير ، وسمك ليسبح ، وانسان ليظهر على مسرح الكون بمواهبه الخاصة وكفاءاته المدهشة ؟؟ . وانزعج الطبيب وقال :

لا تسأل عن هذه الحقائق ، فان عالم الطبيعة انما يخبرك عن شكل الواقع وكيفية وجوده في الكون ، ولكنه لا يستطيع الاخبار عن حقيقة الواقع وعن السبب الذي يدفعه الى حدوثه في ذلك الشكل .

ان هذا الحوار يكشف لنا القناع عن وجه الاكتشافات العلمية ، بالرغم مما اعطانا اياه علم الطبيعة من آلات ومرافق وزاد في معلوماتنا زيادة قيمة ، ولكنها لا تنوب عن (الدين) ولا تغني الانسان عنه في اي حال ، وانما هو في حاجة اليه في كل لمحة من حياته مهما تضخمت هذه الاكتشافات وتكدست العلوم الحديثة وتضاعفت ملايين الاضعاف مما هي عليه الان . وذلك لان هذه الاكتشافات تخبر بالواقع الموجود ، ولكنها لا تجدي علما بالسبب الاخير الذي يبعثه الى الوجود ومصدره الذي ينبع منه .

ان الاكتشافات التي تحملها العلوم الحديثة ، انما هي حلقة متوسطة للواقع والحوادث ، على حين الدين حلقة اخيرة لها . وكل شيء يريد ان يحتل محل الدين يجب ان يكتشف الشرح الاخير والكامل للواقع . واضرب لذلك مثلا :

اذا كانت هناك ماكينة مغطاة بغطاء نعلم عنها انها تتحرك فقط ، ولكن اذا رفعنا الغطاء عن وجهها نرى العجلة التي في خارجها كيف تتحرك بعجلة اخرى في داخلها . ثم تلك العجلة الصغيرة كيف تتحرك بقوة آلات كثيرة في داخلها . وهكذا نستطيع ان نطلع على جميع آلاتها وحركاتها ، ولكن ذلك لا يعني اننا كشفنا السر عن وجودها وصانعها . وهل الاطلاع على عمل ماكنة وآلاتها ، يعني وجدت بنفسها وبدون ان تكون وراءها يد صانعة ؟؟ .

كذا لماذا تسنى لنا ان نكشف بعض اسرار هذا الكون ، لم يتسن لنا ان نقوله ان الكون وجد بنفسه ، وهو مشتغل بوظيفته بدون ان تكون هناك يد خالقة قوية . وما اصدق قول (هربز):

ان قانون الطبيعة ، انما يؤول وجود مظاهر الحياة الجميلة ، ولكنه لا يخبر عن تلك الحياة كيف وجدت . انتهى.

حاصل كلام جولين هكسلي

يقول هكسلي : ان الاقدمين كانوا جاهلين بحقائق الكون واسباب مسبباته ، فبحثوا عن تاويل يفسرون به تلك الحقائق والمسببات ، والبحث في نفسه لا يعاب عليهم ، غير انهم لما كان علمهم بأسرار الطبيعة قاصرا افترضوا ان هناك الها هو الذي يعمل تلك الاعمال ويظهر تلك المسببات ويوجدها بلا اسباب ، وظنوا انهم بذلك قد حلوا المشكلة . ولما ظهر العلم الحديث الذي اكتشف حقائق الكون وعرف لكل حادثة سببها لم يعد يعبأ بذلك الافتراض . وبعبارة اخرى ، ان الاقدمين كانوا يخافون من كل ظاهرة تبدو لهم فقدروا وجود الاله ونسبوا اليه كل شيء من شدة فزعهم . فاذا سمعوا الرعد يجلجل قالوا ، ان الله هو الذي خلق تلك الجلجلة ، واذا رأوا المطر ينزل قالوا، ان الله رأى حاجة الارض الى المطر فخلق المطر وانزله عليها . واذا رأوا البرق يلمع قالوا انه نور خلقه ، وتارة يخوف بها الناس . واذا شهدوا زلزلة فسروها بان الله هز الارض بهم ليعرفهم قدرته . واذا رأوا قوس قزح ، قالوا ، هذه علامة الاله فوق الشمس ، الى غير ذلك .

اما في عصرنا هذا ، فكل هذه الامور قد عرف منشأها وحقيقتها واسبابها، فلا حاجة بالناس الى افتراض وجود الاله. ثم نقل كلام والتر الذي قال : ان الاله يشبه في تكوين نظام الكون صانع الساعات الذي يركب الآلات الدقيقة في شكل خاص ثم يتركها للناس يستعملونها ، دون ان تبقى له علاقة بها.

قال محمد تقي الدين كاتب هذا المقال والعجب من هكسلي امام الملحدين في هذا العصر كيف نقل قول والتر ، مع انه ينقض مبدأه ويأتي على بنيانه من القواعد ، لانه اثبت الصانع للساعات ، ثم زعم انها تستغني عنه بعد ذلك ، ولم يحسب حسابا لاختلالها وفسادها وحاجتها الى الاصلاح وادارتها وتسييرها ، ثم انها لا تخلد آلاف السنين ، بل يأتي عليها الفناء فيحتاج الناس الى ساعات جديدة ، ويزيد عدد المستعملين للساعات ، فاذا مات صانعها بقي من يخلق من الناس بعد موته بلا ساعات . وهذا اسفاف من القول ينزه عنه كل من عنده ذرة من العقل . وكيف تشبه السموات بكواكبها وشموسها واقمارها، والارض بحيوانها ونباتها ، فضلا عن الذرة واجزائها التي اكتشفت في هذا العصر بنظام دقيق ، يستحيل ان يكون صنعة الاتفاق ووليد المصادفة بلا خالق قدره بعلمه وحكمته وسيره بقدرته .

ثم نقل كلام (هيوم) الذي قال ، انه شاهد صانع الساعات يصنعها ، ولم ير صانع الاكوان يكونها ، فاين الحواس الاخرى غير البصر ، واين العقل الذي كرم الله به الانسان وفضله به على من سواه من الحيوان والنبات والجماد ، وسخر له به كل شيء ، وجعله سيدا مطاعا متصرفا به في غيره من المخلوقات . فالحمد لله الذي حرم الجاحدين من نور العقل وفضحهم بهذه الاقوال السخيفة المتهافتة المتناقضة ، كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون . فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم، والله لا يهدي القوم الظالمين .

بيان رد العالم هامن على هكسلي

افتتح هامن رده بان الطبيعة هي حقيقة ، وليست تفسيرا للحقيقة . ثم ضرب لذلك امثلة واضحة لا لبس فيها ولا غموض . الاول ، الفرخ في جوف البيضة عند ما يناهز ثلاثة اسابيع يخلق له شبه القرن على منقاره فينقب به البيضة ويخرج ، ثم يزول ذلك القرن . فمن الذي خلقه وصوره من سائل في البيضة الى عظم ولحم ، واعطاه كل ما يحتاج اليه من ساقين يمشي بهما، وجناحين يطير بهما ، وسمع وبصر ومنقار ، وجهاز للتنفس ، وآخر للهضم ، وثالثا للتناسل الى غير ذلك من بدائع الصنع . ولماذا لم ينبت له ذلك القرن الا عند ما احتاج اليه ليكسر به البيضة ، ثم لماذا زال عنه بعد ان لم تبق له حاجة اليه ، فهل هذا كله وقع بدون قصد ولا تخليط على حد لغة الحبشي ولا منهاج ولا تدبير ولا علم ، وانما هو اتفاق ومصادفة ، فاين تذهبون ، وانى تؤفكون وتأفكون ، فانها لا تعمى الابصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

المثل الثاني ، عظم الغذاء . من المعلوم عند جميع الباحثين في نشأة الارض انها كانت في اول امرها غازا ، ثم اخذت تتجسم في ازمنة متطاولة . وحين كانت غازا ، كانت حرارتها اثنى عشر الف درجة مئوية كما حققه رئيس المجمع العلمي الفلكي الامريكي « كريسي موريسن » في كتابه (الانسان لا يقوم وحده » المتقدم الذكر ، واخذت تبرد بانقلاب الغازات الى امطار ، وتكتل مادة الارض وتجمدها في احقاب واحقاب . ولم يكن هنالك مجال لوجود الحياة فيها بأي شكل من الاشكال حتى بردت ، ثم دحيت وتميزت جبالها من سهولها واوديتها في المقدار القليل الذي هو اليابسة ، واستقرت البحور في اماكنها بعد الطوفان المتكرر الذي كان يغمر وجهها ، وحينئذ تهيأت لوجود الحياة فيها .

واتفقوا ايضا على ان اصل الحياة كلها واحد ، وهو ذرة لا ترى بالبصر ، ولكنهم عجزوا ان يعرفوا كيف نشأت هذه الذرة ، ومن اين جاءت امن داخل الارض التي كانت نارا حامية ، ام من كوكب آخر ، وكيف تنوعت الحياة من تلك الذرة الى انواع لا تعد ولا تحصى مختلفة الاشكال والحجوم

والطباع ، فمن الذي اوجدها ، ومن الذي نوعها ، وعين لكل نوع منها ما يصلح له ويلائمه على احسن وجه . ومن هنا ننتقل الى هضم الغذاء . كل شيء يتصف بالحياة من انسان وحيوان ونبات، لا بد له من هضم وتعويض ، وذلك التعويض هو الغذاء، فان مادة الحي يتحلل جزء منها دائما ويستعاض عنه بتكون جزء جديد بواسطة الغذاء ، حتى قيل ، ان الحيوان عموما ينعدم في سبع سنين ويجدد بناء جسمه . وسواء أكان هذا كما قيل ام لا ، فالغذاء والهضم ضروريان لكل حي . وقد اكتشف العلم الحديث ان الجسم الحي مركب من عناصر مختلفة ، وكل ما يتحلل منها يعوض بمثله من الغذاء . وانتقال الغذاء من حالة كاللحوم والخضر والحبوب بالنسبة الى غذاء الانسان الى ان يصير لحما وعظما وعصبا وغضاريف وغيرها ، ثم الى ان يتحد كل عنصر بما يماثله في الجسم يمر بأطوار كثيرة دقيقة ، ويحتاج الى آلات ومعامل كيماوية ، كل منها يقوم بما يختص به في تناسق وتضامن مع الآلات الاخرى . وقد بسطت القول فيما ترجمته وعلقت عليه من كلام كريسي موريسن في رده على جوليان هكسلي الذي سرق الحبشي كلامه . ونشر في المقال السادس عشر تحت عنوان (دواء الشاكين وقامع المشككين) في الجزء الثاني من السنة الخامسة من مجلة « دعوة الحق » . في الفصل الذي عقده المؤلف المذكور للبحث في الهضم تحت عنوان (اكبر معمل في العالم) فارجع اليه ايها القارئ ان اردت تفصيل القول في الغذاء وهضمه ، والاستدلال بذلك على ان لهذا الكون مدبرا حكيما عليما . والحاصل ان نظام الهضم يدل على منهاج موضوع من قبل ، وتطبيق دقيق ناشئ عن علم وارادة وحكمة ، ولا يقبل العقل غير هذا ابدا .

المثل الثالث ، نزول المطر .

عوام الناس قديما وحديثا لايعرفون من حال المطر الا انه ماء ينزل من السماء لري الارض واعداد ثمارها وحاصلاتها ، وهو مقدر بقدر ، وموقت باوقات تناسب حاجة الناس اليه . اما الباحثون فيعلمون ان المطر يتبخر من البحار بسبب الحرارة ويصعد الى الطبقات العليا من الجو فيبرد وينقلب ماء فينزل على الارض مطرا وبردا وثلجا وجليدا . وقد عرف الناس هذا منذ زمان قديم . قال ابو ذؤيب يصف سحابا .

شربن بماء البحر ثم ترفعت
متى لجج خضر لهن نئيج

قال العيني في شرح الشواهد : قاله ابو ذؤيب يصف به السحاب من قصيدة من الطويل . الضمير في شربن يرجع الى السحب ، وضمن معنى روين ، فلذلك وصلت بالباء ، وقيل شاذ، وترفعت اي توسعت . والشاهد في متى لجج ، فانها حرف جر هاهنا بمعنى من ، وهي لغة هذيل . ولجج جمع لجة ، وهي معظم الماء . ونئيج مبتدأ ، ولهن خبره ، من نأجت الريح تنأج نئيجا تحركت ولها نئيج ، اي مر سريع مع صوت . انتهى .

يعني شربت السحائب من ماء البحر ثم ارتفعت من معظم ماء البحر وهي لججه يسمع لمر الريح فيها صوت . وهذا يثبت ان العرب كانت تعرف ان اصل المطر من البحر . قال الخضري في حاشيته على ابن عقيل . والصبان في حاشيته على الاشموني: تزعم العرب والحكماء انها (اي السحائب) تدنو من البحر الملح في اماكن مخصوصة ، فتمتد منها خراطيم عظيمة كخراطيم الابل فتشرب من مائه بصوت مزعج ، ثم تصعد في الجو فيلطف ذلك الماء ويعذب باذن الله تعالى في زمان صعودها في الهواء ، ثم تمطره حيث شاء الله تعالى . انتهى . وقال المتنبي :

كالبحر يقذف للقريب لآلئا
ابدا ويبعث للبعيد سحائبا

وهذا يدل على ان المتنبي كان يعرف ان السحاب من البحر ، والمطر من السحاب . ومعرفة ذلك ليست جوابا عن سؤال ، لماذا تبخرت البحار وصعد بخارها الى اعالي الجو ، ثم وزع نقط مطر او حبات برد ، او ثلج ، كل ذلك بقدر معلوم . ولماذا ينزل في اوقات معلومة ولا ينزل في اوقات اخرى ، وما الذي جعل فيه الحياة بخلاف الماء الذي يبخره الانسان من ماء البحر فيصير عذبا صالحا للشرب ، ولكنه لا ينبت شيئا . وما احسن قوله تعالى في سورة الزخرف 9 ـ 11 « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم . الذي جعل لكم الارض مهادا ، وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون . والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون » .

المثل الرابع مناظرة الطبيب في حمرة الدم

وهي واضحة لا تحتاج الى تعليق . وما مثل الذي يكتشف قوانين الكون ونظمه ، يقتنع بذلك ويزعم انه بلغ الغاية في العلم باسرار الوجود وينفي ما عدا ذلك الا كمثل بدوي دخل السينما لاول مرة فرأى فيها اشخاصا يتحركون ويتحدثون ، ورأى فيها معامل ورجالا يشتغلون فيها ، وبحورا وجبالا وغيرها من المناظر فتعجب منها كل التعجب ونفى ان يكون هناك احد قد صورها ورتبها واخرجها بتلك الصور . هذا على سبيل التقريب ، والا فان عجائب السموات والارض واحكام صنعها لا مناسبة بينها وبين السينما ..

هذا وموعدنا المقال الرابع حيث نذكر اقوال الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين في هذه المسألة ان شاء الله .

الدكتور تقي الدين الهلالي



نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ : عبد الله كنون

- 2 -

حرف الباء

45) فى ص ع ل ، ذكر باب المندب وضبط بكسر الدال وهو بفتحها .

46) وفى هذا المحل ايضا ذكر الشيخ احمد بابا السوداني فقال حبسه السلطان احمد فى مراكش ، ولم يبين من هو السلطان احمد ، وذكر ان من مؤلفاته : ((تكملة الديباج لابن فرحون كذا)) ولم ندر لماذا زاد كذا هذه ، ولتمام الفائدة ، كان ينبغي ان يقال حبسه السلطان احمد المنصور الذهبي ، فاتح السودان من ملوك الدولة السعدية (956 / 1012) واما عن مؤلفات المترجم فله حقيقة تكملتان لكتاب الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب يعني مذهب الامام مالك لابن فرحون ، واحدى التكملتين مطبوعة بهامش الديباج واسمها نيل الابتهاج ، والاخرى اسمها كفاية المحتاج ولا موجب لكلمة كذا فى هذا التعريف .

47) فى الصفحة نفسها ع ، ني ذكرت مدينة بابليون وضبطت بفتح الباء الثانية والمعروف كسرها .

48) فى ص 57 ع ، ني ترجمة لابن باجة الفيلسوف الاندلسي المعروف جاء فيها : « انه ولد فى سرقسطة وانتقل الى فارس ، ولاشك ان المراد فاس عاصمة المغرب ، فهي التي انتقل اليها الفيلسوف وعاش بها الى ان مات مسموما بتدبير خصومه من الاندلسيين ، وما اشار اليه الكاتب من اتهامه بالالحاد وايهام ان موته كان بسبب ذلك لا اصل له ، كما ان ما قاله من انه حامى عن الفلاسفة ضد الغزالي لا يعرف ، والذي رد على الغزالي وانتصر للفلاسفة هو ابن رشد على ما هومعلوم

49) فى ص 58 ع ، ل ترجمة لباديس بن حبوس ملكة غرناطة ورد فيها انه حارب العباسيين فى اشبيلية محاولا احتلال الاندلس ، والصواب ان يقال : حارب العباديين ملوك اشبيلية طمعا فى ضمها الى مملكته ، والمؤلف يستقي معلوماته هنا من دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) وهي ايضا قد اشتبه عليها اسم العباديين بالعباسيين .

50) فى ص 61 ع ، ل تعريف بباقل الذي يضرب به المثل فى العي ، وصف فيه بالربعي بسكون الباء نسبة الى ربيعة والصواب فتح الباء على القاعدة المعروفة فى هذه النسبة .

51) فى المحل نفسه ترجمة لعبد الرحمن باكثير الحضرمي ، جاء فيها ما يلي : ((الف (نحو 1670) كتاب كشف الغبار على الاشارات فيما بقي من هذه الدار ، والعبارة توهم ان تاليفه بلغت ذلك العدد والصواب ان يقال : ((توفي حوالي 1670 والف كتاب (كشف الغبار) الخ .. ثم ان اسمه ضبط بسكون الكاف ونظن ان الصواب هو الفتح ليلا يجتمع ساكنان ، هذا والتصحيح من كتاب هدية العارفين لاسماعيل البغدادي .

52) فى ص 64 ع ، ني ترجمة لابي يزيد البسطامي المتصوف المعروف جاء فيها : ((انه اول من قال بمذهب الفناء وتاليفه الكل ، وهذا من زيادات المؤلف فان الذي فى دائرة المعارف الاسلامية ـ وهي مصدر الترجمة انه كان يقول بوحدة الوجود وانه ربما كان اول من قال بمذهب الفناء ، وذلك اخذا من الكلمات التي تنسب اليه ، ومعلوم ان وحدة الوجود ليست هي تاليه الكل الذي عبر به المؤلف ، وان كونه اول من قال بمذهب الفناء انما هو استنباط من كلمات نسبت اليه ولا يمكن الجزم به بمجرد ذلك وقد احتاطت الدائرة فقالت انه ربما كان اول من قال بمذهب الفناء واطلق المؤلف الكلام فى ذلك اطلاقا ، هذا وقد قال المؤلف فيه :

بايزيد او ابوزيد ولعله اراد ان يقول ابو يزيد، والتعريف الصحيح هو ان يقال ابو يزيد او بايزيد بالتخفيف واما ابو زيد فلم يقلها فيه احد على ما نعرف .

53) في ص 65 ع ، ني وقع ضبط بجاية من مدن الجزائر بضم الباء وتشديد الجيم وهو غير صحيح قال في معجم البلدان ، بجاية بالكسر وتخفيف الجيم والف وياء وهاء .

54) في المكان نفسه تعريف بقبيلة بجيلة العربية ، ضبط فيه اسم القبيلة بضم ففتح وهو خطأ ، فانها بفتح الباء وكسر الجيم ، والنسبة اليها على القاعدة بجلي بفتحتين وجاء في التعريف ان هذه القبيلة حطت في جبال سراط بالقرب من الطائف ، وفي دائرة المعارف التي يستمد منها المؤلف انها نزلت جبال سارات بالقرب من الطائف ، وكلا اللفظين خطأ فانها جبال السراة .

55) في ص 66 ع ، ل ترجمة للعلامة يحرق اليمني وضع فيها ضبط اسمه بضم اوله وثالثه والمعروف بفتحها وذكر له مؤلفا سماه النبضة المحررة هكذا بالضاد وهي النبذة .

56) في ص 68 ع ، ل ذكر وقعة بدر المعروفة بين المسلمين والمشركين من اهل مكة ، فقال فيها بدر او بدر حنين ولا ندري ما معنى اضافها لحنين ومن اين جاء بذلك ، ولعله رأى او سمع الكلام على وقعتي بدر وحنين فظنهما وقعة واحدة تضاف احداهما الى الاخرى

57) في ع ، ني من الصفحة المذكورة ترجمة للبراء بن عازب الصحابي وقد ضبط اسمه بفتح الباء وتشديد الراء : قال النووي في تهذيب الاسماء واللغات : فهو بتخفيف الراء وبالمد ، هذا هو الصحيح المشهور عند طوائف العلماء من اهل الحديث والتاريخ والاسماء واللغات والمؤتلف والمختلف وغيرهم ، وحكى فيه القصر ، انتهى ومثله يقال في البراء ابن معزور المذكور بعده يليه في العمود نفسه .

58) في ص 71 ع ، ل ترجمة لابن بري المقرىء وقع وصفه فيها بالرباطي بفتح الراء ، والصواب كسرها مع العلم بان هذه النسبة الى رباط تازة لا الى رباط سلا الذي هو عاصمة المغرب اليوم ، ولذلك يجب التنبيه عليها او وصفه بالتازي كما هو المتبع فيه عند الاطلاق .

59) في ع ، ني من الصفحة نفسها تعريف ببراغوطة منقول عن دائرة المعارف الاسلامية مع اختصار مخل ، وهو هذا : مجموعة قبائل المصمودة قديما كانت تقطن اقليم تامسنا وهو اليوم اقليم شادية (المغرب) وكانت من الخوارج ، والذي في الدائرة ان برغواطة اسم كان يطلق فيما سبق على مجموعة من قبائل المصمودة ، كذا والمراد المصامدة ، على ان ما ذهب اليه ابن ابي زرع هو انهم لا ينتمون الى اب واحد وانما هي اخلاط من البربر وقوله في اقليم تامسنا هو اليوم اقليه شادية تصحيف والصواب الشاوية بالواو كما جاء في الدائرة وكانت برغواطة خارجية في اول الامر ثم وضع لها زعيمها صالح ابن طريف ديانة خاصة ، وقد قاتلهم عبد الله ابن ياسين زعيم المرابطين سنة 450 هـ فذهبت ريحهم .

60) في المحل المذكور ذكر اسم برقة من ولايات طرابلس الغرب او ليبيا المعروفة فرسم بالف هكذا البرقا والصواب رسمه بتاء مربوطة .

61) في ص 75 ع ، ل ترجمة لابن بسام مؤلف الذخيرة اثبت فيها اسم الكتاب بالزاي وهو تصحيف

62) في المحل المذكور تعريف بمدينة بسطام ضبط فيه اسمها بضم الباء وهو بالكسر ، هذا وقد اعاد المؤلف بعد التعريف ببسطام ترجمة ابي يزيد البسطامي من غير ان يكنيه ، فقال فيه : (البسطامي (بضم الباء، وهو خطأ كما علمت) طيفور ، ولد ببسطام وتوفي فيها (874) من مشاهير صوفيي زمانه ، فقيه (كذا) تعلم التوحيد والحقائق ونظرية الفناء على ابي علي السندي ، يسمى تلاميذه الطيفوريون ، وظاهر ان الفناء هنا المراد بها الفناء كما تقدم في ترجمته السابقة ، وان قوله يسمى تلاميذه (الطيفوريون) صوابه (الطيفوريين) .

63) ج ع ني من الصفحة المذكورة ذكر اسم بسكرة الواحة الجزائرية هكذا بسكرى والمعروف في كتابتها بسكرة بالتاء المربوطة .

64) في المحل المذكور ايضا تعريف بالبسوس ، ضبط فيه هذا ان رسم بضم الباء ، وهو بفتحها وجاء في التعريف انها شاعرة جاهلية استحثت قومها على الحرب التي سميت باسمها ، ولم تشتهر البسوس بالشعر وان كانت الحرب بين قومها بني تغلب وبني بكر قامت بسببها وتسب لها في ذلك شعر لا يصح .

65) في ص 76 ع ، ل ترجمة لبشر بن ابي عوانة ، جاء فيها انه من صعاليك العرب يغور على احيائها ، اخباره اسطورية .. والصواب يغير من اغار ، ثم ان بشرا نفسه على التحقيق شخص اسطوري اخترعه بديع الزمان وبنى عليه المقامة التي تحمل اسمه في مقاماته المعروفة.

66) في المحل المذكور ترجمة لبشر المرسي بفتح الميم وتخفيف الراء وقد تشدد ، والمؤلف جعله المتريسي بزيادة نون بين الميم والراء وهو غلط .

67) في ص 80 ع ، ل ترجمة للبغوي ، الامام المحدث المفسر ، ضبط فيها اسمه بسكون الغين وهو بفتحها .

68) في الصفحة نفسها ع ، ني تعريف ببقع الفرقد او مقبرة البقيع المعروفة في المدينة المنورة ، ضبط الاسم بضم الباء وفتح القاف على صورة التصغير وهو مكبر بفتح الباء وكسر القاف ، وقال ان اول من دفن فيه الزاهد عثمان بن مظعون صاحب النبي وولده ابراهيم وزوجاته ، وهذا ربما اوهم ان ابراهيم ولد عثمان بن مظعون في حين انه ولد النبي (ص) ، ولم يتوف من زوجاته (ص) بالمدينة في حياته الا زينب بنت خزيمة الهلالية فعلى تسليم انها من اول من دفن في البقيع فكيف يقال وزوجاته بالجمع ؟ ..

69) في ص 81 ع ، ل ترجمة لابن بكرة الصحابي واسمه نفيع بالتصغير وهو عنده مكبر بفتح الفاء .

70) في ص 82 ع ، ل ترجمة لبلال الصحابي ضبط فيها اسمه بضم الباء وهو بالكسر ، وقال هاجر صحبة النبي الى المدينة ، اما انه هاجر الى المدينة فصحيح واما كونه هاجر صحبة النبي (ص) فلا ، وذلك انه من المعروف انه لم يكن في صحبة النبي (ص) حين هاجر الا صاحبه ابو بكر (ض) .

71) في ص 84 ع ، ني ترجمة للبلوي صاحب كتاب الف باء ضبط فيها السلام من البلوى بالسكون وهو بالفتح نسبة الى قبيلة بلي على القاعدة ، وقال ان كتابه مخطوط في برلين وهو مطبوع بمصر منذ ما يقرب من قرن .

72) في ص 85 ع ، ني تعريف بمدينة بنغازي جاء فيه: بلدة في القيروان (ليبيا) والقيروان في تونس لا في ليبيا فلو قال بلدة في ليبيا وحذف القيروان لكان اخصر واصح .

73) في ص 87 ع ، ل تعريف بقرية البهاليل المغربية جاء فيه : قرية في جبل قندر والصواب كندر بالكاف ، ثم قال : قيل انهم ينتسبون الى اصل مسيحي ومن اجل ذلك لقبت قريتهم بالبهاليل ، ولا ندري ما العلاقة اللغوية بين معنى البهاليل واصلهم المسيحي لو كان مسلما ؛ على ان الذي زعمه بعض البحاث الاوربيين هو ان اصلهم من اوربا وبالضبط من بلدة شقوندا ، ولا يلزم من ذلك ان يكونوا مسيحيين ، فان مهاجرة الاندلس الذين قدموا المغرب كانوا كلهم ملسمين ولو كانوا مسيحيين لما هاجروا من بلادهم ، والحق ان البهاليل يرجعون في اصولهم الى اجناس مختلفة عربية وبربرية واندلسية مثل سكان المغرب على العموم .

74) في ص 90 ، ع ، ل : بوشرون مدينة في شمال المغرب الاقصى (35 000) مركز زراعي (واسم بوشرون فرنسي اطلقه المستعمرون على مركز (المذاكرة) وانتهى امره مع انتهاء الاستعمار الفرنسي الى حيث الفت .

75) في الصفحة نفسها ع ، ني : «بوالعون بلدة شمال المغرب الخ)) صوابه بولعوان .

76) في ص 91 ع ، ل : « بولهوت قرية في شمال المغرب الخ)) يقال فيه ما قيل في بوشرون والاسم العربي للقرية : ابن سليمان

77) في ص 93 ع ، ني تعريف لبيت جبرين جاء فيه : مدينة واقعة جنوبي غربي اليهودية (فلسطين) الخ ومثل هذا جاء في تعريف بيت لحم بل فيه انها : بلدة في اليهودية (فلسطين) فهل في قاموس عربي يوضع للعرب تسمى فلسطين باليهودية ويصير اسمها الاصلي مذكورا بين هلالين على حسب التبعية للتفسير فقط ؟ اخشى ان يكون الاب توتل ليس عربيا . يضاف الى هذا ما في قوله: (جنوبي غربي) من الركاكة ، وكان عليه ان يقول جنوب غربي او جنوبي غرب .

78) في ص 94 ع ، ل تعريف ببيت المال جاء فيه ما يلي : ((واهم موارده الخراج والجزية والجالية والزكاة والخمس والمواريث الحشرية ، ولم نعرف ما مراده بالجالية ولا ما معنى هذا الوصف بالحشرية للمواريث؟

79) في الصفحة المذكورة ع ، ني تعريف ببئر السباع نصه : (بلدة في فلسطين (3356) اخذها الجنرال اللنبي (Allenby) الانجليزي من الاتراك في وقعة 31 تشرين الاول 1918) لم يجد المؤلف ما يذكر من التعريف ببئر السباع الا هذه الواقعة التي تسلم فيها الجنرال الصليبي هذه البلدة من الاتراك بمساعدة العرب الذين انضموا الى الحلفاء في الحرب العظمى رغبة في تحقيق استقلالهم ومع ذلك فقد خرج منها النبي وضربت الوصاية على فلسطين ، فماذا يعني التنصيص على تلك الواقعة بالذات يكاد المرء يقول : ان مصيبة العرب من بعض طوائفهم اعظم من مصيبتهم بالانجليز او غيرهم من المستعمرين .

طنجة : عبد الله كنون



لطالما ترنمت بقصائد المتنبي لكي اجد روحا خاصا حين انشد من هذه القصائد الخوالد شعره في فاتك الرومي ، ابي شجاع ، الذي كان يسمى بالمجنون .

ولقد كان فاتك احد افذاذ القواد في جيش كافور الاخشيدي ، اواسط القرن الرابع للهجرة .

ولا بد من ان اتقصى اصل الاول ، على منابته واثرها في نفسه وحياته فاجيء ايام الغزاوة العربية للديار البيزنطية ، فاجده قد اخذ وهو صغير ، في سبي من السباء . والظاهر في اخباره انه لم يكن وحده الذي اخذ في السبي ، وانما كان مع اخ له واخت ، حين كان المحاربون الروم يدهمون الثغور الشامية فيسبون ويقتلون ويفوزون بالغنائم ، فيرد عليهم العرب بمثل ذلك ، مترفقين ، اذ كانوا كما يشهد التاريخ الشرقي والغربي ، ارحم الفاتحين ولغوستاف لوبون قولة في ذلك ، وهي : لم يعرف التاريخ ارحم فاتحا من العرب .

ولعل فاتكا واخاه واخته ، اخذوا انقاذا واستحياء ، في صحمة عربية على هاتيك الديار ، من سهول الاناطوليك البيزنطية ، في موضع قرب حصن كان يعرف باسم « حصن ذي الكلاع » .

وكان الاسرى وبخاصة الصغار منهم تتقاذفهم ايدي الاغنياء فيباعون من بلد الى بلد ، فكان حظ « فاتك » ان وصل الى فلسطين ، وهو ناشيء صغير الى رجل من سراة مدينة « الرملة » وكانت الرملة يومئذ باقطاع الاخشيد ، فاعجب بفاتك احد اعوانه ، فاخذوه من سيده الذي كان عنده بلا ثمن ، اقتدارا وكرها ، ولما عاين الذي اخذه ذكاءه ، ورأى مخايل النبوغ فيه ، اعتقه ، فملكه نفسه ، وجعله في عديد جنده . ولم يمهل فاتكا قدره ، حتى ظهر منه ما ادهش صحابه ، من كرم النفس وبعد الهمة ، فاذا هو يدخل المعارك ، ويخرج منها مظفرا ، وحين تكرر منه ذلك ، اطلق عليه المعجبون به لقب (فاتك) ومن معاني الشجاعة والاقدام في لغة العرب الفتك ،وكان من اقدامه واندفاعه في الحروب جنونه في القتال ، فسمي (المجنون) لا لفقد العقل ، وانما لفقد الخوف ، وللتهور والاندفاع بشجاعته بغير احتساب . وهذه الحالة كانت تعتري الخوارج في حروبهم وهي مزية لا يؤتاها كل مقاتل الا من اخلص وجهه لله ابتغاء النعيم ، بعد هذه الحياة الدنيا ، او من تفانى في حب وطنه ، وآثر الموت على الحياة في سبيل الكرامة الانسانية .

وكان كافور صديقا لفاتك ، خدما معا صاحب مصر الاخشيد ، فكان كافور من مستشاريه المقدمين في قصره ، وكان فاتك من قواده الشباب المتفوقين في الجيش ،ولم تكن تلك الصداقة الا في سبيل ما وظف لهما من العمل في قصر السلطان وجيشه . وقد حدثت حادثة جليلة في حياة فاتك وكافور معا ، وهي موت الاخشيد ملك مصر ، وكان ابنه (طغج) حدثا صغيرا ، لا يجوز توليه الحكم ، فاستوصى به رجال القصر كافورا ، اذ كان اقرب الحاشية الى ابيه ، واخلصهم في العمل ، ولم يطل الامر بوصاية كافور على الملك اليتيم ، اذ غدا هو الحاكم فوجد فاتك في نفسه ما يبعده عن كافور ، فآثر التجافي ، فابتعد عن القاهرة ، وسكن « الفيوم » ، وكانت اقطاعا له وما والاها ، وكانت الفيوم وبئة لا تصلح مسكنا ، فمرض فيها واعتلت صحته اعتلالا كثيرا . حتى استحكمت العلة في جسمه ، واحوجته الى دخول مصر للمعالجة ، فجاء القاهرة ، وكان يومئذ فيها ابو الطيب المتنبي ، يعاني من كافور ورجال قصره ما يعاني من خوفهم منه وحسدهم اياه ، اذ كان ابو الطيب في تاريخنا السياسي والادبي مرهوب الجانب ، لما كان يملك من الشعر الخالد الذي كان بوسعه ــ ولا يزال حتى اليوم على الرغم من ترادف العصور ــ ان يميت الشخوص وهم احياء وان يحييهم وهم اموات .

ويشاء القدر ان يجمع قلب فاتك على قلب ابي الطيب في الوقوف حيال كافور وقفة يوثق بينهما ، فيها الكره له ، والاحتقار للنفس في خدمته ، وكان ابو الطيب قادما من خيبة حظه في حلب عند سيف الدولة ملتجئا الى حمى كافور ، فخشي كافور ، بوسوسة من حاشية ، هذا الشاعر العظيم الذي اتهم يوما

بادعاء النبوة ووجد فيه المطالبة بالاشتراك في الحكم تصريحا لا تلميحا ، بقوله له

اذا لـم تنـط بي ضيعـة او ولايـة
فجودك يكسونـي وشغلـك يسلـب

وكان الشاعر الاعظم قد يئس من انتظار الجود ، اذ يقول قبل هذا البيت ، وهو يدعو كافورا « ابا المسك » :

ابا المسك هل في الكأس فضل اناله
فانـي اغنـي منـذ حيـن وتشـرب

وهذا كناية بالغة اراد بها المتنبي ان يعرب عن ذلك الانتظار ، وتراخي كافور ، وكان يجد بينهما التباعد ، حتى قال الشاعر الغريب ، وكان يسكن في صفاف النيل بجيزة الفسطاط على مقربة من صاحب البلاد ويبيت طويلا متقلبا على الهم دون ان يدنيه ممدوحه ، وشهد على ذلك قوله في شعره :

ارى لي بقربي منـك عينـا قريـرة
وان كـان قربـا بالبعـاد يشـاب

فكانت هذه العوامل جامعة بينه وبين فاتك ، ابي شجاع ، وكان فاتك موسرا كريما يذ الاجواد بعطاياه ، فاغرى كرم نفسه ، وجود يده شاعرنا ، فراح يمدحه ، فكانت اول قصيدة في مدحه اياه مثل صاعقة نزلت على كافور ، اذ احس — لا بد — ان هذ الضرب من المديح لفاتك خصمه المبطن جاء من الشاعر مدحا صادقا نابعا من القلب ، وواقعا في القلب . وكان كافور يعلم — بينه وبين نفسه ان مدائح المتنبي له لم تكن الا صنعا ، وان كل كلمة فيها كانت تمشي الى سمعه متثقلة بالكلفة ثقل الرصاص ، ولست ادري كيف كانت حال كافور بعد ان فارقه المتنبي وانقلب مدحه له هجاء مقذعا عنيفا كل العنف ، وكيف كان وقع هذا البيت على سمعه ، لا سيما اذا كانت في يده مرآة يتمرى بها ويرى وجهه حيث يقول شاعر ، بعد ان فارقه هاربا منه ، وقد اتخذ الليل جملا :

وشعـر مدحـت بـه الكركـدن
بيـن القريـض وبيـن الرقـى
ومـا كـان ذلـك مدحـا لـه
ولكنـه كـان هجـو الـورى

وهذه الحالة النفسية التي كان فيها ابو الطيب حين قال هذا الهجاء العجاب ، كانت حالة تعتري كل يائس ضيع آماله ، وآب من الغنيمة بالفشل والخسران ، واذا لم يعرب الشاعر عن آلامه ومواجده فمن يقوم عنه بالاعراب عنها ؟ فكانت البشرية باجمعها مدينة لشاعر العرب الاعظم ، اذ الجأته في حياته الى ان يمدح ملكا ككافور ، فهو يقول انه بهجاه له ، هجا الدنيا ومن فيها — سامحه الله — .

وكانت العيون والارصاد مبثوثة على الشاعر والقائد ، فهاج نفس الشاعر مدح القائد،لكثرة ما بلغه من شجاعته وكرمه، لكنه لم يجسر على مدحه خشية من السلطان ، وكان فاتك يسأل عن ابي الطيب ويسعى للاجتماع به ، فقامت المراسلة السرية بينهما بادئة بالسلام والاعجاب ، ومنتهية باللقاء ، وكم احب ان اذكر فيها شوقيا شاعر العصر ، حين قرر في الحب مبدأ النظرة والسلام ثم الانتهاء الى اللقاء :

نظـرة فابتسامـة فسـلام
فكـلام فموعـد فلقـاء

كذلك التقى ابو الطيب بفاتك بالصحراء ويذكر المؤرخ الادبي ابن خلكان ان ذلك اللقاء كان مصادفة ، وانني لمن وراء العصور ، معتمدا على التحليل النفسي ، ازعم انه كان قصدا وتعمدا ، جرت في سبيله المراسلة ، فجرت بين فاتك والمتنبي مفاوضات ولم يفصح ابن خلكان عن ماهية هذه المفاوضات لكن الكلمة وحدها دالة على ذاتها ومعناها ، ولعلي ازعم ان ابا الطيب بيت مع فاتك امرا بشأن كافور .

ابـو شجـاع فاتـك

ولم يكد المتنبي يصل الى داره حتى وصلت اليه هدايا فاتك واحماله ، في ساعته ، بقيمة الف دينار ، ثم اتبعها فاتك بهدايا وتحف .

وقامت العقبة امام الشاعر ، اذ كيف يقدم على مدح قائد في جيش كافور ، فلم يجد بدا من استئذانه بذلك ، فدخل عليه مستأذنا في مدحه .

وكان كافور داهية ، علا به ذكاؤه حتى تملك ، فاذن للشاعر في مدح خصمه ومبغضه ، وما كان ذلك الا لكشف الستر عن الاثنين معا ، فاقدم المتنبي على مدح فاتك بالقصيدة اللامية ، وهي اول امدوحة له فيه ، في التاسع من جمادي الآخرة ، سنة ثمان واربعين وثلاثمائة ، وما كان المتنبي في يوم من ايامه خانعا ولا ذليلا ، ولطالما ركب الدروب مبوقا ، وهو ابو الحرية والبأس ، ومعلم المنطق المبين ، فبدأ قصيدته ببيت يفوح هجاء بكافور ، وهو الذي يقال له فيه :

لا خيل عنـدك تهديهـا ولا مـال
فليسعد النطق ان لم تسعـد الحـال

واخذ يعتذر عن الافصاح والاندفاع في مديحه ، فشبه بطئه بجواد قد احكم قيده ، فلم يستطع ان يجري ، لكنه اخذ يعبر عن رغبته في الجري والاتجاه اليه بالصهيل ، فقال

وان تكن محكمات الشكـل تمنعنـي
ظهور جـري فلـي فيهن تصهـال

وما شكرت لان المال فرحني
سيان عندي اكثار واقلال
لكن رأيت قبيحا ان يجاد لنا
واننا بقضاء الحق بخال

ويدلني هذا البيت على ان المبادرة كانت من نحو فاتك الى ابي الطيب ، اذ كان مثله في عظمة منزلته الحربية وشجاعته وقيادته يشوقه التخليد في شعره كشعر المتنبي الذي خلد سيف الدولة ، وحق لمثله التخليد ، بقوله في هذه القصيدة :

كفاتك ودخول الكاف منقصة
كالشمس قلت وما للشمس امثال
القائد الاسد غذتها براثنه
بمثلها من عداه وهي اشبال
تغير منه على الغارات هيبته
وما له باقاصي الارض اهمال
يريك من مجده اضعاف منظره
بين الرجال وفيها الماء والآل

وكانت كلمة المجنون التي نبذ بها فاتك لشجاعته الخارقة ، لا شك تنقصه ، وان تكن دالة على فتكه ، وقد تعود الحاسدون في كل عصر ومصر ان يصموا النوابغ بكلمات الاذى ، فالصقوا بفاتك الشجاع كلمة المجنون ، فجاء المتنبي المرصود لازالة هذه الوصمة عنه ، فقال فيه :

وقد يلقبه المجنون حاسده
اذا اختلطن وبعض العقل عقال

والضمير في اختلطن يعود الى الرماح السمر والسيوف البيض .

وفي هذه القصيدة نار رمى بها المتنبي ،خص بها كافورا ، معرضا في مدحه لفاتك عند قوله :

اذا الملوك تحلت كان حليته
مهند وأصم الكعب عسال
ابو شجاع ابو الشجعان قاطبة
هول نمته من الهيجاء اهوال

وهل كان كافور ذلك اليوم الا عليه التاج ، وبيده الصولجان بحلية وزينة ، عرض بها الشاعر .

وفي هذه القصيدة وضع ابو الطيب بيتين يسايران الكواكب علوا وبهاءا ، فهما على كل لسان ذي بيان :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال
ذكر الفتى عمره الثاني ، وحاجته
ماقاته ، وفضول العيش اشغال

وهذا البيت الثاني لجماله وحلاوة حكمته اغرى الشاعر احمد شوقي ، وكان المتنبي يغريه كثيرا بفرائده فيغير عليها ، فقال في رثاء البطل السياسي مصطفى كامل :

فارفع لنفسك قبل موتك ذكراها
فالذكر للانسان عمر ثان

ولم يمهل القدر فاتكا حتى ملأ المتنبي شعره به ، فيكون سيف الدولة ثانيا ، في ديوانه الكبير ، فوافته المنية في ليلة من ليالي شوال سنة خمسين وثلاثمائة ، فرثاه المتنبي ، وكان قد خرج من مصر وفارق كافورا الاخشيدي ، واول قصيدة رثائه فيه

الحزن يقلق والتجمل يردع
والدمع بينهما عصي طيع
النوم بعد ابي شجاع نافر
والليل معي والكواكب ظلع
لم يرض قلب ابي شجاع مبلغ
مثل الممات ولم يسعه موضع

ولاب عليه ملتاعا مفؤودا ، فبان في شعره اثر اللوعة والشجون التي لا تفنى ، وكان ابو الطيب — كما ارى في كل حياته ، رثى ثلاثة شخوص كانوا اعز الدنيا عليه ، وهم جدته التي كانت له امه ، ومحبوبته « خولة » اخت سيف الدولة ، وفاتكا حبيب السلاح والوجود .

وقد اندلع الشجو يتضح بالنار في قوله فيه :

برد حشاي ان استطعت بلفظة
فلقد تضر اذا تشاء وتنفع

وقد دل شعر المتنبي وان لم تدل اخبار التاريخ ، ان فاتكا مات في عزه وسلطانه ، ورفعة مقامه ، في الجيش ، فكان له يوم مأتم حافل ، خرج له الاجناد في موكب كالذي نجده في عصرنا ، وبكى عليه الجيش بالدموع . وقد انتزعت هذه الصورة من قول المتنبي في رثائه :

بأبي الوحيد وجيشه متكاثر
يبكي ومن شر السلاح الادمع

ثم اطلقها ابو الطيب — كما نقول في مطلع الكلام بعصرنا العشرين — قنبلة مدوية تقع على كافور ، وقد نجا من مخالبه وبراثنه :

قبحا لوجهك يا زمان فانه
وجه له من كل قبح برقع
ايموت مثل ابي شجاع فاتك
ويعيش حاسده الخصي الاوكع
ابقيت اكذب كاذب ابقيته
واخذت اصدق من يقول ويسمع

وههنا يفلسف ابو الطيب الموت والحياة ، شأنه حين يجود بحكمته التي حيرت الامثال ، بمثل قوله في هذه القصيدة :

تصفو الحياة لجاهل او غافل
عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه
ويسومها طلب المحال فتطمع

ولم تبرد حشاه بعد طويل المفارقة ، اذ كان اثر فاتك في نفسه عميقا ، وحين بلغ الكوفة عائدا الى دياره ، ضمته الصحراء في الليل ، فرفع رأسه الى السماء ليرى الكواكب سواطع والنجوم ترف كالجفون على العيون ، فاهتاجت بلابل احزانه ، وفاض فؤاده بالوجد على فاتك ، فقال في رثائه ميمية ما ادى في الحزن على الابطال اصدق منها ، انها كأنشودة ملحمة ، قالها بعد وفاته بسنتين ، وقد استفتحها بقوله :

حتام نحن نساري النجم في الظلم
وما سراه على خف ولا قدم

ومشى في النهار تحت الشمس وهو يذكر فاتكا ، وكان المتنبي يومئذ قد شاب ، بل ملأ رأسه الشيب ، وكان لايلزم شعره الا لونه الصحيح ، فعجب للشمس كيف تسود الوجوه ولا تسود الشعر .

تسود الشمس منا بيض اوجهنا
ولا تسود بيض العذر واللمم

واخذ يذكر في هذه القصيدة مصر وفاتكا ، فيقول :

لا فاتك آخر في مصر نقصده
ولا له خلف في الناس كلهم
عدمته وكأني سرت اطلبه
فما تزيدني الدنيا على العدم

وقد غاص في البيت الثاني على فلسفة الوجود والعدم ، بان الانسان مهما يمعن في ادراك الوجود ، واجد نفسه ممعنا في ادراك العدم .

واصاب المتنبي في هذه المرثية الرائعة الادباء والكتاب ، واصحاب الاقلام جميعا بخيبة امل ، في حظوظهم في الحياة ، حيث جعل الاقلام خوادم للسيوف ، فقال وقد رجع من سفرة عمره :

حتى رجعت واقلامي قوائل لي
المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا ابدا بعد الكتاب به
فانما نحن للاسياف كالخدم

وراح يدحض التهم التي كان يروجها حساده ، من ان عجزه وعجز فاتك عن الوصول الى السلطة قرب بينهما ، وقد عذر المتنبي ذلك الارجاف ، فقال :

توهم القوم ان العجز قربنا
وفي التقرب ما يدعو الى التهم

وقد ختم ابو الطيب هذه المرثية ، التي اعدها من فرائده ، بحكم تتالى ، كل واحدة منها تعيش عمر الدهر ، ولا تكل في التداول ، كعملة ادبية خالدة في سوق من اسواق الوجود . واخذ يأسف ان جاء في زمنه ، وكانت روحه تتوق لو تجيء في سالف العصور ، فقال :

وقت يضيع وعمر ليت مدته
في غير امته من سالف الامم
اتى الزمان بنوه في شبيبته
فسرهم واتيناه على الهرم

الدكتور زكي المحاسني

كن قويا ، وأبيا ، كيلا تظلم

متى تجمع القلب الذكي ، وصارما ،
وانفا حميا ، تجتنبك المظالم

عروة بن براقة الهمداني

نَجيبْ مَحْفوظ

أو الكاتب العربي الذي يكتب عَن مجتمعه

للأستاذ : محمد زنيبر

- 4 -

رواسب الماضي في المجتمع

ليس من الممكن ان يكون كاتب من درجة نجيب محفوظ مجرد مقلد ياخذ عند الغير ويجتره من جديد. فقد راينا بعض مواطن الالتقاء بينه وبين الف ليلة ، ولكن هل يمكننا ان نحكم بانه اندفع بكل سهولة نحو محاكاة الرواية العربية القديمة ؟ هل ينحصر عمله في كتابة الف ليلة وليلة اخرى باسلوب جديد ؟ السنا نجد عنده شيئا آخر ، بل اشياء اخرى تختلف عما في الف ليلة وليلة ؟

التقليد شيء والالتقاء شيء آخر . التقليد ينبني على نية سابقة فيها اعتراف ضمني بتفوق النموذج المتبع . والمقلد يتخلى في قرارة نفسه عن الدعوى التي ترافق مجهود الفنان المبتكر ، ويستسلم للمثال الذي وضعه نصب عينيه . وقد يتوفق في عمله فيكون لانتاجه قيمة فنية ، كما وقع لبعض الشعراء الذين قلدوا هو ميروس في ملحمتيه الالياذه والاوديسا ، او كما حدث للروائيين المسرحيين الفرنسيين ، أمثال راسين وموليير ، حينما قلدوا الدرامات اليونانية القديمة ، فاستطاعوا ان يخرجوا من طور المحاكاة الآلية الى درجة الابداع والتجديد .

اما الالتقاء ، فهو يحدث بطريقة عفوية . فقد تختلف اتجاهات الكتاب واذواقهم ومقاصدهم ، وتتباين نقط انطلاقهم ، ولكنهم يتلاقون في بعض المواطن مدفوعين بمنطق تفكيرهم ، او منجذبين نحو نفس المشاهد والحقائق . انهم لم يحاولوا الاخذ عن بعضهم او السير على نهج واحد ، ولكن افكارهم وحاستهم الفنية تشابكت في ملتقى لم يكن منتظرا او ــ بالاصح ــ لم يكونوا هم يتوقعونه .

ولعل هذا ما حدث بالضبط لنجيب محفوظ . فلست اعتقد انه قرر في نفسه ان يضع نصب عينيه الف ليلة وليلة كنموذج يستوحي منه وينسج على منواله . بل لربما كانت الف ليلة وليلة بعيدة عن تفكيره حينما كان يكتب ثلاثيته ولا غرو ، فان مقصده يختلف كل الاختلاف عن مقصد الف ليلة وليلة . فهو روائي عصري بكل ما في الكلمة من معنى يحاول ان يصور المجتمع الذي يعيش فيه ، بمئاسيه ومهازله ، ويريد ان يكشف لنا من وراء العادات والتقاليد عن الانسان في حقيقته العميقة التي تخضع للتاريخ وتسمى في ءان للسطو عليه .

وهو في هذا التصوير للواقع الذي يقبل عليه بنزاهة واخلاص ويرصد له كل مجهوداته ، يحدث له بصورة طبيعية ، كما راينا في بعض الفصول ان ينطق من نبع الف ليلة وليلة . ونشعر نحن معه ان هذا الالتقاء ناتج عن منطق الاحداث التي يقصها والبيئة التي يصورها .

ومعنى هذا ان المجتمع المصري في النصف الاول من هذا القرن لو لم تكن فيه طوائف من الناس يعيشون كما يعيش ابطال الف ليلة وليلة ، لما راينا اثرا لهذا الالتقاء عند نجيب محفوظ . فالتشابه قائم في الاساس بين جانب من المجتمع وبين الف ليلة وليلة ، وما الكاتب الا مسجل امين لهذه الظاهرة .

ونحن نكتشف هنا احدى مزايا نجيب محفوظ، حيث انه لم يتعثر في التفاصيل والجزئيات ، وكشف عن الحقيقة العميقة للمجتمع المصري ، وهي انه

مجتمع لم يتغير كثيرا عما كان عليه منذ مئات السنين فى عقليته ورد فعله امام الاحداث ومواقفه ، بحيث ان جوه لا يختلف كثيرا عن جو الف ليلة . ونشعر فى نفس الوقت بان هذا التصوير يكاد ينطبق علينا ، نظرا لما بين المجتمعين من التشابه المتين ، وان تباعدت الديار ، وقلت عوامل التفاعل فى سالف الايام .

فهو لم يغتر بمظاهر المدنية العصرية التي بدأت تنتصر فى مصر ، ولم يعتبر ان مصر هي هذا الطلاء البراق الذي تميزت به طبقة قليلة من المصريين ، تكاد تعيش على هامش الحقيقة الاجتماعية ، ولم يحاول ان يخدعنا بالصور السطحية . بل انه توغل داخل المجتمع حيث تظهر حقائق شعب عارية من كل تمويه ، فنرى فى قصة هاته العائلة المتوسطة المحترمة المشاكل الانسانية التي يعانيها المصريون ، بصفة عامة .

نعم ، ان مزيته الاولى هي انه استطاع ان يحدثنا عن المصري الحقيقي الذي يمثل ملايين المصريين ، المصري الذي يعيش بفطرته وبعقليته الحقيقية . وهذا ما يكسب روايته اصالة شعبية . فهذا الجيل الاول الذي يمثله السيد احمد عبد الجواد ، وان كان يعيش فى القرن العشرين ، وسط مظاهر الحضارة العصرية ، لا زال يعيش فى جو الف ليلة وليلة . فهو، كما رأينا ، سواء فى موقفه العام من الحياة او فى اذواقه وميوله او فى الطريقة التي يفهم بها الحب ، او فى تمسكه بالدين ، او فى الطريقة التي يعبر بها عن الشعور القومي ، يظل وفيا للصورة الخالدة التي رسمتها لنا الف ليلة وليلة عن الرجل الشرقي .

ولنتأمل قليلا شخصية السيد احمد عبد الجواد لنراه تارة فى مجلسه بالعائلة وهو يثير حواليه الاحترام والاجلال ، وطورا فى مجلسه مع اصدقائه وهو يبرز عليهم بكرمه وظرفه ودعابته ، وطورا فى حديثه مع الشيخ المتدين عبد المتولى عبد الصمد وقد طفحت نفسه بالعاطفة الدينية وبالرغبة فى التنسك والتوبة ، الا تذكرنا بعض الشيء بشخصية هارون الرشيد الاسطورية كما تتراءى لنا من صفحات الف ليلة وليلة ؟

فالواقعية ، اذن ، هي التي دفعت نجيب محفوظ الى الالتقاء مع الف ليلة وليلة مثل ما حدث به فى فصول اخرى من روايته الى الابتعاد عنها، لان الاحداث والاشخاص والظروف اكتست صبغة اخرى .

بين الماضي والمستقبل

الا انني لا اشك فى ان نجيب محفوظ حينما انغمر فى تصوير المجتمع بهذه الطريقة ، كان مدفوعا بنية اخرى . وهذا ما لا يدركه القارئ الا بالتامل العميق فى روايته من الاول الى الآخر . فهو يتحاشى ان يتخذ موقفا شخصيا فى القصة ، ويجتهد فى اخفاء آرائه تاركا للقارئ مهمة الاستنتاج والتعليق . وهذا مبدأ فني يتقيد به الروائيون الواقعيون فى الغالب ، اقتناعا منهم بان الاحداث تحمل الدلالة الكافية عن نفسها وان كل تدخل من طرف الكاتب فضول يمس بالصياغة الفنية وبحرية القراء .

ومع ذلك ، فنجيب محفوظ ككل الروائيين الواقعيين ، مهما تجرد ومهما حاول ان يكون موضوعيا ، فانه لم يختر موضوع قصته بصورة اعتباطية ، ولم يتجه الى جانب من الواقع الاجتماعي والانساني الا لانه يحمل دلالة بالنسبة اليه . وليس من الممكن فهم الرواية ونقدها من الناحية الفنية الا اذا استطعنا ان نكشف عن مقاصد الكاتب الخفية .

لقد اراد كخبير اجتماعي ان يبين الداء الذي تعانيه الامة المصرية فى مرحلة دقيقة من حياتها ، فصور التباين وانعدام التناسب الموجود بين العقلية التي يعيش عليها المصريون والمهمات الجسيمة التي تنتظرهم . فهنالك مقتضيات الساعة التي يواجهها ابناء مصر : عليهم ان يتحرروا من الاستعمار ، عليهم ان يقضوا على الفساد فى المجتمع ، عليهم ان يشقوا طريقهم نحو التقدم . وهنالك الشعب المصري الحقيقي بمزاياه وعيوبه وبقوته وضعفه .

فهذا الجيل الاول الذي يمثله احمد عبد الجواد يعيش ظروف الحرب العالمية الاولى ثم الكفاح ضد الانجليز من اجل استقلال مصر . فهل نجده فى مستوى الاحداث ؟ وهل هو واع بالمعركة القائمة ، مدرك لمغزاها ؟ ذلك ما يجيبنا عنه نجيب محفوظ حينما يصور لنا عقلية الجيل ويقابلها بالواقع الاستعماري والمخططات الاستعمارية ، فنرى عالمين متباعدين فى نوعهما ، عالم القرون الوسطى بشعره واوهامه وخيالاته ، وعالم القرن العشرين بعلمه وواقعيته وتنظيمه .

لقد تحدث المصريون قبله عن هذه الصفحة المجيدة من تاريخهم ، صفحة الوطنية والكفاح ضد

الاستعمار ، فكانت صورهم حماسية بطولية تقوي النفوس وتبعث الايمان . وتحدث هو ايضا عن هذا الكفاح ورسم عن مظاهرات الشعب واحتجاجاته لوحات رائعة ، الا انه لم يندفع وراء العاطفة والخيال محاولا ان يقدم لنا اناسا ارتفعوا فوق حدود البشرية ليرتادوا مواقع الكمالات . بل انه ، بالعكس ، حرص كل الحرص على ان يظهر لنا الجانب البشري ، الجانب الذي ينطق عن واقع كل يوم والذي يواكب الفورات الحماسية ويتناقض معها .

ولنقف قليلا عند الحادثة التاريخية ، حادثة تكوين الوفد المصري برئاسة سعد زغلول عقب الحرب العالمية الاولى وما اثارته من ردود فعل لدى ابطال الرواية . فنحن هنا امام مشهد رائع تتراءى فيه نبضات شعب باكمله حيث نرى الجمهور بروحه الثائرة ، والشباب المندفع المتحمس الطامح لقيادة الجماهير وتنظيمها ، والفرد في عزلته وهو يتأرجح بين الشؤون الجماعية ومشاكله الشخصية ، وما تكشف هذه المواقف من اخلاص وصدق وشجاعة او من نفاق وجبن ومكر .

فهذا احمد عبد الجواد ، حينما يقدم له صديقه احمد عفت عريضة لتأييد سعد زغلول وصحبه يوقع بدون تردد ويعلن عن ارتياحه وسروره لهذا العمل ويقول : « كأني لشدة سروري بهذا التوكيل الوطني ثمل بعل الكأس الثامنة . .

ويعلق الكاتب : « ثم عاد الى مكتبه واثر المزاح منبسط في اساريره ، وانفعال الحماس في قلبه لا يخمد ، شأنه في كل ما يعرض له من مهام الحياة بعيدا عن داره ، فهو يجد الجد كله كلما دعا الداعي الى الجد ، ولكنه لا يتردد عن تلطيف جوه بالمزاح والدعابة كلما لاحتا له صادرتين في ذاك عن طبع لايملك معهما حيلة وان بدا ذا قدرة عجيبة على التوفيق بينهما ، فلاجده يقاهر مزاحه ، ولا مزاحه بمفسد جده » .

لم يشرح الكاتب فهمه للوطنية : « ليكن اذن وقته خالصا لحياته ، وللوطن ما يشاء من قلبه وعواطفه بل وماله كلما تيسر اذ لم يكن يضن به اذا وجب التبرع لغرض من الاغراض ، والى ذلك فلم يشعر مطلقا بانه مقصر في واجبه على نحو ما . وعلى العكس عرف بين صحبه بالوطنية ، اما لان قلوبهم لم تسخ بعواطفها كما سخا قلبه ، واما لان الذين سخت قلوبهم لم يذهبوا الى حد التبرع بالمال مثله ، فتميز بوطنيته . وعرف هو ذلك فاضافه الى بقية مزاياه التي يباهي سرا في اعماق قلبه » « انظر : بين القصرين ص 292 – 293 »

ولكن الى اي حد ينساق مع عاطفته الوطنية؟ هل يماشيها في منطقها الى النهاية ؟ ذلك ما يظهر لنا في فصل آخر ، حينما اكتشف ان ابنه « فهمي » من الشبان الذين يشتركون في تنظيم المظاهرات وقيادتها ضد الانجليز . دعا ابنه وسأله : « دعوتك لاعرف كل شيء ، اريد ان اعرف كل شيء ، ماذا قصد صديقك بقوله انك من « الاصدقاء المجاهدين » وانكما تعملان في لجنة واحدة ؟ . . صارحني بكل شيء دون تردد . .

— الامر بسيط جدا يا بابا ، لعل صديقي بالغ في قوله كي ينتشلنا من ورطتنا .

فقال السيد وقد نفد صبره :

— الامر بسيط جدا ... عال ... ولكن أي امر هو ؟ . . لا تخف عني اي شيء . .

— سماها لجنة وهي لا تعدو ان تكون جماعة من الاصدقاء يتحدثون كلما اجتمعوا في الشؤون الوطنية

فهتف السيد مغيظا محنقا :

— الهذا استحققت لقب المجاهد . .؟!

— يحدث احيانا ان نقوم بتوزيع بعض النداءات الحاثة على الوطنية . .

فتساءل السيد بانزعاج شديد :

— المنشورات !. . هل تعني المنشورات ؟! . .

— ليست الا نداءات تحث على حب الوطن

ترك الرجل السبحة تسقط من يده الى حجره ، وراح يضرب كفا على كف ويقول وهو لا يتمالك نفسه من الانزعاج :

— انت من موزعي المنشورات ! . . انت !. . الا تعلم ما جزاء الذي يضبط وهو يوزع منشورات ؟. .

— اني اقوم بالتوزيع بين الاصدقاء من الزملاء فقط ، ولا شأن لي بالتوزيع العام . . فليس ثمة مخاطرة او خطر . . فهتف السيد بغلظة وكأنه يداري خوفه على ابنه بحدة الغضب :

ـ ان الله لا يكتب السلامة لمن يعرض نفسه للهلاك ، وقد امرنا سبحانه بأن لا نعرض انفسنا التهلكة .. « نفس المصدر ص 372 »

ويأتي بعد هذا مشهد آخر نرى فيه احمد عبد الجواد بمتجره وقد اقبل عليه الشيخ متولي عبد الصمد ، ذلك الرجل الاشيب الذي يعتقد في بركته ، فيقول له في وسط الكلام :

« انت الخير والبركة يا شيخ متولي .. لقد نجاني الله من شر كبير ، ولكن ثمة شر لا يزال يتهددني ويقض مضجعي .

مال وجه الشيخ نحو السيد في عطف مرة اخرى وتساءل :

ـ ماذا بك يا بني عفا الله عنك ؟

فرنا السيد اليه بطرف واجم وغمغم في ضجر :

ـ ابني فهمي .

فرفع الشيخ حاجبيه الاشيبين متسائلا او منزعجا ثم قال برجاء :

ـ محفوظ ، باذن الرحمان .

فهز السيد راسه باسى وقال :

ـ عقني لاول مرة والامر لله .

ـ معاذ الله ، فهمي ابني ، وانا اعلم علم اليقين انه طبع على البر .

فقال السيد احمد متسخطا :

ـ يابى حضرته الا ان يفعل كما يفعل الشبان في هذه الايام الدامية .

فقال الشيخ في دهش واستنكار : !

ـ انت أبو حازم ما في ذلك شك ، ما كنت أتصور ان ابنا من ابنائك يجرؤ على ان يرد لك امرا ..

ـ لم يجرؤ على هذا صراحة طبعا ولكني دعوته الى ان يحلف على المصحف بالا يشترك في اي عمل من اعمال الثورة فبكى ، بكى من دون ان يجسر على قول : لا ، ما عسى ان اصنع ؟ لا استطيع ان احبسه في البيت . ولا يسعني أن اراقبه في المدرسة واخاف ان يكون تيار هذه الايام اقوى من ان يقاومه شاب مثله ، ماذا اصنع اهدده بالضرب ؟ .. الضربه ؟ ولكن ما عسى أن يجدي التهديد مع شخص لا يبالي تعريض نفسه للموت ؟

ـ وهل القى بنفسه في المظاهرات ؟! ..

ـ كلا ولكنه يوزع المنشورات ..

ـ ما له ولهذه الاعمال ! .. انه الوديع ابن الوديع ولهذه الاعمال رجال من صنف ءاخر ، الم يعرف ان الانجليز وحوش لا تتطرق الرحمة الى قلوبهم الغليظة ؟ .. وانهم يتغذون صباح مساء بدماء المصريين المساكين ؟ .. كلمه بالحسنى ، عقله ، بين له النور من الظلام ، قل له انك ابوه وانك تحبه وتخاف عليه . اما انا فساعمل من ناحيتي على اعداد حجاب من نوع خاص ولادعون له في صلاتي وخاصة صلاة الفجر ، والله المستعان من قبل ومن بعد .. »

ويختم المشهد بهذه النصيحة التي يوجهها الشيخ الى « فهمي » عن طريق ابيه :

« قل لفهمي : ان الشيخ « متولي » ينصحه بالابتعاد عن موارد التهلكة ، قل له سلم الى الله ربك فهو القادر وحده على اهلاك الانجليز كما اهلك الذين من قبلهم ممن شقوا عصا طاعته .. « ثم مال الشيخ نحو عصاه ليتناولها فاشار السيد الى جميل الحمزاوي فجاءه بالهدية ، ووضعها في يده ، ثم ساعده على النهوض . صافح الشيخ الرجلين ومضى وهو يقول :

ـ غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون .. صدق الله العظيم »

لكل هاته المشاهد التي اوردنا جانبها الانساني الذي يفرض علينا ان ننظر اليها بعطف وتفهم . ولكن الكاتب حين يعرضها علينا يلفت في الحقيقة نظرتنا الى ما كان يغلب على ذلك الجيل من رواسب الماضي . فالسيداحمدعبدالجواد والشيخمتولي ومن على شاكلتهما يمثلون عهدا تاريخيا انقرض . فهم شهود القرون الوسطى في القرن العشرين . انهم لا يفهمون هذا الواقع الجديد الذي بدأ يسري في المجتمع ولا يستطيعون أن يماشوا هذه المرحلة الجديدة التي دخل اليها الشعب العربي ، مرحلة التجديد والتطور .. فهم كالاغصان اليابسة في الشجرة المورقة .

حقا ، ان شخصية احمد عبد الجواد والشيخ متولي لها طرافتها وجاذبيتها التي لا تنكر ، ولربما

كانت من الناحية الفنية ، وحتى الانسانية اكثر اصالة، ولكننا في الواقع تنجذب اليها كما تنجذب لشخصية «دون كيشوط » في رواية « سيرفانتس » . ومن منا يريد ان يكون « دون كيشوط » او يتمنى ان يكون الناس حواليه في المجتمع يشبهون دون كيشوط ؟

وهنا لا يجب الخلط بين مقاييس الحياة التي نعيشها مع الفن والخيال والشعر ، ومقاييس الحياة الاخرى التي نواجه فيها الواقع اليومي ونكدح فيها ونرنو الى المستقبل .

وبهذا المعنى ، يمكننا ان نقول ان نجيب محفوظ قام بدوره كناقد للمجتمع ، فهو حينما صور لنا تلك الشخصيات الطريفة الجذابة اراد في الحقيقة ان يبين لنا التباين العريض بين عقلية الجيل الذي تجسمه ومقتضيات العصر والتطور وما يتطلبه زماننا هذا الصعب المعقد من وعي وحيوية . انه يعرف مفاتن الشرق القديم وسحره حق المعرفة ، ولربما يعيش تحت تخديرها ، ولكنه في نفس الوقت يرى ان تقدم مجتمعه يتطلب من المصريين ومن العرب ان ينغمروا في هذا القرن العشرين بكليتهم . ففي الماضي احلام جميلة ولكن يجب ان نصحو منها فامامنا هذا المستقبل الذي يجب ان نفرغ له كل مجهوداتنا .

ولكن ، على اي شكل سيكون هذا الانغمار في القرن العشرين ؟

سنرى في المقال المقبل ما هو جواب نجيب محفوظ .

سلا : محمد زنيبر

حريص

وذى حرص تراه يلم وفرا
لوارثه ، ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو
فريسته ليأكلها سواه

ابن يونس المنجم المصري

لك الحمد ... !

لك الحمد ، اما من تحب ، فلا نرى !
وتنظر ما لا نشتهي ، فلك الحمد !!

ابو العلاء المعري



احد العلماء المصريين الذين ارتفع اسمهم في القرن التاسع عشر، واحد المبعوثين المصريين الى اوربا الذين كان لهم اثر محمود في حياة العرب الثقافية، والنهضة الفكرية في البلاد.

ولد في طهطا في صعيد مصر، وتنقل في مدن الصعيد، وحفظ شيئا من القرآن الكريم ثم وفد الى القاهرة حيث التحق بالجامع الازهر وتلقى العلم على شيوخه: كالشيخ الفضالي الذي قرا عليه صحيح البخاري، والشيخ حسن القويسني الذي تولى مشيخة الازهر، وقرا عليه كتاب «جمع الجوامع في اصول الفقه» وغير ذلك من كتب الفقه والدين وحضر شرح ابن عقيل على الشيخ الدمنهوري من علماء الازهر.

وظل رفاعة في الازهر حوالي ثمانية اعوام ولما تخرج فيه اشتغل بالتدريس في الجامع، وكان في هذه الاونة يسافر الى بلده حيث يلقي بعض الدروس على الطلاب، وقيل انه درس ببلده شرح الملوي بحاشية الامير على السمرقندية البلاغية وقرأ في شهر رمضان في بعض السنين على عادة علماء هذه البلدة، درسا حافلا، فسر فيه سورة القدر بشرح الامير عليها، واجتمع في هذا الدرس علماء المدينة من اخوانه وغيرهم، واعجبوا به لحسن القائه، وفي ذلك يقول المرحوم صالح مجدي احد ادباء عصره «وكان رحمه الله حسن الالقاء بحيث ينتفع بتدريسه كل من اخذ عنه، وقد اشتغل في الجامع الازهر بتدريس كتب شتى حتى في الحديث، والمنطق والبيان، والبديع، والعروض، وغير ذلك، وكان درسه غاصا بالجم الغفير من الطلبة وما منهم الا من استفاد منه، وبرع في جميع ما اخذه عنه.. لما علمت انه كان حسن الاسلوب، سهل التعبير، مدققا، قادرا على الافصاح عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، بحيث يفهم درسه الصغير والكبير بلا مشقة ولا تعب ولا كد ولا نصب.

وفي عام 1240 هـ (1824 م) عين رفاعة الطهطاوي اماما وواعظا في الجيش ثم اختير من بين علماء الازهر اماما للبعثة بعد ان وجد فيه الاهلية واللياقة.

ولا شك ان الحياة العسكرية التي عاشها الشيخ الازهري في الجيش قد علمته لونا جديدا من الحياة قوامه حب النظام، والكفاح في سبيل الوطن، ومواجهة الاخطار في جلد وصبر وارادة وتصميم، مما كان له ابعد الاثر في حياته العامة فيما بعد.

وقد سافرت هذه البعثة عام 1242 هـ (1826م) على ظهر سفينة حربية فرنسية قطعت بها البحر الابيض المتوسط من الاسكندرية الى مرسيليا في ثلاثة وثلاثين يوما، ثم هبطت البعثة ارض مرسيليا في يوليو 1826 م ثم توجهت البعثة بعد ذلك الى باريس.

ويصف رفاعة الطهطاوي في كتابه «تخليص الابريز» هذه الفترة من حياته فيقول: (ثم لما ذهبنا الى باريس، مكثنا جميعا في بيت واحد، وابتدانا في القراءة، فكانت اشغالنا مرتبة على هذا الترتيب: وهو انا كنا نقرا في الصباح كتاب تاريخ ساعتين، ثم بعد الغداء نتعلم درس كتابة ومخاطبات، ومحاورات باللغة الفرنساوية، ثم بعد الظهر درس رسم، ثم درس نحو فرنساوي وفي كل جمعة ثلاثة دروس من علمي الحساب والهندسة، وفي مبدا الامر كنا ناخذ في الخط درسين يعني في معرفة الكتابة الفرنساوية،

ثم بعد ذلك كنا ناخذ كل يوم درسا ، ثم انتهى الامر الى اننا تعلمنا الخط ، فانقطع عنا معلم الخط ، اما الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا فلم نزل نشتغل بها حتى سهل الله علينا بالرجوع ، ومكثنا جميعا في بيت واحد دون سنة ، نقرا معا في اللغة الفرنساوية ، وفي هذه الفنون المتقدمة ، ولكن لم يحصل لنا عظيم مزية الا مجرد تعلم النحو الفرنساوي ثم بعد ذلك تفرقنا في مكاتب متعددة كل اثنين او ثلاثة او واحد منا في مكتب مع اولاد الفرنساوية أو في بيت مخصوص عند معلم مخصوص بقدر معلوم من الدراهم في نظير الاكل والشرب والسكنى والتعليم).

ووصف رفاعة الطهطاوي الحياة الاجتماعية والعلمية في فرنسا وصفا شائقابديعا فقال انه اذا قيل في فرنسا هذا الانسان عالم فلا يفهم من ذلك انه يعرف في دين بل انه يعرف علما من العلوم الاخرى ، ثم يضيف قائلا : (وسيظهر لك فضل هؤلاء النصارى في العلوم عمن عداهم ، وبذلك تعرف خلو بلادنا من كثير منها ، وان الجامع الازهر المعمور بمصر القاهرة وجامع بني امية بالشام وجامع الزيتونة بتونس ، وجامع القرويين بفاس ، ومدارس بخارى ونحو ذلك كلها زاهرة بالعلوم النقلية ، وبعض العقلية : كعلوم العربية والمنطق ونحوه من العلوم الالية ، والعلوم التي في مدينة باريس تتقدم كل يوم ، فهي دائما في الزيادة فانها لا تمضي سنة الا ويكشفون شيئا جديدا ، فانهم قد يكشفون في السنة عدة فنون جديدة أو صناعات جديدة او وسائط او تكميلات) .

وقد سجل رفاعة الطهطاوي في كتابه « تخليص الابريز في تلخيص باريز » صورا من حياته في مدينة النور ، ورسم امام اعيننا لوحات حية عن الحياة الاجتماعية في فرنسا في القرن التاسع عشر .

ومن الطريف انه رسم لنا في كتابه صورا لباريس في جدها وهزلها وعلمها ولهوها ووصف لنا المسرح الفرنسي وما يدور على خشبته من تمثيليات: فالنساء اللاعبات والرجال يشبهون العوالم في مصر ، واللاعبون واللاعبات بمدينة باريس ارباب فضل عظيم وفصاحة ، وربما كان لهؤلاء الناس كثير من التاليف الادبية والاشعار ، ولو سمعت ما يحفظه اللاعب من الاشعار وما يبديه من التوريات في اللعب ، وما يجاوب به من التنكيت والتبكيت ، لتعجبت غاية العجب .. كما صور رفاعة الطهطاوي صحف باريس، والوانها واصنافها ، وايثارها للصدق حينا وللكذب احيانا ، وتخصص بعضها في المعاملات ، وبعضها في الطب ، وبعضها في امور المملكة ، وبعضها في غير ذلك من الامور .

وتناول بعد ذلك وسائل التوفير عند الفرنسيين وتدبير المصارف ، وحبذ الاقتصاد عندهم ، وانتقد الاسراف عند المصريين فقال : (فان الوزير مثلا ليس له ازيد من نحو خمسة عشر خادما ، واذا مشى في الطريق لا يعرف من غيره ، فانه يقلل اتباعه ما امكنه داخل داره وخارجها ، فانظر الفرق بين باريس ومصر ، حيث ان العسكري في مصر له عدة خدم ... »

وهكذا يعد كتابه « تخليص الابريز في تلخيص باريز » صورة ناطقة لحياة الطهطاوي في هذه المدينة، وقد ترجم اثناء اقامته هناك اثنى عشر كتابا تتراوح بين الكبر والصغر وهي :

1) كتاب اصول المعارف . (2) كتاب دائرة العلوم في اخلاق الامم وعاداتها (3) مقدمة جغرافية طبيعية (4) اصول الحقوق الطبيعية التي يعدها الفرنج اصلا لاحكامهم (5) نبذة من تاريخ اسكندر الاكبر ماخوذة من تاريخ القدماء (6) تقويم سنة 1244 من الهجرة الفه الاستاذ جومار لمصر والشام متضمنا شذرات علمية وتدبيرية (7) قطعة من كتاب ملطبرون في الجغرافية (8) نبذة في علم هيئة الدنيا (9) نبذة من الميثولوجيا ، يعني في جاهلية اليونان وخرافاتهم (10) نبذة في علم سياسة الصحة (11) قطعة من عمليات ضباط عظام (12) ثلاث مقالات من كتاب لاجندر في علم الهندسة .

كما قام فضلا عن ذلك بترجمة دستور فرنسا ، ومقال سياسي عن حرب الدولة العثمانية لروسيا عام 1828 ، ومقال عن التاريخ ، وعدة رسائل وتقريرات، وترجمة « مسائل علمية وسياسية » .

وقام رفاعة الطهطاوي الى جانب الاعمال السابقة بترجمة ابيات من قصيدة لشاعر مصري استوطن فرنسا وذكر رفاعة الطهطاوي انه ترجمها عام 1242 هـ (1827 م) أي بعد وصوله الى باريس ، واعتقد ان ترجمة الشعر تفقده جماله وروعته فقال معقبا على ترجمته في النهاية : (وهذه القصيدة كغيرها من الاشعار المترجمة من اللغة الفرنساوية ، عالية النفس في اصلها ، ولكن بالترجمة

تذهب بلاغتها ، فلا يظهر علو نفس صاحبها . ومثل ذلك لطائف القصائد العربية ، فانه لا يمكن ترجمتها الى غالب اللغات الافرنجية من غير ان يذهب حسنها، بل ربما صارت باردة) .

وقد شكلت لجنة لاختبار الشيخ رفاعة الطهطاوي او « مسيو الشيخ رفاعة » على نحو ما جاء في القرار ، ونظرت في اعماله السابقة ، بل انها رأت ان تمتحنه امتحانا شفهيا لتتأكد من قدرته على التاليف والترجمة ، واتضح للجنة اثناء الاختبار ان بعض ترجماته ضعيفة والاخرى جيدة بيد انها التمست العذر له ، لان الترجمات الضعيفة قام بها عقب وصوله الى باريس وقبل تمكنه من دراسة اللغة الفرنسية .

وعاد رفاعة الطهطاوي من باريس بعد ان قضى نحو خمس سنوات في الدراسة والتحصيل فولاه محمد علي منصب الترجمة في مدرسة الطب التي كان قد انشاها عام 1242 هـ في قرية ابي زعبل قرب القاهرة وقد رحبت شتى الدوائر العلمية والثقافية بتوليه هذا المنصب لان عدد الذين كانوا يتقنون اللغة الفرنسية بل اللغات الاجنبية يعد على الاصابع .

وبعد عامين نقل الشيخ رفاعة الطهطاوي من مدرسة الطب الى مدرسة الطوبجية واشتغل مترجما فيها مدة عامين (1249 / 1251 هـ) (1833 / 1835 م) وحدث اثناء ذلك ان انتشر وباء ذريع في البلاد فهاجر رفاعة الى طهطا حيث قام بترجمة صدر من جغرافية ملطبرون في ستين يوما ثم عاد الى مصر ، وقدمه الى محمد علي الذي كافأه مكافأة مالية سخية .

وعندما انشئت مدرسة الالسن عين رفاعة الطهطاوي استاذا بها ومديرا لها ثم الحق بالمدرسة (قلم الترجمة) وقد بلغ عدد الكتب التي ترجمها خريجو المدرسة ــ كما قدره احدهم الفي كتاب .

وجاء في الخطط الجديدة وصف للنهضة الثقافية التي انتعشت في هذه المدرسة ووصف للجهود الجبارة التي بذلها رفاعة الطهطاوي في هذه المدرسة ، نقتطف منه هذه الفقرة : (وكان دأبه في مدرسة الالسن وفيما اختاره للتلامذة من الكتب التي اراد ترجمتها معهم ، وفي تاليفاته وتراجمه خصوصا ، انه لا يقف في ذلك في اليوم والليلة على وقت محدود . . . فكان ربما عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء او عند ثلث الليل الاخير ومكث نحو ثلاث او اربع ساعات على قدميه في درس اللغة او فنون الادارة والشرائع الاسلامية والقوانين الاجنبية وله في الاول مجاميع لم تطبع وكذلك كان دابه معهم في تدريس كتب الادب العالمية بحيث امسى جميعهم في الانشاءات نظما ونثرا ، اطروفة مصرهم وتحفة عصرهم ومع ذلك كان هو بشخصه لا يفتر عن الاشتغال بالترجمة او التاليف) .

وقد قام قلم الترجمة بدور كبير في نقل الكتب الغربية الى اللغة العربية مما كان له اثرا كبيرا في النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر وتدرج رفاعة الطهطاوي في الرتب حتى وصل رتبة اميرالاي سنة 1262 هـ فصار يدعى رفاعة بك بدلا من الشيخ رفاعة .

وظل رفاعة مديرا لمدرسة الالسن حتى اغلقت في عهد عباس الاول ونفي الى الخرطوم بحجة انشاء مدرسة مصرية في الخرطوم فسافر رفاعة الى المدرسة المصرية في الخرطوم وكان تلاميذها لايزيدون على واحد وثلاثين تلميذا وزادوا سبعة بفضل جهود حاكم السودان وقضى رفاعة الطهطاوي ثلاث سنوات في السودان قام خلالها بترجمة الرواية الفرنسية المشهورة (مغامرات تليمات) .

وعاد رفاعة الطهطاوي الى مصر بعد موت عباس وتولية سعيد الحكم فعين وكيلا للكلية الحربية ثم مديرا لها فمديرا لمدرسة الهندسة ومدرسة العمارة ولكن هذه المدارس لم تلبث ان الغيت جميعا فظل رفاعة بدون عمل حتى عهد اسماعيل فعين عضوا في المجلس الاعلى الذي كان يشرف على التعليم في البلاد .

وقد ساهم رفاعة الطهطاوي في ميدان الصحافة بجهود كبيرة فقد اسند اليه تنظيم جريدة الوقائع وقد حاول ان يرفع من مستوى اسلوب تحريرها فاستعان بالمحررين المتمازين .

كما قام رفاعة الطهطاوي بالاشراف على مجلة اخرى تصدر مرتين في الشهر بيد انه كان يقوم بجهود اخرى في ميادين اخرى منها ميدان التربية والتعليم فقد لاحظ ان كتب النحو المستخدمة في المدارس جارية على الاسلوب العميق ولا تصلح للعصر الحديث فوضع كتابا اسماه التحفة المكتبية في القواعد والاحكام

والاصول النحوية بطريقة مرضية ، وحاول رفاعة في هذا الكتاب ان يبسط القواعد النحوية ويخلصها من الشوائب والتعقيدات المختلفة ، حتى يتمكن الطلبة من حفظها وفهمها .

كما الف رفاعة كتابا في تعليم المراة ، اطلق عليه : « المرشد الامين للبنات والبنين » وتناول فيه فكرة تعليم المراة بالتحليل والتفصيل ، وضرب النماذج والامثلة من التاريخ في وضوح وجلاء وروى لنا اخبار كثير من النساء الشهيرات ، وكتب فصلا عن تشريك البنات مع الصبيان في « التعلم والتعليم وكسب العرفان » جاء فيه : (ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معا ، لحسن معاشرة الازواج فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك .. فان هذا مما يزيدهن ادبا وعقلا ويجعلهن بالمعارف اهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والراي فيعظمن في قلوبهم ، ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش) .

بهذه الروح طفق رفاعة الطهطاوي يدعو الى تعليم المراة والتحرر من قيود الجهل ، والخروج الى نور المعرفة اذ اعتقد انه اذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمة عظيمة في حق النساء فان المراة التي لا عمل لها تقضي الزمن خائضة في حديث جيرانها وفيما ياكلون وفيما يشربون ويلبسون ويفرشون وفيما عندهم وعندها ... وهكذا .

وقد احصى السيد صالح مجدي احد شعراء عصره في كتابه (حلية الزمن بمناقب خادم الوطن) مؤلفات رفاعة الطهطاوي فوجدها تربو على سبعة عشر كتابا في مختلف الوان المعرفة : من رحلات الى تاريخ ، الى جغرافية ، الى ادب ، الى نحو وبلاغة ، الى فقه وقانون ، الى غير ذلك .

القاهرة : الدكتور جمال الدين الرمادي

الشتاء

ان الشتاء على شتامة وجهه لهو المفيد بشاشة المصطاف

ابو تمام

قال الخشب للمسمار : لقد فلقتني ! ! فقال له المسمار : « آه ! لو سمعت الدق فوق راسي ، لعذرتني ! ! »

نفع الغيث في ابانه

واعلم بان الغيث ليس بنافع ما لم يكن للناس في ابانه

البحتري



شعوب عالم اليوم في حاجة الى ان ينفتـــح لها على المصراع باب التعــارف بينهـا ، لتزداد اكتناها واعيا بالاختلافات الاساسية بين مقومات حضارات الارض ، تلك الاختلافات التي تجهد الانثربولوجيا لابرازها في اطار موضوعي ، واذا ادرك ووعـــى كل شعب الفروق بيـن حضارته وبقيـة الحضارات ، وتسامـــى بذلك الادراك ، عمت الدنيا اتجاهــات نفسيــة ايجابيـــة متحـــررة ، وانتفى الشعور بازدراء واحتقــار الحضــارات الاجنبيـــة .

الانثربولوجيا علم قديم وحديث في آن واحد ، قديم لان الموضوعات التي يتناولها تكلم عنها الفلاسفة القدامى ، ومن هذه الموضوعات الدين وفكرة الالـه ، فقد بحثتها مدرسة ديموقريط التي اتسمت بالطابـع المادي ، ومدرسـة افلاطون التي نحت منحى نفسيـا ، ثم مدرسة ارسطو التي اتجهت اتجاهـا عقليـا في تفسير الظواهر الطبيعية والحيـاة الانسانيـة ... وواضح ان هذه المدارس لم يمح اثرها تمامـا ، بـل لا زال لها صدى في العصر الحديث ، فنجد الفيلسوف هيوم قد احيى نظرية ديموقريط المادية ، كما اتبـع ديكارت النظرية الافلاطونية ، كما اخـذت المدرسـة الالمانية ـ النمساوية في الانثربولوجيا بنظرية ارسطو في اطار علمـي جـديـد .

اما عن اعتبار الانثربولوجيا علما حديثا ، فـلان العلم بشكله الحالي لم يمض عليه اكثر من قرن واحد ، وهو للآن لم يتبلور ويكتمل في بعض موضوعاته ، اذ لا زال المنهج الانثروبولوجي لم يستقر بعد ، كمـا ان أسس التصنيف فيه لا زالت غير ثابتـة وطيـدة . ويتجلى هذا في خطاب العالم « براون » امام الجمعية البريطانية الانثربولوجية سنة 1931 حيث قال : « انه من المستحيل التوفيق بيـن النظريات المختلفـة ، أو حتى التوصل الى أسس منهجية تجمع عليها الآراء ... ان كل مدرسة تخط طريقها وحدها وتبني تركيبهــا النظري بمفردها ، دون محاولة تقصي النقط التـي يمكن أن تلتقي فيها بالمدارس الاخرى ، لقـد تحول اصحاب هذه المدارس الى حواريي عقيدة ولم يعـودوا تلامـذة علـم » .

على انه من المسلم به ان تعدد المذاهب وحريـة اقامة النظريات من الامور الجوهرية لتطور اي علم ، ولكن كثرة المداخل ـ من جهة اخرى ـ يفترض سلفا مبدا مشتركا ، والا لما قامت دراسـة مشتركة مقارنة ، بعيدة عن الفوضى والخلط . واهم ما يتضح فيـه الخلاف هو تحديد ميدان « الانثربولوجيا » ومنهجها ، بالاضافة الى الاختلاف حول تعريف العلم واطـلاق اسم واحد عليه . ويعزى ذلك الى اتجاهات المدارس المختلفـــة .

ان الاختلاف على التعريف لم يحدث في اي علم كما حدث في الانثربولوجيا ، فهي تعني علم الانسـان ،

وهو ينقسم الى قسمين : « الانثربولوجيا الطبيعية » ، و « الانثربولوجيا الاجتماعية » .

الانثربولوجيا الطبيعية تهتم بدراسة السلالات وفروعها والقياسات ، وتدرس الانسان كاحدى العائلات الحيوانية من ناحية التطور . اما الانثربولوجيا الحضارية فهي تعنى بدراسة الحضارات البشرية ، بالمعنى الواسع للحضارة ، فتدرس التنظيمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... كما تحلل نشاط الانسان العقلي وعاداته .

وقصدنا من هذا البحث ، هو التعريف بالقسم الثاني من الانثربولوجيا . وقد اقتصرنا على نعته بالانثربولوجيا اختصارا لا تعميما ، كما ان اختيار هذا الاسم يعني عدم الالتزام بمنهج خاص او بمدرسة من المدارس ، التي تكاثرت فتكاثرت مسميات واسماء هذا العلم ، ففي المانيا والنمسا ، فتعرف الانثربولوجيا الحضارية بالاثنولوجيا احيانا وبعلم الشعوب احيانا اخرى . اما الانثربولوجيا فتعني دراسة السلالات . وفي انجلترا وامريكا ، تعني الانثربولوجيا دراسة الاجناس ، اما القسم الحضاري منها فيعرف في انجلترا بالانثربولوجيا الاجتماعية ، بينما في امريكا يعرف بالانثربولوجيا الحضارية ، وبالاثنوغرافيا او الاثنولوجيا في فرنسا ، وبالاثنوغرافيا في روسيا ، وبالانثربولوجيا الاجتماعية (علم الانسان الاجتماعي) في الجمهورية العربية المتحدة .

والواقع ان هناك اجماعا على تقسيم الانثربولوجيا الى قسمين : القسم الاول هو الاثنوغرافيا وهي الدراسات الخاصة العملية التي ينجزها العلماء في المجتمعات القبلية ، بحيث يتناول البحث دراسة القبيلة في نواحي حضارتها وتنظيمها الاجتماعي ، ومن خير الامثلة لهؤلاء العلماء العالم ايفانز بريتشارد الذي درس قبائل النوير السودانية . اما القسم الثاني فهو عبارة عن تحليل المعلومات وتجريدها بدون تجسم مشاق الاقامة بين القبائل ، فهذا القسم نظري بحت ، ويعتمد على الدراسة المقارنة ، والمتخصص فيه يطلق عليه براون « قعيد المكتب » ومثاله فريزر صاحب الكتاب العالمي (الغصن الذهبي) . ويطلق فرنس بوس على هذا القسم اسم الاثنوغرافيا ولو انه في بعض الاحيان يطلق عليه اسم الاثنوغرافيا ، واحيانا اخرى يطلق هذه التسمية او تلك على القسمين سويا . اما براون، فيطلق عليه اسم « علم الاجتماع النظري » او الاثنوغرافيا .

وهذا الخلاف الشديد على التسمية ليس اعتباطا وليس اصرارا او عنادا ، وانما هو خلاف يخفي وراءه تاريخا حافلا بمدارس ومناهج انثربولوجية ، كل منها تعتبر منهجها ووسيلتها ــ دون المناهج والنظريات الاخرى ــ الوسيلة الوحيدة لفتح مغاليق الحضارة .

ان الانثربولوجيا ، اول ما ظهرت كعلم ؛ اتجهت لبحث التكوين الطبيعي للانسان اي ما يعرف الآن بالانثربولوجيا الطبيعية ثم تطورت في القرن السابع عشر لتفهم طبيعة النفس . ولقد حددت دائرة المعارف البريطانية سنة 1822 الانثربولوجيا على انها « العلم الذي يبحث الطبيعة البشرية » وفي سنة 1876 وصف توبينارد الانثربولوجيا على انها فرع في التاريخ الطبيعي يعالج الانسان وسلالاته . اما قاموس اكسفورد المختصر فيذكر انها علم الانسان عامة ، علم الانسان في ناحيتين : الفسيولوجية ، والنفسية ؛ ودراسة الانسان كاحدى عائلات الحيوان . بيد انه نتيجة تطور المعرفة وتشعبها فيما بعد ، قسم علم الانسان الى اقسام عديدة اهمها علم النفس ، وعلم الآثار ، وعلم تاريخ ما قبل التاريخ ، وعلم اللغة ، وعلم الاجتماع ... وبقي علم واحد ، وهو الانثربولوجيا ، يربط بين هذه العلوم ، ويعمل على التكامل بينها ، ويوضح المراحل الحضارية المتعاقبة ، ويصل الى اغوار التاريخ الانساني ، ثم يستنبط ؛ ويستدل على هذا التاريخ لا من التاريخ المكتوب او غير المكتوب بل من دراساته المقارنة على الحضارات الراهنة والتاريخية وما قبل التاريخية ، انه علم يعمم الحقائق الخاصة ليستنبط قوانين التطور الحضاري .

ولقد مرت الانثربولوجيا الاجتماعية ــ اثناء ذلك بل وقبله ــ بمراحل مختلفة تبتدىء بعصر النهضة ، حيث بدات تتكون معلومات كثيرة ، عن طريق الرحالة والمبشرين ، عن المناطق الجديدة التي ارتادوها ، وعن سكان هذه المناطق . وكان لقرابة

تلك المعلومات رد فعل في اوربا تبلور في كتاب جان جاك روسو « العقد الاجتماعي » الذي كتبه بعد ان استوعب معلومات بعض اولئك المبشرين وخاصة كتاب الاب لافيتو . ثم بظهور نظرية التطور لداروين اخذت العلوم تتسابق لتبلور لنفسها منهجا تطوريا ، كما بدات الحركة الرومانسية التي جعلت اساسها الرجوع الى دولة الطبيعة كما صورها روسو ، وقد قامت هذه المدرسة الرومانسية ودافعها شعور عميق بان هناك ماضيا يختلف اختلافا كيفيا عن الحاضر ، وان كانت صورة هذا الماضي باهتة او غير واضحة المعاني ، الا ان الاساطير والفلكلور والقصص الشعبي كانت تبرز فيها على عهود التنظيم العشائري القديم ، وعلى هذا الاساس بدأ الرومانسيون الالمان ابحاثهم عن الادب والقصص الشعبيين عساهم ان يستخرجوا من الماضي السحيق نموذجا له ، ولكي يؤسسوا معالم التطور الحضاري . وقد قام في برلين اول متحف الحضارات ، كان في حد ذاته يحمل معنى جديدا النظرة الرومانسية الى العادات والخرافات والطقوس الدينية والسحر ... والحضارة بوجه عام .

(يتبع)

العربي الزنايدي

تعليل عاطفة النقد

... يرجع الى غريزة الاثرة ، وحب النفس ، كان الانسان يرى ان القول بعيوب الناس ، يتضمن القول ، بتفوقه ، والتشهير باغلاطهم ، اقرار سلبي بنبوغه ...

الحجيج ومكة

سيسال قوم : ما الحجيج ومكة كما قال قوم ماجديس وما طسم

ـ ابو العلاء المعري ـ

تطور المغرب الثقافي والاجتماعي في القرون الوسطى ونصيب المرأة في هذا التطور

للأستاذ : محمد جميل بيهم

يتالف المغرب من اقاليم ثلاثة : مراكش والجزائر ، وتونس . وهو في طبائعه وخصائصه يختلف عن الشرق الادنى والاندلس تبعا لاختلاف العناصر القومية التي تسكن في كل منها . فحين الفتح العربي كان المغرب ماهولا بالبربر ، وظل هؤلاء اصحاب الكثرة في ارجائه ، ولكنهم تعربوا تدريجيا حتى اصبحوا مع مواطنيهم العرب ، لا يعرفون جامعة لهم الا جامعة الاسلام .

والبربر كانوا يعتمدون على نظام القبائل والبطون ، فتغلب عليهم البداوة ، بما فيها من صلابة وبسالة ، وقوة في سبيل الحفاظ على الاخلاق المرعية عندهم ، وعلى تقاليدهم . لذلك فان المغرب ، وان تاثر قليلا بالحضارة الاندلسية بفعل الجوار من حيث الثقافة والعمران ، ثم ازداد تاثرا بعد ان اختلط ببلاد الاندلس اثر اجتياز المرابطين والموحدين والمرينيين العدوة اليها ، الا انه لم يتاثر كثيرا من الناحية الاخلاقية ، فحافظ على عاداته العشائرية وعلى مقاييسها ، وخصوصا في ناحية الحفاظ على الاعراض ، والغيرة على الحرم . ولما شرع اهل المغرب يقتبسون من حضارة الاندلس شيئا من نعيمها فرفعوا القصور ، واجتلبوا الجواري من الاندلس والشرق ؛ حرصوا على اخلاقهم العشائرية فلم يطلقوا لانفسهم العنان فى ارتكاب الموبقات ، ولم يجاروا الاندلسيين فى اطلاقهم حرية المراة . بل حجزوا عليها فى دور الحرم ، واقاموا على خدمتها وحراستها الخصيان من ارقاء الصقالبة وسواهم . وكانوا يحظرون عليها الخروج من الدار . واذا اعوزها الامر ففي جنح الليل ، على ان تكون محجبة .

واما الناحية الثقافية فقد تاخر نضجها في مراكش والجزائر لان البربر كانوا علاوة على اكتفائهم بالعلوم الدينية واللسانية ، يعزفون عما عداها حرصاء على لغتهم القومية . ومنذ انحلال دولة بني الاغلب في تونس وغيرها ، فى اواسط القرن السابع للميلاد ، الى زمن احتلال آل عثمان شمالي افريقيا ، وذلك في القرن السادس عشر ، استمر المغرب تحت ربقة حكومات من سلالات البربر تتوزعه فيما بينها ولم تحسن الادارة ، ولم تعن كثيرا بالشؤون العمرانية والثقافية . بيد ان دولة واحدة هي الدولة الرستمية ، التي قامت في طاهرت الجزائر (271 م) ، شاءت ان تتمثل بدولة بني الاغلب العربية التي كانت في تونس ، والتي احتلت اجزاء كثيرة من شمالي افريقيا وجزر البحر المتوسط . شاءت تلك الدولة ان تتشبه بها فى تعزيز الثقافة ، بيد انها حرصت على أن يتم هذا البعث الثقافي على لغتها البربرية . فظهر في عهدها وبلغتها طائفة من الادباء ، وكان على راسهم أبو يزيد الرستمي . اما وان مؤسس الدولة الرستمية عبد الرحمن بن رستم كان فارسيا فقد تجلى السبب فى انفرادها دون الدول الاخرى في العناية عناية حقيقية بالعمران والثقافة ، ولكن الذي بقيت اتساءل عنه هو : لماذا أظهر هذا الفارسي تعصبه للغة البربرية دون العربية؟ أكان مصدر ذلك النكاية بالعرب ؟ ام تاليفا لقلوب البربر حوله ؟ ام للامرين معا .

على ان البربر لم يستطيعوا في النهاية الصمود طويلا تجاه التيار العربي والحفاظ على لغتهم كلغة علم وسياسة . بل لم يلبثوا ان سايروا النهضة خلال ايام الموحدين والفاطميين في المغرب وبني زيري والصنهاجيين ، فظهر علماء كثيرون فى المغرب باللسان

العربي المبين . ثم تعاقب على شمالي افريقيا منذ القرن الحادي عشر الى الخامس عشر شعراء وكتاب مرموقون . اشهرهم ابن خلدون وابو علي التميمي : معري المغرب ، وابو حسن علي المراكشي فيلسوف المغرب . وساهم معهم في ذلك بعض السيدات وكانت اشهرهن عائشة الشريفة . وقد نوهت دائرة المعارف للبستاني (ص 788) بسيدة اخرى ، وهي زينب بنت اسحاق النفراوية التي تزوجها السلطان يوسف بن تاشفين (453 – 500 ه) وهو من دولة المرابطين .

غير ان الذي يقال عن مراكش والجزائر لاينطبق على تونس . فهي كانت ، ولا تزال ، قنطرة بين المشرق، والمغرب تتأثر بالمشرق مثلما تتأثر بالمغرب فتبدو وسطا بينهما . وهي اشبه شيء بلبنان الذي يلتقي فيه كل من الشرق والغرب .

والى هذا فان تونس توفر لها باكرا ، ما لم يتوفر لسواها من بلاد المغرب : توفر لها ولاة احتضنوا الثقافة ورعوها ، وعملوا لنشرها . وكان أول من رفع لواء الادب العربي فيها عبد الرحمن بن زياد المعافري، الشاعر الفحل ، الذي ولي قضاء القيروان (94 – 161 ه) . ثم سرعان ما قامت فيها دولة الاغالبة العربية (184 – 296 ه) التي جرت مجرى العباسيين في تعزيز الثقافة واهلها ، واوفدت البعثات الى الشرق لطلب العلوم والآداب . وقد اشتهر فيها علي ابن زياد العبسي ، وهو اول من ادخل كتاب الموطأ ، ومذهب مالك الى شمالي افريقيا ، كما اشتهر عبد الله ابن قطن . وكان يعتبر اماما في اللغة والآداب . وكان للنساء نصيب من تلك النهضة ، واشهرهن مهرية الاغلبية الشاعرة المطبوعة . وكان كل من جامع الزيتونة في تونس الذي شيد سنة 141 ه . وجامع القيروان منارة للعلوم الدينية والادبية تشع انوارها حولها فتهدي السبيل .

غير ان تونس اصيبت بنكسة بعد الاغالبة ، واصيبت اللغة العربية فيها وآدابها بصدمة اشد قضت على ازهارها . ذلك بأن بني زيري البربر الذين خلفوا الاغالبة على القيروان (362 – 543 ه) تعصبوا لقوميتهم وللغتهم فترجموا اليها الكتب العربية التي يحتاجون اليها ، واهملوا لسان العرب . حتى اذا قام بنو حفص في تونس (625 – 941 ه .) خلال عهد دولة الموحدين ، نهجوا نهجهم في الاعتماد على العربية، وفي تنشيط الحركة العلمية الادبية . فعادت النهضة العربية سيرتها الاولى .

وفي ايامهم استاسد الاسبان وانصارهم ، واضطروا المسلمين في الاندلس للجلاء تباعا عنها . فهاجر اكثرهم الى شمالي افريقيا ، ولا سيما الى تونس . وكان بينهم العلماء ، والادباء ، والفنانون . كما كان بينهم الصناع ، والتجار والزراع .

وكان هؤلاء المهاجرون يمثلون الحضارة الاندلسية على اسمى مراتبها ، فافادوا تونس وغيرها فوائد جمة في جميع نواحي الحياة . وكان لهم في تونس على ماروى الشيخ محمد بيرم (صفوة الاعتبار 127 ج) مدينة خاصة ابتنوها كانت تمتاز عن غيرها في الهندسة وانتظام الشوارع . فاذا بتونس تشهد في عهد بني حفص ، نهضة عامة ، واذا ببعض التونسيات يساهمن في هذه النهضة اسوة بأخواتهن الاندلسيات ولا بدع فعند التونسيين من المرونة والاستعداد للتطور ما ليس عند كثير من الاقطار العربية الاخرى

على ان المغرب الاقصى وان لم يتأثر باللاجئين اليه من الاندلس بمقدار ماتأثرت بهم تونس في النواحي الثقافية والاجتماعية والفنية الا انه امتاز على الامصار المغربية الاخرى بحفاظه على الطابع الاسلامي العربي الاصيل خلال القرون الوسطى وبعدها ، ولا سيما في الناحية الاخلاقية .

واني وان لم احظ حتى الآن بزيارة هذا القطر الشقيق الا ان الفرصة اتاحت لي التعرف الى بعض أهله في اوروبا منذ مطلع هذا القرن ، كما اتاحت لي سماع الثناء على اخلاقهم الطيبة ففي زيارتي الاولى لانكلترا سنة 1913 اسعدني الحظ بالاجتماع في مانشستر ببعض التجار المراكشيين ، وبسماع الثناء الكثير من الانكليز على استقامتهم في المعاملات وصدق لهجتهم . زد على ذلك انهم كانوا في انكلترا يحافظون على زيهم المغربي وعلى تقاليدهم الاسلامية حتى انهم كانوا اذا جاء العيد يعيدون وكانهم في المغرب فيقيمون الولائم الوطنية ، ويدعون اليها الجالية الاسلامية لتشاركهم في افراحهم وشعائرهم الدينية .

على ان الاحوال العامة في المغرب وان تبدلت فيما بعد خلال الاحتلال الفرنسي تبدلا كثيرا شمل اقسامه الثلاثة على السواء الا ان المغرب الاقصى اعرب عن مناعة اشد من سواه ، وهو رغم كل ما اصابه من فتن استعمارية لا يزال يحتفظ بطابعه الاسلامي العربي اكثر من البلاد العربية كلها .

ومن حسناته انه وان كان يبني الآن صرح مستقبله على قواعد جديدة فهو لم يقطع صلته بماضيه المجيد . وفقه الله لما يحبه ويرضاه .

محمد جميل بيهم

القانون بين المذهب الفردي والمذهب الجماعي

للأستاذ : عبد الغني سيكو

الناس يسعون الى تحقيق مصالحهم وهم في سعيهم يتصارعون ويتخاصمون لان كل واحد يريد ان يستأثر بالخيرات دون الاخرين ، وعلى هذا الاساس كان من اللازم وجود القانون ، اذا ، فهو ظاهرة اجتماعية وضرورة لازمة لكل مجتمع بشري يرعى حقوق الناس ويحافظ على حرياتهم ويوازن بين مصالحهم . ولكن ما هو نطاق القانون ؟ ما هو المدى الذي يجوز فيه للقانون ان يتدخل ؟ ايجب عليه ان يقف موقف الحياد من علاقات الناس فلا يتدخل الا عند الضرورة ام انه يجوز له ان يتدخل كثيرا في علاقات الناس ؟ الواقع ان نطاق القانون او مدى ما يجوز للدولة ان تتدخل فيه يختلف باختلاف البيئات والازمان وذلك تبعا لاختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وعليه فلا نستطيع ان نعطي تحليلا واضحا عن مدى سيطرة القانون . اذ هذا يختلف كثيرا باختلاف الشعوب . ولكن يمكن حصر مدى تدخل الدولة ، او مدى تدخل القانون ، في مذهبين ، او نزعتين ، هما النزعة الفردية والنزعة الجماعية ، الاولى لا تبيح ان تدخل الدولة الا عند الضرورة . والثانية ترى وجوب تدخل الدولة كثيرا ، بل تذهب في بعض الظروف الى حد ان تصبح الدولة هي كل شيء وبالاخص يوجد هذا في البلاد التي تمذهبت بالمذهب الاشتراكي وعلى هذا الاساس فسنتحدث عن النزعتين الفردية والجماعية مبادىء كل منهما ، محاسن وعيوب النظريتين ، النظرية التوفيقية ، النظرية الاسلامية .

المذهب الفردي والمذهب الاجتماعي :

يرى المذهب الفردي ان الجريمة الفردية هي الهدف ، وان الفرد هو قلب المجتمع النابض وان هدف كل جماعة بشرية هو حماية حقوق الفرد وان مصلحة الفرد فوق مصلحة المجموع وانه يمكن التضحية بمصلحة الجماعة في سبيل المصلحة الفردية ، وان هذه الحقوق الضيقة بالانسان لا يمكن التنازل عنها ولا سقوطها بالتقادم . وهذه الحقوق وجدت قبل وجود الجماعة ، والجماعة لم تقم الا لرعايتها ، وحمايتها ، اذ هي سابقة على وجودها . وهذه النظرية عرفت بالنظرية الفردية او الذاتية ، وقد وجدت اولا في انجلترا حيث دافع عنها اولا « جون لوك » وذلك عندما شرح نظريته في « العقد الاجتماعي » وآمن بأن الناس كانوا يعيشون منعزلين قبل قيام الجماعة ولم تكن حياتهم فوضى وا نماكانوا يعيشون في امن وسلام ، ولكن حياتهم في بعض الظروف ، كان يعتورها الغموض ، وينقصها عدم وجود القاضي المنصف ، ولذا قرروا الخروج من حياة العزلة الى الحياة الاجتماعية ولكن الذي اصبح يلي شؤون الجماعة لا بد من ان يرعى حقوق الافراد لانها سابقة على وجوده . وقد انتقلت النظرية الفردية من انجلترا الى فرنسا فبرزت عند « مونتسكيو » في كتابه « روح القوانين » 1748 و « جان جاك روسو » في كتابه « العقد الاجتماعي » واثرت هذه النزعة على الوثائق الدستورية التي صدرت في امريكا الشمالية وذلك بمناسبة استقلال المستعمرات الثلاث عشرة 1776 وقد تضمنت ديباجة ، جاء فيها : « ان الناس خلقوا سواسية ، متمتعين بحقوق خالدة ، لا تنتزع ، ولقد نشأت الحكومات لصون هذه الحريات » .

والرجال الذين قاموا بالثورة الفرنسية كان لهم الفضل في وضع افكار فلاسفة المذهب الفردي موضع التطبيق . فالوثيقة التي اقرتها الجمعية الوطنية

1789 واعتبرت جزءا من الدستــــور الصادر 1791 جاء فيها : « ان هدف كل جماعة سياسية هو صيانة حقوق الانسان الطبيعية الخالدة وان صيانة حقــوق الانسان والمواطن تقتضي قيام سلطة عامة ولــذا فان هذه السلطة تقوم لصالح الجميع لا لصالح من يعهــد اليهم بها » ، والحرية هي فعل كل ما لا يضر بالغيــر وليست هناك قيود تنال حرية الافراد الا تلك التــي تكفل لباقي الاعضاء فــي الجماعـــة التمتـــع بنفس الحقوق ، فالحرية هي الاساس والتقييــــد ما هو الا استثناء ، ولذا كان القانون هو علم الحرية ، وهدفــه صيانتها ، ولم يبح المذهب للدولـــة بان تتدخــل الا للتمثيل الخارجي والامن الداخلي ، وصيانة العدالــة وقد شبه بعضهم الدولة بشرطي المرور الذي ينظـم السير فهو يوقف البعض ليمر البعض الآخر ولكــن عليه ان يحافظ على حقوق المارين جميعــا .

ولكن النزعة الفردية ليست حديثة عهد بالوجود بل هي قديمة ، فهي تعود الى ايام الرومــان حيث ان القانون عندهم كان فردي النزعة ولكن الذي يميــز القرن الثامن عشر والتاسع عشر هــو الافــراق في الفردية حتى اتــت وثيقـــة استقــلال المستعمرات الانجليزية ودستور الثورة الفرنسية معبرة عن هــذه النزعة وذلك بتسويد الحق على القانون واعتبار الحق سابقا في وجوده على القانون بل ان هدف القانون هو حماية الحقوق ورعايتهــا .

وعلى كل فان النزعة الفردية تجلت في الميدان السياسي والقانوني والاقتصادي ، ففــي الميــدان السياسي ، ساد مبــدا حريــة الانسان وتقديسه والايمان بان استقلاله هو الهدف ، وانه مطلق الحرية في تقرير مصيره بنفسه ، وساد الاعتقاد بان القانون هو علم الحرية ، وانها هي الهدف الذي ينبغــي ان يقصده كل نظام قانوني عادل . وفي الميدان القانوني تجلى في ازدهار مبدا سلطان الارادة وحريتها ، وان رضا المتعاقدين شريعتهما وانه لا يمكن لاي من المتعاقدين ان يقــرر بارادته المنفردة انهاء العقــد مهمــا كانت الظروف التي تبعث هذا الانهاء ، لانه يكفي ان تكون ارادته اتجهت الى احداث اثر قانوني وهي تامة التنور، وامام مبــدا سلطان الارادة تضاءلت ارادة المشــرع واصبحت ارادة الفرد تعلو على ارادة الدولة بــل ان النظم القانونية اصبح اساسها عند انصار هذا المذهب الارادة ، والارادة الفردية وحدها ، فالملكية عندهــم

هي المظهر المادي لمبدا سلطان الارادة والميراث ما هــو الا وصية مفترضة ، والمجرم الذي ينفــذ فيه حكــم الاعدام ارتضى هذا الحكم عن طواعية ، لانه قبــل هذا القانون سلفا لان القوانين كلها وليدة ارادة الشعب . وفي الميدان الاقتصادي اعتقدت ان الحرية الشخصية هي الهدف وان المنافسة هي الاساس وان الفرد لايمكن له ان يعمل الا بوازع ينبعث من اعماقه وان غريزة حب التملك غريزة اصيلة في الانسان وانــه لا ضرر مـــن المنافسة على الصالح العام اذ ان مجموع المصالـــح الفردية يكون الصالح العام . هذه هي فلسفة المذهب الفردي حرية سياسية وتسويد للحــق على القانــون ومنافســة في الاقتصـــاد .

تقــديــر النزعــة الفــرديــة :

ادى المذهب الفردي الى الاعتــراف للانسان بكرامته كانسان والايمان بانه مستقل عن غيره مــن الكائنات البشرية وبان له حقوقا يجب صيانتها وكــان له اكبر الاثر في تحرير الفرد من استبداد الحكـــام والاعتراف بمساواة الناس وهذا معناه القضــاء على النظام الطبقي الذي كان يشكل تهديدا خطيرا لحريات الافراد ولكنه لا يخلو من عيوب سنتولى عرضها :

1) ان المذهب الفردي قــام على اساس نظرية العقد الاجتماعـــي وهي نظرية خيالية اذ الانسان لم يعش قط منفردا وانما عاش في الجماعة وبالجماعــة ولم يثبت لنا التاريخ ان الانسان كان يعيش منفــردا ثم قرر ان يجتمع بغيره فتكون المجتمع ، ونتيجة لهذا فانه لا يمكن تصــور ان هناك حقوقا يكتسبهــا الفــرد وهي سابقة على وجود الجماعة ، والجماعة لم توجــد الا لحمايتها ورعايتها اذ الحقوق كلها اجتماعيـــة ولا يمكن ان تنسب الا لانسان يعيش في الجماعة اذ عندما نتصور حقا فلا بد من وجود صاحب للحق وآخــر او آخرين ملتزمين باحترامه . واذا كانت الحقوق كلهــا لا توجد الا في جماعـــة وانه ليس هناك حــق اذا لم تعترف به الجماعة كان معنى هذا ان الحق ليس سابقا في وجوده القانوني بل ان القانون هو الســابق في وجوده على الحق بدليل ان كل حق لا بد من ان يحميه القانون

2) ان المذهب الفردي يؤدي الى سيــادة الانانية ويعلم الانســان ان يطالب ويتمتــع بحقوقـــه دون ان يتحمل واجبات ، واعــلان حقوق الانسان هو نفسه تحدث عن الحقوق واغفل الواجبات .

3) ادى المذهب الى تكديس الثروات وتجمعها في ايـد قلة قليلة من البشر ونزول الفئة الوسطى من المتنخبين الى طبقة العمال وقامت الشركات الكبرى التي احتكرت الانتاج وتدخلت كثيرا في السياسة لحساب الراسمالية وكثر العمال وتضخم عددهم وتجمعوا في المصانع وساءت حالهم لتفاهة الاجور التي كانوا يتقاضونها والبطالة التي كانت تسيطر عليهم خصوصا في ظروف الازمات الدورية وازدادت حالتهم سوءا نتيجة اهمال المشرع لهم وايمانه بمبدأ سلطان الارادة وشعور العمال بالظلم ادى بهم الى ان يتجمعوا ويكونوا طبقة خاصة بهم هدفها حماية صالح الامة كلها لا حفنة كما يريد ذلك المذهب الفردي وان المذهب الفردي يجب ان يزول .

4) آمن المذهب بان مجموع المصالح الفردية يكون الصالح العام وهذا خطأ اذ الناس يجرون وراء مصالحهم ولا يهمهم صالح الجماعة بل قد يحققون مصالحهم على حساب مصلحة الجماعة والثابت عمليا في المذهب الفردي ان مجموع المصالح الفردية لا يكون الصالح العام اذ ان مجموع المصالح الفردية يستحيل في النهاية الى تحقيق مصالح قليلة من الافراد والسبب في ذلك هو انه يعتقد ان الافراد متساوون في المراكز القانونية وبذا يخطيء خطأ فادحا اذ ينسى الفوارق الاقتصادية والاجتماعية والطبيعية التي توجد بين الافراد . والخطأ الذي وقع فيه هذا المذهب في الناحية الاقتصادية هو نفس الخطأ الذي وقع في الناحية القانونية ذلك ان مبدأ سلطان الارادة وحريتها يقضي بالمساواة المطلقة فيما بين المتعاقدين في حين ان هناك فوارق كثيرة يجب اعتبارها بل الادهى من ذلك ان المذهب يغالي غلوا غير مقبول عندما يقول ان الارث مبني على وصية مفترضة فالصبي لا يستطيع ان يترك وصية صريحة فاحرى وصية مفترضة . او ان المجرم ارتضى توقيع العقوبة عليه في حين أن رأي مجرد يقول خذوني . وهكذا فان مساويء المذهب الفردي كانت تحمل بين طياتها قيام مذهب جديد هو المذهب الاجتماعي الذي يعتبر رد فعل عنيف المذهب الفردي .

المذهب الاجتماعي :

ان الفرد ليس هو الهدف وان الهدف هو الجماعة وان مصلحة المجموع يجب ان تقدم على مصالح الافراد وان مراعاة مصلحة المجموع ليس فيها ضرر على الافراد اذ ان الصالح العام يوزع على الافراد . وهذا المذهب اصبح يبصر بالفوارق الكثيرة الموجودة بين الافراد وان حرية المتعاقدين وسلطان الارادة ليس كفيلا بتحقيق العدالة بين الافراد ، واخذ بمبدأ تدخل الدولة لحماية الطرف الضعيف في العقد. وبالاخص عقود الاذعان وولدت نظرية التعسف في استعمال الحق ونظرية الظروف الطارئة وتدخلت الدولة في عقود العمل واقامت نظرية الغبن وغالت بعض المذاهب الاجتماعية الى حد القضاء على الملكية الفردية بصفة مبدئية ونقلها الى الدولة فتصبح الدولة هي المنتجة الوحيدة وهي رب المصنع وصاحب المتجر تستخدم الافراد حسب حاجياتهم فهم يعملون في مصانعها بعد ان قضوا طفولتهم في دورها ومدارسها ونالوا التربية والتوجيه الذي تريده وعلى هذا فهم يولدون ويحيون ويموتون ولا يعرفون خلال كل هذه المراحل غير وجود الدولة ، وظهر هذا الغلو في المانيا الهتليرية وايطاليا في عهد موسوليني وروسيا السوفياتية ، ولكن الملاحظ حتى في الدول الاخذة بالمذهب الفردي هي نفسها اصبحت تنظر بعين الاعتبار الى الفوارق الموجودة فيما بين افراد الجماعة وانه من اللازم حماية الانسان من استغلال اخيه له . بل حمايته حتى من نفسه والملاحظ ان النزعة الجماعية ليست حديثة عهد بالوجود بل هي قديمة جدا فهناك كثير من القبائل لم تكن تعترف بأي حق لافرادها وانما كانت ترى ان الفرد يجب ان يفنى في الجماعة .

النظرية المعتدلة :

والواقع انه اذا كانت النزعة الفردية قد غالت في الاعتداد بالفرد وتقديسه واعتباره غاية كل جماعة وهدفها الاسمى فان المذهب الاجتماعي قد غال في تقديس الجماعة والاستهانة بالفرد فاذا النزعة الفردية لاتبصر الجماعة ولا تحترمها وانما تبصر الفرد فتقدسه وهذا غلو فان النزعة الجماعية تدوس كرامة الفرد ولا تعترف له بحريته ولا تحفظ له استقلاله من غيره من الكائنات البشرية ولا ترعى فيه غرائزه الفردية ، وعليه فان المذهب الفردي لايرى في الانسان الا انه كائن فردي والمذهب الاجتماعي لايرى في الانسان الا انه كائن اجتماعي .

والحقيقة اننا لانستطيع ان ناخذ بالنزعة الفردية التي لاترى في الانسان الا انه كائن فردي وتملي البؤس لاكثر الناس ولا تراعي الفوارق الاجتماعية والاقتصادية والانسانية فيما بين الناس ولا النزعة الجماعية التي لاترى في الانسان الا انه كائن اجتماعي والتي تهدر فيه كرامته ولا تحترم فيه شخصيته ولا غرائزه التي تدفعه الى الابتكار ثم هي نظرية خطيرة اذ انها تقوم على اساس الصالح العام ولكن لاتبين لنا من سيحدد المصلحة العامة وباسم من سيضحي الافراد بمصالحهم الخاصة ان لم يكن باسم الحاكمين وما هو المعيار الذي سيتخذ لتحديد نطاق الصالح العام والاغلب ان يكون هذا المعيار سياسيا .

وعلى هذا الاساس فلا بد من ازدواجية النزعتين في الحياة الانسانية النزعة الفردية والجماعية ، فالانسان كائن فردي وهو في نفس الوقت كائن اجتماعي فمن اللازم ان تحفظ له كرامته ، ويعترف له بحقوقه ولكن في الوقت نفسه يجب الاهتمام بصالح الجماعة واعتبار الفوارق الموجودة بين الناس.

ويلاحظ في الاخير ان الاسلام اقرب الى النزعة الاشتراكية منه الى الفردية فهو لم يهمل الجانب الفردي في الانسان ولا الجانب الاجتماعي فيه وان كان الى هذا الاخير اقرب فالحق لا يملكه الفرد الا اذا خولته الجماعة اياه وهو لايملك التصرف المطلق فيما تخوله الجماعة اياه اذ ان تصرفه مقيد بالصالح العام للجماعة فلا يمكن ان يتصرف تصرفا يضر بالصالح العام ويحمي القانون هذا التصرف .

وسنتولى عرض موقف الاسلام من النزعتين الفردية والجماعية باسهاب في مقال خاص .

قيل .. وقالوا ...

قال الرازي :

لقد تاملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رايتها تشفي عليلا ، ولا تروي غليلا ، ورايت اقرب الطرق طريق القرآن. اقرا في الآيات : « الرحمن على العرش استوى » و « اليه يصعد الكلم الطيب » واقرا في النفي « ليس كمثله شيء » و « لايحيطون بعلمه الا بما شاء » ... الى ان قال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل تجربتي .

نهاية اقدام العقول عقال

وغاية سعي العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

سوى ان جمعنا فيه : قيل وقالوا ! ..

ثقافتنا الإسلامية المعاصرة

للأستاذ : الحسن السائح

الثقافة وعي حضارة ؛ لابد لها من الحرية والتعبير المحلي المعتمد على اللغة ، ولا بد ان ترتكز في حاضرها على الماضي وتسير في تصميم محكم ؛ والاسلام دين سماوي ، وهو مفهوم عقلانيا ، ومزود بفلسفة قوية ، استطاع ان يستوعب ما سبقه من حضارات ..

- 2 -

وهنا اظهر الفكر الاسلامي طاقته الجبارة ، ومرونته العظيمة ، حيث استوعب كل ما سبق من انتاج الفكر ، ثم اعطى كل ذلك للحضارة الغربية بواسطة ابن مسرة وابن سينا ، وابن رشد وابن ميمون ، فاستمدت الحضارة الغربية في عصر النهضة كل مقوماتها من الحضارة الاسلامية ، ولو انصف التاريخ او لو كتب المسلمون تاريخ الغرب لا ظهروا الاثر البارز للثقافة الاسلامية في عصر النهضة بفضل الاسلام اعظم بكثير من فضل اليونان على الغرب ، ذلك لانه انما عرف الحضارة الافريقية بواسطة علماء الاسلام الذين لم ينقلوها بل شرحوها واضافوا اليها عدة اضافات وعلقوا عليها من فيوض الالهامات الشرقية غير ان العالم الاسلامي اصيب بنكسة فتجمد ، وبالتالي عجزت الثقافة الاسلامية ، والمسؤولية في ذلك تحدد بعدة عوامل سياسية واقتصادية وفكرية ، وفي الوقت الذي تجمدت فيه الحضارة الاسلامية كانت الحضارة الغربية في بداية الانطلاق ، وتطورت بسرعة لعوامل اقتصادية واجتماعية ، ولم تسر في تطورها السريع صوب ذاتها ، بل توسعت في العالم الاسلامي على حساب الحضارة الاسلامية ، وبذلك تحدتها وحاربتها في عقر دارها ، وكان هناك فرق بين تحدي الحضارة الاسلامية للغرب ايام نهضتها حيث كانت متسامحة ، عاطفة روحية ، وبين تحدي الحضارة الغربية للحضارة الاسلامية حيث كانت ظالمة متعنتة خطيرة . وبينما سعت الاولى لتطوير التفكير الغربي ، والاخذ عن حضارته سعت الثانية مدفوعة بالتعصب لتكتسح الثقافة الاسلامية في عملية جينوسيد للثقافة الاسلامية .

وما يزال العالم اليوم في معركة صامتة بين الثقافة الاسلامية ، وبين الثقافة الغربية ، وتزال نعاني ازمة الشك في قيمة حضارتنا المغلوبة على امرها .

لقد اعطي للغرب فرصة من الزمان ، والقوة المادية ، وتنظيم ثقافته وحضارته ، وتدوين تاريخه وفرض ثقافته بالقوة مما جعل ثقافته تظهر دائما في صورة (ذات الفكر المنظم) او في صورة (الثقافة الرسمية) و (الحضارة القانونية) او الثقافة العامة المعترف بها ، اما الثقافة الاسلامية ففي وضع معاكس تماما لا تحسد عليه، فهي متفرقة متباينة تفتت شخصيتها الحضارية او اشرفت على التفتت ، والمسلمون اصبحوا يكونون مجالا للتجارب الحضارية شاعرين بانهم اصحاب مجد دارس وثقافة منحطة ، يتلقون الحضارة الغربية بالقوة حينا ، والحيلة مرة اخرى ، يتوهم الكثير منا اننا مضطرون اذا رغبنا في التطور الارتماء في احضان التفكير الغربي والحضارة الغربية .

وانتهى هذا الغزو المنظم الى فل شتات الالتحام الاجتماعي الاسلامي ، وحيوية الضغط العائلي لمقاومة عوامل الضعف والانحلال ، فتضاءل الوازع الديني الموقظ للضمير الذي ينمي الحاسة الدينية في الفرد والمجتمع ، وبذلك اخذت شخصية المسلم في التفتت ، وكان في اثر ذلك في المجتمع ان فقدت العائلة حفاظها على التراث ، كما كان من اثر ذلك في الفكر العلمي المسلم ان خلد الى الراحة والسكون وفسح المجال لظهور صنفين (احدهما) يتنكر للدين ويروج الالحاد ، مستهزءا

بالمعطيات الحضارية الاسلامية ، متخذا من تاريخ المسلمين مجالا للنقد (وثانيهما) ادعاء المحافظة على الدين في روتينية كهنوتية لا يعرفها الاسلام تستغل المجتمعات وتقيم فوارق طقوسية زاوية لا تنسجم مع زوايا المربع الكامل ، لان الاسلام دين اجتماعي يتساوى فيه الجميع ، ويعبيء الطاقة العقائدية للجميع ، حتى وقر في نظر الذين لم يحظوا بالدراسة الاسلامية تشبيه الاسلام بالمسيحية التي تعتمد على الاكليروس للقيادة الدينية ، وهذا الافساد لطهارة الدين وبساطة نظامه ووحدة المؤمنين اضعف كل وسائل قوة الدعاية الاسلامية ، وحتى الارشاد الديني فقد مفعوله بتوالي الايام ، فالارشاد والوعظ في الاسلام يؤديه كل مسلم قادر على ذلك آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، وبذلك ظل قوي التأثير حمي الدعوة صادق اللهجة ، يواجه الواقع المنحرف المذبذب بقوة واقتناع صادرين عن حماس طبيعي لا عن احتراف ، ولا شك ان ظهور حماس جديد كفيل ان يعيد ذلك المجد الحضاري الذي نعتز به لبناء مستقبل باسم نهدف الى تحقيقه بكثير من الجهد ، وقد دلت التجربة التاريخية اننا كنا على رأس الحضارة الانسانية وان نجاح هذه التجربة نتيجة اخلاصنا لعوامل تقدم الحركة الاسلامية لان الحضارة الاسلامية عانت تجربة ممضة وكابدت غزوا منظما ، ولكنها على اي حال ولله الحمد تحصنت عن الاذابة والانصهار في بقة الحضارة الغربية ، وخرجت سالمة من المعركة واذا تضافرت قوانا من جديد لبعثها سوف تكون اقوى مما كانت عليه ، وحسب قول الشاعر القديم :

القنـي فـي لظـى فـان غيرتنـي
فتيقـن ان لسـت باليـاقـوت

فان الحضارة الاسلامية القيت في اتون من نار ، فلم تتغير ، ونحن اكثر ايمانا من اي وقت مضى بفعالية خدمتها للانسانية والتاريخ ... وان المعركة التي خاضتها الثقافة الاسلامية في مواجهة الغرب جعلتها تتأثر بصفة مباشرة وبصفة غير مباشرة بثقافة الغرب وحضارته ، وآن لنا ان نخضع لعملية (نقد ذاتي) عما يجب ان نحتفظ به وما يجب ان ننبذه ، كما آن الوقت لنضع كل الجهود (في الميزان) واذا كان ليس من السهل ان نفعل ذلك فليس من السهل الا نفعل ذلك الابصار فليس منا من ينكر تأثير الغرب في حضارتنا الاسلامية المعاصرة اذ ان الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والاصداء السياسية في الغرب لها اثر حتمي وصدى عميق في التفكير الاسلامي المعاصر ...

واذا كان هناك بعض المفكرين المسلمين يؤثرون (الانعزالية) الثقافية وعدم متابعة الحضارة الغربية المعاصرة بالمعرفة والنقد ، فقد اظهرت الايام خطر فكرتهم على بناء حضارتنا المعاصرة اذ المعرفة الغربية تغزونا على اي حال ، وربما نأخذ عنها تصورات غير واضحة ، كما نأخذ صورا مشوهة عنها ، مما يعسر معه مقاومتها ونقدها عن بصيرة ، والاستفادة منها اذا اقتضى الحال ، وهذا شيء يساعد على تجزئة الشباب المسلم الى قسمين . قسم ارتمى في احضان الحضارة الغربية ـ مضطرا او فوضويا جاهلا الثقافة الاسلامية ، وقسما يتقوقع حول نفسه لا يعيش في عصره ! اذا كان من الضروري مواجهة معضلات العصر فمن الواضح ضرورة كونها عن معرفة عميقة ، وهذا يقتضي القول بعملية (الاستيراد الثقافي) واذا كان السير الطبيعي يقتضي تبادلا ثقافيا فان الواقع المؤسف اننا لا نملك اليوم كثيرا مما نعطي ، بل اصبحنا في حاجة ماسة الى معرفة (حضارتنا) وانتهاء ونحن نتعرف اليوم على ابن رشد عن اللاتينيين ، فحضارتنا كادت ان تصبح مجهولة اكثر من غيرنا ، غير ان التبادل اذا عسر شأنه اليوم فسوف لا يضن به المستقبل ، واذا فالاختيار يحتم علينا ان نأخذ من الثقافة الغربية والاخذ الثقافي الذي اصبح ظاهرة هذا العصر بالنسبة للشعوب النامية ولا شك ان التطور (التقني) في الغرب تجاوز حدوده الطبيعية واصبحنا بالضرورة نتطلب (الاستيراد التقني) طلبا لا غنى عنه وهذا الاستمداد يحمل معه تأثيرات اجتماعية وثقافية وفنية واقتصادية ... وكل هذه التأثيرات ذات اثر في التفكير الاسلامي ، والاسلام لا يفزعه التقدم التقني الغربي ولا يخشى ان يأخذ منه ، لان الحضارة الاسلامية حضارة تقنية كذلك ، آمنت بالعلم ، ورعت العلم ، وقدمت العلم ، واول آية نزلت على النبي كان شعارها القراءة والتعلم .

وفي ممالك الاسلام ازدهر الفلك والطب والرياضيات والعلوم ولكن سبق الغرب لاكتشاف (البخار) طور الفيزيا في الغرب ، واعطاه فرصة للتقدم على العالم الاسلامي ، وبذلك وجدنا انفسنا منذ ثلاثة قرون ونحن نأخذ ولا نعطي ، كما بخل علينا الغرب بما يملك فلا يعطي الا بمقدار وبشروط قاسية ، اعوزنها الاستغلال الفظيع لطاقتنا ، ولهذا فنحن نواجه اليوم حضارته في ضيق وحرج ، وبكثير من التضحيات على حساب انظمتنا الاجتماعية والاسروية واللغوية والفكرية ... ومع التقدم التقني الذي يعتز به الغرب فحضارتنا الروحية ما تزال قوية منيعة ، وما يزال الغرب في حاجة الى عبقريتنا . وان اقبال ومحمد عبده انارا الافق الغربي باشعاعات روحانية الاسلام .

ونرجع الى ضرورة (الاستيراد الثقافي) وطريقة الاستفادة منه واذا رجعنا الى آراء تويمبي مؤرخ القرن الحديث عن طريقة الاستمداد الثقافي نرى المؤرخ الانجليزي يقر ضرورته وخطورته في نفس الوقت (★) ، وهو حسب رأيه يسير في اربعة مراحل (الاولى) ان الخصائص الفردية للثقافة تكون اكثر قبولا من

★) عن : The Warld and the West ، ترجمة عن بحث للاستاذ جون جروبنام .

تلك الثقافة في عمومها ، (ثانيا) ان قوة النفاد لاي اشعاع ثقافي تكون على نسبة عكسية للقيمة الثقافية لذلك الاشعاع ، (ثالثا) ان قبول عنصر من ثقافة اجنبية يجري وراء سائرها ، (رابعا) ان هذا العنصر المفرد قد يكون اكثر ازعاجا للمدنية القابلة فيما لو تبنت الثقافة كلها، هذا رأي توينبي في الاستمداد الثقافي ، ولا شك انه يجب ان يؤخذ بكثير من الحيطة بالنسبة للثقافة الاسلامية ، ذلك لان الثقافة الاسلامية ثقافة قوية معتزة بنفسها ، شاملة لكل مرافق الحياة ، والحضارة الاسلامية انما تطبق ما نراه في الغرب على ما اكتسبته خلال تجربتها التاريخية وانه لمن السهل على مؤرخي الحضارات ان يردوا الكثير من اصول الحضارة الغربية ومظاهرها اليوم الى اصولها الاسلامية الاولى ، وطبعا في غير مجالات (التقنية) التي تسلم للغرب بالتقدم فيها والتي لا تخضع لشعب من الشعوب لعالميتها .

وانما تظهر في الآداب والاخلاق ، وقد يجوز ان تطبق نظرية توينبي على بعض الحضارات الاسيوية والافريقية ، اما بالنسبة للعالم الاسلامي فله قصة اخرى ، واذا قلا نخشى من الاستمداد الثقافي بل ان الاستمداد الثقافي اصبح ضرورة حتمية في هذا العصر ، وليس هناك خطر الحتمية اذا استمرت وفق شروطها الطبيعية كذلك ، وقد مر الاسلام بهذه التجربة في القرن الثاني فقد اخذ من اليونان والرومان والهند وفارس ، واذا كان الاسلام في ذلك الوقت في (موقف هجوم) او في (موقف انتصار) وهو اليوم في (موقف دفاع) فكل ما يقتضيه الموقف اليوم هو التبصر لمواجهة الموقف ، ويجب لتحصين الدفاع ان نحيي تراثنا احياء تاما ، وان نعيه بقوة ونرعاه باخلاص وان نوحد الصف الفكري في العالم الاسلامي ، وان نعرف ثقافة خصوم حضارتنا معرفة تامة ، ثم يجب ان لا ننسى ان الذاتية الحضارية في هذا العصر يجب ان تسبق او تصاحبها مكتسبات اقتصادية ما تزال تكدح لتحقيقها بعد الاستقلال السياسي .

واذا فالضرورة تحتم عملية خلق وعي ثقافي اسلامي واحياء تراثنا العلمي والانساني ، وهذا يتطلب عملا منظما لخلق جو ثقافي في المدرسة والكلية والنادي والمسرح والسينماء والفن والموسيقى ، والاقتصاد والمجتمع والادارة ، مع اعطاء دراستنا صبغة البحث العلمي الرزين وتنويع البحث واحياء تراثنا وما يتطلبه ذلك من تكوين لجان فنية لتمحيص عملية الانبعاث ووسائله ويقتضي التخصص في طريقة البحث العلمي وفي الدراسات الدينية والعلمية والادبية والفنية ، على اساس احيائها ومقارنتها وشرحها واخراجها في اسلوب واضح حتى تستطيع من جديد ان تعطي للغرب المترهل اثرنا الخالد ، والخوف ما نخشاه هو الارتجال الذي تضيع به عناصر القوة ، التي تسم ثقافتنا الاسلامية مما يعرضها لا قدر الله لخطر عظيم ، ان العالم اليوم يعيش منقسما بين ثلاثة اتجاهات ، اتجاه الغرب واتجاه الشرق ، واتجاه العالم الثالث ، واذا كان الغرب واضح الاتجاه كما اذا كان الشرق ظاهر الايديولوجيات ، فالعالم الثالث الذي يعيش واقعا خاصا لا يزال لا يعرف نفسه اولا يؤمن بمعرفته، فلهذا يجب ان يكون لواقعنا فلسفة وان يكون لنا موقف اسلامي واضح من الشرق والغرب ، فمن الواضح بالنسبة الينا كمسلمين ان نظام الشيوعية ليس الا تعبيرا علميا من وجهات نظر لاصلاح اجتماعي ، ولا يعتقد ان الرأسمالية اصل كل مشاكل العالم ، وان القضاء عليها سيصل بالانسان الى الفردوس الارضي وان الثورة البرولتاريا هي طريق الخلاص ، لان الاسلام يرفض الرأي القائل بان عدم توازن المجتمعات هو الراسمال ، ولكن الاسلام الذي يوافق على مبدأ الملكية ، لا يسمح بالاستغلال وبمبدا القوة والرباويات لصالح الافراد ، فهو له مآخذ على الرأسمالية كذلك ، والاسلام يرى ان التربية الاسلامية لضمير الفرد والجماعة هي اساس كل خير ، كما يرى ان تربية الضمير تستمد وعيها من وحي السماء ، وان احوال البشر تصلح اذا اقيم التوازن الصحيح على اساس الحقيقة السماوية فالعالم الثالث له ثقافته او على الاقل للعالم الاسلامي ثقافته وحضارته ، وهي في حاجة الى بلورة ، وهي ثقافة انسانية غير انانية ، هادفة الى تحقيق الخير تعطي وتأخذ ، مرتكزة على ضمير حي ، يقظ ، يستمد قوته من دستوره الخالد المتجدد الذي لا يبلى ... وهو دستور واضح للمسلمين كافة ، ثقافة ديمقراطية تأبى الاستعلاء الفردي او الجماعي فلا تفرق الا بالتقوى ، وخدمة الصالح العام .

ترتكز على المعرفة الضرورية العامة بين البشر غير جامدة ولا متحجرة فهي تشكو لتترك الشك الى اليقين الثابت ، وهي ثقافة تتكامل بين عقيدتها وخلقها وفكرها الاجتماعي غير خاضعة للتضليلات والخرافات .

هي ثقافة نمية هادفة لتوحيد جهود الانسان والسمو به لا تعترف بين جوازية الفكر ولا تتأسد على الضعفاء فكرا وخلقا لا تعير العنصرية في مختلف اشكالها اللونية والدموية ، بل تحاربها عقائديا واجتماعيا بدون هوادة .

ان العالم اليوم ، وقد مزقت وحدة الانسان المصالح والنزعات والايديولوجيات يجب ان يتصور الوحدة الحقيقية الجوهرية للحياة كما اسسها الاسلام .

وان العالم اليوم المتشائم ، المتحارب ، الحائر ، الباحث عن السلام وترع السلام لفي حاجة الى دوخرو الروحية الاسلامية وان السياسة العالمية ، الباحثة عن جوهر الديمقراطية التي لا تعترف بالطبقة ، ولا باللونية ، ولا بالمال ، ولا بالقوة . لفي حاجة الى ديمقراطية الاسلام .

ثم ان الغرب الذي اعطيناه بالامس حضارتنا ونحن راضون كل الرضى ليجب عليه اليوم ان يرد دينه ، فلا يستعمل الجبنوسية لثقافتنا المكافحة ، ولا يصوب اسلحته الهدامة لاكتساح ثقافة لم تخدم الا بالانسانية .

الرباط : الحسن السائح

دراسات حول الأدب المغربي الحديث

للأستاذ: عبد العلي الوزاني

- 2 -

4) مصاعب تواجه الادب المغربي الحديث .

يجتاز الادب المغربي اذن فترة دقيقة من تاريخه وذلك لكثرة المصاعب التي تواجهه ، وتعرقل نموه ، وتبطىء به عن التطور ، واللحوق بالآداب العربية الاخرى ، في بلدان عربية اخرى ، ومصدر دقة فترته هاته انه بسبيل ان يجد ذاته ، وان يكيفها حسب مقتضيات الشخصية المغربية ، وان يسلك بها سبيل التفتح ، لتلتقي مع الآداب العربية والغربية فتتفاعل معها ، وتأخذ منها وتعطيها ، وبالتالي تشارك في الآداب الانسانية ، وتساهم في التخفيف من الام الانسان واحزانه ، وتساعده على حل مشاكله والخروج من ازماته ، فأدبنا اذن في مرحلة انتقالية ، اذ ينتقل من طور الجمود والتفاهة والسطحية ، الى طور الحركة والتطور ولو بكيفية بطيئة وجزئية ومراحل الانتقال دائما تكون محفوفة بالمخاطر ، لانها بصدد استبدال وضع بوضع ، وحال بحال ، وهذه عملية معقدة بالغة التعقيد ، يتجاذب فيها القديم والحديث ثوب الادب ، وتقوى فنون ادبية كانت ضعيفة ، وتظهر فنون جديدة لم تكن من قبل ، وهذه تحتاج الى جهود متواصلة لارساء قواعدها ، والتمكين لها من التربة الادبية ، المغرب الادبي يجتاز اليوم مرحلة شبيهة بالمرحلة التي اجتازتها مصر الادبية في مطلع هذا القرن ، عند ما اخذت تنتبه لشخصيتها وتجيل يد الاصلاح في اجهزتها الثقافية واوضاعها الادبية .

فلا عجب اذن اذا وجدنا مصاعب كثيرة تواجه الادب المغربي الحديث تعوقه عن السير الحثيث ، فما هي هذه المصاعب؟

لعل الصعوبة الاولى التي تواجه ادبنا الحديث ، هي الرقعة الضيقة التي يشغلها في حياتنا الثقافية ، اذ ان مثقفينا ينقسمون الى قسمين : هناك من لا يقرأون ، مكتفين بالشهادات الجامعية التي يحملونها ، وهناك من يقرأون، ولكن في الآداب الاجنبية ، وهؤلاء يكونون الاغلبية ، وهناك اقلية هي التي تقرأ في الادب العربي ، رغم ضآلتها تنقسم قسمين : طائفة تقرأ قراءة مرتجلة خاضعة لمحض المصادفة وليست قراءة جادة هادفة ، وطائفة — وافرادها قليلون — تقرأ جادة مخلصة صادقة، بيد ان الآداب الشرقية تظفر بقسط كبير من اهتمامها ، وقليلا ما تلتفت الى الادب المغربي الحديث ، لتشجعه وتتجاوب معه ، وبذلك يكون ادبنا الحديث لا يشغل كما قلت آنفا الا حيزا ضيقا من حياتنا الثقافية ، فحوله حزام من اللامبالاة ، ونطاق من الاهمال والصد والاعراض ، ومن المعلوم ان اي ادب لا يكتب له ان يتنفس بكامل الحرية ولا ان يتوثب للنهوض بكل قواه ، الا اذا فسح له في الطريق وخلى بينه وبين الانطلاق ، ولست اعني الانطلاق فيما يتناوله من قضايا ومشاكل وآراء فقط، بل اعني كذلك الانطلاق في مساحة واسعة من المجتمع ، لانه بهذا الانطلاق يتاح له ان يستفيد من اكبر عدد ممكن من المواهب والملكات ، فتغذيه بلبن جديد ، وتمده بكثير من عناصر الحياة ، وتكون سنده في النماء والتطور .

وثانية صعوبة تواجه ادبنا الحديث ، هي النظرة التي ينظر بها اليه من قبل اكثرية مثقفينا ، والطريقة التي يتلقونه بها ، والمقياس الذي يقيسونه به ، وخلاصة ما يقال عن نظرتهم اليه انها نظرة استخفاف واهمال ، ولماذا ؟ لعاملين اثنين : العامل الاول انه صادر عن مغاربة ، على طريقة المثل الذي يقول (مغنية الحي لا تطرب) فنحن لم نتعلم بعد كيف نحترم انفسنا،ويفوتنا اننا اذ نستخف باديب مغربي ، فنحن مسؤولون — احببنا او كرهنا — عن فشله وعزوفه عن فنه لو قدر له ذلك ، ويفوتنا اننا بهذا العمل نقتل المواهب وهي في المهد ، ولا نفسح لها في الظهور ، واما العامل الثاني فهو اننا نريد ان تكون اعمال ادبائنا ناضجة قوية تقف مرفوعة الرأس امام اعمال كبار ادباء الشرق ، والا فهي لا تحظى منا بادنى اهتمام ، وكيف يستطيع اديبنا ان يصل الى هذا المستوى الذي نريده بين غمضة عين وانتباهتها ، او بين يوم وليلة ؟ كيف يتأتى لاديبنا ان يكون قايا بارعا ناضجا في يوم ميلاده الادبي ؟ لماذا لا نشجعه اذا استحق منا التشجيع ، ونبارك اعماله اذا برهنت على حسن الاستعداد ، ونتوجه اليه بالنقد البناء ، لننبهه الى اخطائه

وناخذ بيده نحو هدفه البعيد ، مخلصين في ذلك كل الاخلاص ؟ اننا لا نفعل ازاء ادبائنا الا شيئا واحدا ، هو التحطيم ...

وثالثة صعوبة تواجه ادبنا ، هي ان ادباءنا الناشئين حين يريدون ان يجددوا ويبتكروا ، يجدون انفسهم يبنون على غير اساس ، اذ ليست وراءهم تجاريب طويلة قام بها ادباء مغاربة من قبلهم في ميدان القصة والمقالة والمسرحية ، فيضطرون الى الاعتماد على تجارب ادباء غير مغاربة ومن الشرق العربي بالذات ، وتكون النتيجة انهم يجنحون الى تقليدهم احبوا او كرهوا ، واذا بك تجد قصتهم او مسرحيتهم او مقالتهم لا تخلو من العناصر الشرقية ، التي لا يعجزك ان تردها الى اصولها من ادب فلان او فلان من اعلام النهضة الادبية الحديثة في الشرق العربي ، وهذا يشبه الى حد ما ، ما كان عليه الامر في مصر ، عند ما اراد ادباء مصريون ان يكتبوا القصة ، فاخذوا هيكلها واصولها وقواعدها ، بل وحبكتها واحداثها وبيئاتها عن الغرب، عند ما لم يجدوا تاريخا قوميا وراءهم في هذا الفن ، يبنون على اساسه .

ورابعة صعوبة تواجه ادبنا الحديث ، هي انه يشق الطريق نحو النور ، في الوقت الذي بلغت فيه الآداب العربية الشرقية درجة عالية من القوة والنضج والتفوق ، سواء في الكيف او في الكم ، فالمطابع الشرقية تتبارى في الرمي بالاف الكتب من كل لون وفن ، وهذا الفيض الزاخر من الانتاج الادبي المتنوع يملأ مكتباتنا ويغزو اسواقنا ، ويأخذ على قارئنا قلبه وعقله ويصرفه عن انتاجنا المحلي ، فاذا ظهر كتاب لاديب مغربي – وما اقل ما يظهر – جاء كقزم ازاء عملاق ، وكالنجم في حضرة القمر ، فتضاءل وانزوى على استحياء ، واين هو ذلك القارئ المغربي الذي تاخذه الغيرة على ادب بلاده ، فتمتد يده الى ذلك الكتيب المغربي الغريب في وطنه ، وليعرفه من زوايا النسيان والاهمال؟ وهكذا يظهر الكتاب المغربي فلا يكون له في اوساطنا الادبية ذلك الصدى الذي يشجع صاحبه على الاقدام على محاولة ثانية ، فاذا كان ذا عزيمة صادقة وثقة بالنفس ، استمر في عمله متحملا الصدمة في صمود وعزم ، والا انصرف عن الانتاج وعزفت نفسه عنه .

والادب الشرقي ماض في تطوره الجريء ، سخيا الى ابعد حدود السخاء ، ينشر رسالته في الحياة العربية ، ويروي غلة كل متعطش الى الآداب الرفيعة ، ونحن نبارك خطواته الجريئة ، ونهيب بانفسنا ان نغترف من منهله الزاخر ، ولكن يجب ان يكون هذا باعثا لنا على ان نتعهد وجودنا الادبي بالرعاية والعناية ، وان نلتفت الى انفسنا لنقول كلمتنا – مهما كانت متواضعة – في كل موضوع وفن ، مقتنعين بان النبتة الصغيرة لا بد ان تستحيل الى دوحة عظيمة ، متى لقيت من يتعهدها بالسقيا ، وان الادب الشرقي نفسه اجتاز نفس المرحلة التي نجتازها اليوم في الادب والثقافة ، فلناخذ منه العبرة ، ماضين نحو اهدافنا البعيدة .

وصعوبة خامسة تواجه ادبنا المغربي الحديث ، وهي غموض تاريخ الادب المغربي في اذهان جل ادبائنا الناشئين بنصوص مبعثرة ، واكثرها مخطوط ، يحتاج الى من ينفض عنه الغبار ، ويحققه ويرفع به الى المطبعة ، كما يحتاج الى ذلك المؤرخ الذي يرتب فصوله ، وينظم مراحله ، ويعرف برجاله ويبرز العناصر التي ساهمت في تكوينه ، والعوامل التي اثرت في اتجاهاته ، حتى يكون اديبنا على بينة من تاريخ بلاده الادبي ، شاعرا بمدى مساهمتها في الآداب الانسانية ، واضعا يده على شخصيتها الادبية ، متبينا آخر وضع وصل اليه الادب المغربي في حقبته الاخيرة ، السابقة لعهده الحديث ، الامر الذي يجعله قادرا على ان يبدأ من حيث انتهى من سبقوه ، مستفيدا من تجاربهم وآرائهم ومحاولاتهم ، وبذلك يسير الادب المغربي في تسلسل تاريخي واعي خاضع لارادة موجهة ، ومن المعلوم ان معرفة تاريخ اي فن من الفنون ، تلقي ضوءا على طبيعة سيره ، واسلوب تطوره ، ومتى اتضحت مراحل الماضي ، امكن التغلب على مشاكل الحاضر ، ولا نهضة للجديد الا على اساس القديم ، بل لا بقاء للجديد اذا استند الى القديم ، واستفاد منه ، واتخذ منه نقطة انطلاق ، وقد رأينا ان النهضة الادبية الاخيرة في الشرق العربي كان من اكبر العوامل المؤثرة فيها احياء القديم ، وان اكبر ادباء الشرق العربي هم اولئك الذين درسوا القديم واستوعبوه .

5) كيف يبعث الادب المغربي ؟ :

مرت على الادب المغربي حقبة من تاريخه ، كان فيها من اقوى الآداب العربية ، وكيف لا وهو – علاوة على قوته الخاصة – الوارث الشرعي للآداب الاندلسية الرفيعة ؟ ولكن هذا الادب اصيب بنكسة فيما بعد ، واخذ يفقد حيويته وطابعه الاصيل، تبعا لتقهقر اللغة العربية بعد اعلان الحماية ، باستثناء بعض المعاقل التي تحصنت بها اللغة العربية ، والتي تتمثل في بعض الهيئات الوطنية ، حيث كان الادب المغربي يرسل شيئا من اشعته بين حين وحين ، وان كان هذا الادب بحكم انضوائه تحت تلك الهيئات يتسم باللون السياسي في غالب الاحيان .

واليوم نريد لهذا الادب ان يتصل حاضره بماضيه ، وان يواصل اداء رسالته الانسانية ، حيا نابضا واسع الخطوات ، حتى يواكب المغرب الحديث ، ويسايره في تطوره ، وجل المثقفين في المغرب يحسون بالازمة الادبية ويتوقون الى حياة ادبية افضل، وهذا كما قلنا سابقا فيه بعض الضمانة لانفراج ازمتنا الادبية ، ولكن يجب الا يترك الامر لمحض المصادفة ، وانما يجب ان نفكر جيدا في وسائل بعث الادب المغربي والنهوض به الى المستوى اللائق بماضيه الحافل الرائع ، واذا كانت المصاعب والمشاكل التي تواجه هذا الادب قد تكشفت لنا بما فيه الكفاية او بعض الكفاية ، فلم يبق امامنا الا ان نبحث عن اهم الطرق الناجعة

لتغلب ادبنا على مصاعبه ، ليجدد ما بلى من ازيائه ، ويقوي ما ضعف من روحه ، وتكون الانطلاقة الكبرى التي ننشدها .

وبعد ، فما هي الوسائل الكفيلة ببعث الادب المغربي ؟

الوسيلة الاولى التي اراها جديرة بالاعتبار ، هي احياء الادب المغربي القديم بصفة خاصة ، والاتصال بالادب العربي القديم بصفة عامة ، فاذا كان الاطلاع على التاريخ السياسي القومي يذكي الروح الوطنية ، ويدعم المشاعر القومية ، فان الاطلاع على تاريخ الادب القومي ينبه الامة الى شخصيتها الادبية ، ويلهب في افرادها الشعور بالمجد الادبي القديم ، ومن ثم يشعرون بمسؤوليتهم الخاصة ، اذ يجدون انفسهم امناء على هذه الوديعة الغالية : ثمار قرائح الاجداد التي اسلموها الينا ، لتكون غذاء لعقولنا ومتعة لنفوسنا ، واساسا نبني عليه بناء رفيعا في الادب والثقافة ، الاديب اذ يلمس اثر مساهمة امته في الميدان الادبي والثقافي تستيقظ فيه اسمى المعاني القومية ، ويتوق الى ان يضيف تجاربه الخاصة الى تجاريب من سبقوه ، ويحس بانه مدعو الى ان يقول شيئا يضاف الى محصول امته الادبي ، اما اذا كان الاديب يجهل هذا الجانب الهام من تاريخ امته فلا يعرف مدى مساهمتها في الآداب العربية ، فانه يشعر بكونه في نوع من الفراغ،وينعدم فيه الاحساس التاريخي بمجد امته الادبي ، ولا تعيش في وجدانه الفني اطياف الادباء الراحلين من ابناء امته ، ولا تتخايل له تلك اليد التي تمتد اليه، حاملة تراث الاباء والاجداد ، لتسلمه اياه ، ومن ثم فهو يفتقر الى حافز مهم يدفع به — لو وجد — الى النشاط الادبي المتصل جيل الادب الجديد في كل امة ، يحتاج الى التعرف على جهود الجيل الذي سبقه ، ليشعر بمسؤوليته الخاصة ، ويتلقى عنه الشعلة ماضيا بها الى الامام في عزم وقوة ارادة ، وينطلق من حيث انتهى ، مواصلا اداء الرسالة الفنية ، التي هي رسالة خالدة تتعاقب الاجيال على ادائها ، كل جيل في حدود امكانياته الخاصة ، وتجاربه الخاصة ، وما قلناه بالنسبة الى الادب المغربي القديم ، نقوله بالنسبة الى الادب العربي القديم ، فالاطلاع على هذا الادب يضع ايدينا على التراث العربي المشترك ، لنخرج من اقليميتنا الضيقة ، ويتسع صدرنا للحضارة العربية في مختلف اشكالها ومدارسها ، وبذلك نستطيع ان نجمع بين الاتصال بالاصول العربية العريقة ، والشعور بالشخصية المغربية الاصيلة .

لكن هذه النافذة وحدها لا تكفي في هذا الصدد ، فاذا شئنا نهضة ادبية رائعة ، فعلينا بفتح نافذة اخرى على الآداب الاجنبية ، سواء بطريق مباشر او عن طريق الترجمة ، حيث نجد انفسنا امام طرق في التفكير ليست كطرقنا ، وانماط في الذوق ليست كانماطنا ، واصناف في الشعور ليست كاصنافنا ، والوان في الاداء الفني ليست كالواننا ، فنطعم بكل ذلك ادبنا ونلقحه ونغذيه ، فاذا المدارك تتسع ، والافاق ترحب وتمتد واذا العناصر الانسانية تجد سبيلها الى ادبنا من طريق واسع ، لاننا خرجنا قليلا عن حدود الذات ، واتصلنا باناس من غير جنسنا ، فتعرفنا على مشاعرهم وعواطفهم التي لا تعدم ان تجد لها صدى في مشاعرنا وعواطفنا ،وذلك هو مبدأ الاخوة الانسانية التي تكون الآداب الرفيعة دعامتها الكبرى وسندها القوي ، ونحن لا نريد ان نذهب بعيدا في ضرب الامثلة ، فهذه النهضة الادبية الاخيرة في الشرق العربي ، لم تكن الا وليدة احياء الادب العربي القديم من جهة والاتصال بالآداب الاجنبية من جهة اخرى .

اما الوسيلة الثانية لبعث الادب المغربي ، فهي تقوية البرامج الادبية في مدارسنا الثانوية وفي كلية الآداب ، وفي سائر معاهدنا التي تخرج الطليعة من ابناء هذا الجيل ، فالمدرسة والمعهد والكلية هي العصب الحي في جسم الامة ، وهي التي لا اقول عنها انها تخرج الادباء وتكونهم ، ولكن اقول عنها هي التي تتيح الفرصة للمثقف ان يكون اديبا ، بما تهدف اليه من تعليم طرق التفكير ، وتربية الذوق الفني ، واعطاء القدرة على النقد والمقارنة والموازنة والبحث والاستنباط ، وكلها اسلحة لا غنى للاديب عنها ، ويؤسفني ان اسجل عنا على كلياتنا ومعاهدنا ومدارسنا الثانوية كونها لا تنهض بالجانب المهم من رسالتها وهو تعليم طرق التفكير ، وتربية القدرة على النقد ، ودقة الملاحظة . فالتعليم الجامعي في حقيقته ، لا يعني باعطاء الطالب كمية هائلة من المعلومات في شتى الفنون فقط ، فهو يعني بالدرجة الاولى بتكوين جيل قادر على الفهم الصحيح، والنقد الهادف البناء ، والتفكير العميق وليس المهم في البرامج الادبية ان تكون واسعة عميقة فقط ، فاهم من ذلك ان تكون مطبقة بكيفية دقيقة ، كفيلة بجعل الطالب يستفيد منها على احسن الوجوه ، والا فما جدوى برنامج طويل عريض يدرس بكيفية لا تربي ذوقا ، ولا تقوم تفكيرا ، ولا يحدث انقلابا في ذهن الطالب ، ويحمله على ان يعيد نظره في كثير من الاشياء ، على ضوء من المقاييس الصحيحة والقواعد الثابتة ؟ انا التمس العذر لكلياتنا لكونها تعاني ازمة في الاساتذة ، ولكن من واجبها ان تعمل لتلافي هذا النقص في حدود امكانياتها ، فان مسؤوليتها خطيرة امام الاجيال المقبلة .

ووسيلة اخرى اراها جديرة بالاعتبار ، لبعث الادب المغربي ، وهي ان تفتح صحفنا ومجلاتنا الادبية صدرها لقبول انتاج ينم عن موهبة او عن حسن استعداد ، والا تبقى موقوفة على حدود ضيقة تضم بضعة اشخاص ،فالمجلة اذ تفعل هذا يمكنها ان تكتشف عددا من الادباء المغمورين ، وان تذكي شعلة الادب في كثير من النفوس الحائرة ، حتى تكون مدرسة لتدريب المتأدبين على عملية الانتاج ، ليكونوا من بعد ادباء يؤدون رسالتهم احسن اداء ، وقد اخذوا لها عدتها اللازمة ، والمجلة اذ تتوخى دائما الانتاج الرصين عندنا ، ذلك الانتاج الصادر عن تجربة طويلة ، لا تعطي نظرة صادقة عن حياة الفكر المغربي ، وانما تصور فكر

الطليعة والطليعة عندنا اقلية جدا ، ومعنى هذا ان الجوانب الكثيرة الاخرى من الفكر المغربي ستبقى مجهولة لا تعرف طريقها الى النور ، وبذلك تكون مجلاتنا لا تمثل منا الا حيزا صغيرا جدا لايمكن من يتصفحها من القاء نظرة شاملة على الفكر المغربي الحديث . نعم . في الوقت الذي تكون عندنا صحف ومجلات متعدد ومتنوعة تتسع لنشر الانتاج الادبي على اختلاف مستوياته ، اذ ذاك يتاتى لمجلة ان تصد عنها كل المحاولات الادبية العادية ، وان تكتفي بنشر الانتاج القوي الرائع ، اذ الفكر يجد متنفسا له في مجلات وصحف اخرى من الدرجة الثانية ، اما بالنسبة لبلد كالمغرب ما زال متخلفا من الناحية الادبية ، فلا معنى في نظري لارستقراطية المجلة . والاولى ان تتيح الفرصة لمثقفينا ان ينشروا انتاجهم ، بشرط واحد لا بد من مراعاته ، هو ان يكون ذلك الانتاج يدل على مجهود وعلى موهبة وحسن استعداد ، ومجلاتنا لا يمكنها ان تقوم بهذا العمل الا اذا تخلت عن جميع الاعتبارات الاجنبية عن الروح الادبي الاصيل ، عند تقديرها لما يرد عليها من انتاج ادبي .

وهناك وسيلة اخرى لا تقل اهمية عن سابقاتها ، وهي — بكل صراحة — ترك الكسل العقلي ، والاقبال على القراءة بكيفية مستمرة ، ولست اعني بالطبع تلك القراءة السريعة اللاهادفة ، والتي تملأ بها اوقات الفراغ ، ولا القراءة الخاضعة للمصادفة وحدها ، وانما اعني القراءة التي لا تقل ضرورة عن الخبز اليومي ، وعن الهواء والشمس والنار ، القراءة التي تهز الاعماق هزا ، وتعيد خلق الانسان من جديد ، وتنقله من ارضيته الى آفاق رحبة ، القراءة التي تصنع الرجال ، وتؤثر في الاحداث ، وتغير التاريخ ، وتعرف الانسان بنفسه وبالعالم المحيط به ، وبالدور الذي خلق ليلعبه على مسرح هذه الحياة ، هذا النوع من القراءة هو الذي نحتاج اليه ، لاتصفح الكتب والمجلات والصحف لدفع ملل ، او هروب من مسؤولية ، او التماس متعة موقتة رخيصة ، وان المتردد على مكتباتنا التجارية باستمرار ليلاحظ — والاسى يغمر قلبه — ان الكتاب القيم تمر عليه الشهور تلو الشهور ، وهو معروض للبيع ، دون ان تمتد اليه يد ، فاذا استثنينا نخبة ضئيلة من مثقفينا ، نجد البقية التي تكون الاغلبية تنقسم الى قسمين : طائفة لا تقرأ وليست القراءة طلبتها وطائفة تقرأ ، ولكن قراءتها لا تكاد تتجاوز الادب الرخيص المتمثل في القصص الجنسية ، والنتيجة هي اننا لسنا شعب قارىء ، وكيف يتاتى للادب ان ينهض في وسط لا يقرأ ولا يعتبر القراءة ضرورة يومية كالغذاء والشمس والهواء ؟

وليس في وسطنا المغربي ما يدفع الفرد الى القراءة ، وهذه عة اعراض اكثريتنا عنها ، طالما كانت في الغالب عادة يكتسبها المثقف من الوسط الذي يعيش فيه .. ووسطنا ما زال لحد الان لا يشجع على تكوين هذه العادة ، سواء قصدنا بالوسط العائلي ، او الوسط المدرسي ، او الوسط العام الذي يشمل الاندية وما اليها ، فاذا وجدنا عندنا فردا يهوى القراءة ، ويقبل عليها باستمرار ، فذلك هو الانسان الذي استطاع بارادته ان يسمو على تقاليد البيئة ، ويتحداها في عزم واصرار ، وما كل الافراد يجدون من قوة الاكتفاء الذاتي ما يجعلهم يسمون على الوسط الذي يعيشون فيه .

وان مسؤولية المدرسة في هذا الصدد لخطيرة جدا ، فهي التي يجب ان تتولى عادة القراءة في ابنائنا ، ابتداء من الطور الابتدائي ، ويؤسفني ان اقول عن مدارسنا انها ما زالت لم تنهض بهذا الواجب بين واجباتها العديدة ، ففي الوسط الحي المثقف المتقدم يكون المجتمع كله مسؤولا عن تربية هذه العادة عند الفرد ، ولكن بالنسبة لمجتمع متخلف فان المدرسة هي التي تتحمل المسؤولية الكبرى ، لكونها تملك من الوسائل ما لا تملكه القطاعات الاخرى من المجتمع ، فاذا شئنا نهضة ادبية حقة، فعلينا بتربية عادة القراءة عندنا ، وتعهدها في ابنائنا حتى يتكون عندنا جيل قارىء ، ويجب ان نحمل انفسنا حملا على القراءة المتصلة الجادة ، بالرغم من عوامل الكسل العقلي التي تحيط بنا ، تلك العوامل التي يجب ان نتحداها بكل قوانا وما نملكه من الوسائل .

ومن وسائل بعث الادب المغربي ان يشعر مثقفونا بمسؤوليتهم نحو امتهم ، فمتى شعروا بهذه المسؤولية خرجوا من الطور السلبي الى الطور الايجابي من حياتهم الثقافية ، وجدوا في القراءة التي تؤهلهم للقيام بواجبهم ، دون ان يقرأوا لانفسهم فقط ، مستأثرين بمتعة القراءة وفائدتها ، وانما يحاولون ان يشركوا معهم الآخرين في تلك المتعة وتلك الفائدة ، ثم هم يشعرون بواجب التوجيه الملقى على عاتقهم ، فكل نواحي النقص في بيئتهم يرسلون عليها شعاعا من بيانهم ، حتى تظهر للجميع واضحة جلية ، ويكونون رواد المجهول ، يرسمون للامة سبلها الى مستقبلها المرموق ، وينشرون بين الناس الخير والحق والجمال ، هذه المثل العليا التي لا يكون اي شعب كريما فاضلا حيا بدونها . الاديب الشاعر بمسؤوليته عنصر حي في امته ، لا ينسى لحظة تبعات مسؤوليته ، حيث يجعل ثقافته في خدمة امته ، وقد آن الاوان ليشعر مثقفونا بمسؤوليتهم ، بوصفهم خلاصة عبقرية الامة وعنوان حضارتها الفكرية ، فتلك هي الضمانة لخروجهم عن سكوتهم وخوضهم معترك الحياة الادبية ، يكشفون المجهول ، ويوضحون الغامض ، ويقومون المعوج ، ويهدون الحائر .

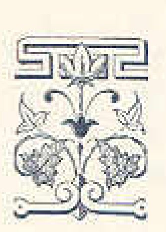
ومن بين تلك الوسائل ايضا المزيد من الشجاعة الادبية، فعندنا من المثقفين من يملكون حسن الاستعداد ، بل ان بعضهم يملك مواهب غير عادية ، ولكنهم لا يجرؤون على ان يظهروا امام القراء بآرائهم وافكارهم ، ظنا بها الا تكون ناضجة قوية تستحق احترام القراء لها ، ولذلك فهم يرجئون مسألة النشر في الصحف والمجلات ،الى ان يتمكنوا من القدرة على انتاج ادب

رائع ممتاز يطابق الصورة التي ترتسم في خيالهم عن الادب كما يجب ان يكون. وانه لخطا هذا الذي يرونه، وذلك لسببين: السبب الاول ان الانسان لا يمكنه ان يعرف قيمة آرائه وافكاره ، الا اذا عرضها على الآخرين، لياخذ رأيهم فيها، فقد تكون صائبة وهو يحسبها خاطئة ، وقد يكون العكس ، والسبب الثاني هو ان الكتابة مسألة مران ، تتطلب زمنا طويلا حافلا بالانتاج ، قبل ان يستقر القلم بين اصابع الاديب ، نعم ليست الكتابة مجرد ان تكون عامرا بالاراء والافكار ، ثم تسجلها على الورق ، لتخلق منك كاتبا ، الكتابة مران طويل وتجربة مديدة تستمر مدة طويلة ، يمر خلالها الفكر والقلم بمراحل من التدريب والتجريب ، واذن فخطأ كل الخطأ ان ينتظر المثقف ويهمل نفسه ، حتى يستكمل جميع وسائل الكتابة الصحيحة الممتازة ، ذلك ان الكتابة لا تستكمل وسائلها الا اثناء تجربة الكتابة نفسها ، فكما ان السباحة لا تعلم الا في الماء ، لا على الشاطيء ، فكذلك الكتابة كفن ، لا تتحدد طرائقها الا اثناء عملية الانتاج، خطأ كل الخطأ ان ينتظر بعض مثقفينا حتى يستطيعوا ان يظهروا فجاءة ككتاب ممتازين ، يبهرون القراء ويسحرونهم ، وموقفهم هذا من شأنه ان يضيف عاملا آخر الى العوامل التي تؤخر ظهور النهضة الادبية في بلادنا .

ومن وسائل نهوض الادب المغربي ايضا ، التشجيع المادي والادبي ، فاديبنا لا يلقى عندنا ما يستحقه من عناية وتكريم ، يعيش بيننا وكأنه ليس منا ، يذكر اسمه مقرونا بالتفاهة والفضول وخفة الوزن ، يقابل انتاجه من طرف اكثرية مواطنيه بالاستخفاف وغير قليل من الازدراء ، يخرج له البحث او المقال او الكتاب فلا يكون له صدى ، ان احسن لا يجد من يقول له احسنت ، واذا اساء لا يجد من يقول له اسأت ، قد يهب دمه واعصابه لعمله الفني ، حتى اذا فرغ من تدبيجه اخذ يطوف به على الناشرين — وما اقلهم عندنا — يستجديهم ان ينشروا كتابه ، وكثيرا ما لا يحالفه الحظ ، فيرجع خائبا يجرر اذيال خيبته ، وهذا بعض ما يعانيه اديبنا من الوان اللامبالاة ، بل الازدراء ايضا ، وهو ما دام في هذا الوضع ، انطوى على نفسه ، وداخله مركب النقص ، الا اذا كان ذا عزم شديد ، وهذه عرقلة اخرى تضاف الى العراقل التي تعرقل نهضتنا الادبية حياة الفن انما هي اعجاب وتقدير ، والاديب شانه شان المغني كلما ازداد الجمهور اقبالا عليه ، واحتفاء به ، كلما تفتحت مواهبه للبذل والعطاء ، وكلما صد واعرض عنه ، كلما عزفت نفسه وانقبضت عن الامتاع والايناس ، لا اقول يجب ان نخدع اديبنا عن نفسه ، وعن حقيقة قيمته ، وان تدخل عليه الغرور الكاذب ، والنفخة الجوفاء ، وانما اقول : يجب ان نشجع الادباء الصغار وان نكرم الادباء الكبار ، والتشجيع ليس معناه مجرد المدح والثناء ، فمن التشجيع ما يكون نقدا ، ولكنه النقد البناء الذي يضع العمل الادبي في موضعه من غير تحامل ولا مداراة ، بل ان ارفع الوان التشجيع ان ننقد الاديب المنتج ، مظهرا لحسناته وسيئاته على السواء ، فالعمل الادبي اذ يستحق النقد يكون متوفرا على قيم فكرية وجمالية استلفتت نظر النقاد .

وتقف اللامبالاة في مقابل هذا النقد النزيه ، اللامبالاة التي هي اقبح واشد ضررا بالاديب حتى من الاحتقار والازدراء، واديبنا المغربي ما زال يعاني كثيرا من هذه اللامبالاة الهدامة القاتلة .

فاس : عبد العلي الوزاني



أضواء على الأدب الإسباني

للأستاذ : حسن الوراكلي

- 2 -

ونعني بها ذلك الاتجاه الادبي الذي اصطلح النقاد على تسميته بالـ « Modernismo » والذي ظهر في اواخر القرن الماضي نتيجة عاملين اثنين لا ثالث لهما : اولهما يتجلى في تهافت الشعراء على النزعات الغنائية الفرنسية عند الرمزيين والابداعيين والبارنسيين (*)، وثانيهما يبدو في استلهام اولئك الشعراء والادباء للادب الاسباني القديم في امثل صوره واروعها ابان عصره الذهبي .

وكان دافعهم الى ذلك ، مقاومتهم للتيار الواقعي في القرن التاسع عشر ، وكان قد استنفد جهده .

واذا كان روبن داريو ، الضوء الذي كان يتطلع اليه كثير من الشعراء مبهورين (*) ، قد سجل بكتابه : « نثر دنيوي، وقصائد اخرى» Prosas Profanas y otros poemas (1896) بداية ، او بتعبير ادق : تفتح حركة التجديد في الادب الاسباني المعاصر ، فان هذه الحركة انما بدأت على يد ادباء من الاندلس (*) ، ويأتي في طليعتهم . منويل رينا ، وسلفادور رويدا بوجه اخص ، فلقد نزع الى بعث الادب الاسباني القديم واسترداد مكانته في الحياة . فحاول ان يبث في الشعر حياة نابضة ، وروحا مشرقا ، لينتشله من بؤرة الركود والضعف والتقليد الاعمى ، التي كان مرتكسا فيها ، ويتحدث عنه احد النقاد فيقول بان هذا الشاعر المالقي ، كثير الاصباغ والالوان ، يمكن اعتباره مرهصا بالحركة الروبينية (نسبة الى روبن داريو) ، ويرى الدكتور خوسي روخريو سانتيث ان سلفادور رويدا يأتي في طليعة المجددين ، وانه شاعر لا يجارى ، فلقد كان في قرقعة اوزانه الرنانة يرسل اضواء جديدة ، تشرق بها آفاق الشعر الاسباني .

لقد كان سلفادور رويدا مشبوب العاطفة ، متوقد الشعور ، فجاء شعره ــ وهو البليغ الذي يحسن ترجمة ما يختلج في الوجدان ــ غنائيا ، مليئا بالظلال، متمسا بالالوان (*)،ولم يكن رويدا شاعرا فحسب ، وانما كان قصصيا بارعا .

ان رويدا قد كتب اعمالا ادبية ــ شعرية ونثرية ــ فيها من روعة الاداء ، وجودة الفن ما دفع بكثير من النقاد الادب الى ان يعلنوا فيما كتبوه عن الشعر الاسباني المعاصر بان رويدا اب وامام ورائد ، قبل روبن داريو ، للنهضة الشعرية .

ومن اشهر الاعمال التي خلفها سلفادور رويدا : نجوم تائهة Estrellas errantes ، وقصيدة امريكا Poema de América والسنة النار Lenguas de fuego وبلد الشمس El pais de sol ، وقصيدة وطنية Poema nacional ، وغير هذه الكتب مما لفت اليه انظار النقاد والدارسين ، فتناولوا اعماله بالدراسة والتحليل ، وحياته بالاستقصاء والمتابعة .

واذن فحركة ، التجديد او الـ « Modernismo » في الادب الاسباني الحديث انما كانت بدايتها على يد ادباء الاندلس ، وعلى رأسهم سلفادور رويدا ، ولكنها لم تدرك

(*) انظر كتاب : Historia de la literatura espanola en cuadrosesquematicos - Madrid, 1961

(*) انظر كتاب : Dr José Rogerio Sanchez, Sintesis de la literatura espanola

(*) هذا الاسم اصبح علما ، فقط ، على جنوب شبه جزيرة جزيرة ايبريا واسبانيا والبرتغال ، وفيه عاش الحكم العربي عمرا اطول مما عاشه في اجزاء اخرى .

(*) انظر كتاب: Federico Carlos Sainz de Robles, Historia y antologia de la poesia espanola (en lengua castellana) del siglo XII al XX - Edicion Aguilar - Madrid, 1950.

سمات النضج الا على يد الشاعر النيكاراكوي (*) العظيم روبن داريو ، وفي ذلك يحدثنا الاستاذ منويل أكلياس في كتاب له عن الشاعر الغرناطي كارسيا لوركا ، فيقول : « انه من الواقع ان الحركة التجديدية ، الحديثة ، بدأت بالاندلسيين : منويل ريينا وسلفادور رويدا ، لكنه ايضا ، من الواقع ان هذه الحركة بدأت تنضج وتظفر بشهرة عالمية على يد الامريكي روبن داريو (*) » .

ويبدو ان روبن داريو انما استطاع ان يوفر للحركة التجديدية مقومات النضج ، لانه كان اكثر اتصالا بالآداب الاجنبية من ريينا ، الامر الذي مكنه ، مهتديا بما قرأ من ادب اجنبي ووعي ، ان يرتفع بالشعر الاسباني الى درجة من الاستواء والنضج لم يرق اليها الاديبان الاندلسيان،ومؤلفات روبن داريو تدعم هذا القول ، فهي ــ كما يرى جان كاسو ــ (تفتح النوافذ وتسجل الانفصال عن النزعة الاكاديمية ، وتتيح للشعر الاسباني ان يستعيد وعيه بنفسه وبتقاليده ومستقبله ، وان يفتح لنفسه طرقا جديدة) .

اضف الى ذلك ان تأثير الابداعيين « Preciossestas » والرمزيين « Simbolistas » الفرنسيين ، وخاصة منهم Teofilo Gautier اذا كان يبدو ، واضحا ، جليا ، فيما انشأه ريينا ورويدا من انتاج ، وكتباه من ادب وشعر ، فانه يظهر بشكل اوضح وصورة ابرز في كتابات روبن داريو ، ويؤكد الاستاذ خوان تاباس ان تاثير الابداعية والرمزية الفرنسية كان عميقا جدا في اعمال روبن داريو ، وتعليل هذه الظاهرة في ادب روبن راجع ، فيما نرى ، الى ان الشاعر الرائد اكب على قراءة الابداعيين والرمزيين الفرنسيين ، فقرأ جل اعمالهم ، ان لم تقل كلها قرا هذه الاعمال بعمق ووعي شديدين ، ورغبة في الهضم والتمثيل شديدة ايضا ، فترسب منها في نفسه ووجدانه ، او في عقله الباطن ــ اذا اردت الدقة في التعبير ــ عناصر وملامح لم يستطع ان يتخلص من ظلالها فيما الف وكتب وانتج ، فجاءت شاهدا قاطعا على تأثره باصحاب المذهبين . الابداعي والرمزي في الادب الفرنسي .

واذا كان كل النقاد يسلمون بوجود التأثير (*) الفرنسي في اعمال روبن داريو الادبية فان طائفة منهم حاولت ان تحدد المنابع التي استقى منها روبن وتسمي الينابيع التي اغترف منها ، ويرى واحد من هذه الطائفة ان هذا التأثير انما وصله عن طريق قراءته الواعية ، بصفة خاصة ، لأعمال Verlaine, Leconte de Lisle, Moreas

وهذا في رأي الدكتور خوسي روخريو سانتش اشد الشعراء الفرنسيين تاثيرا في روبن داريو ــ ولكل انتاج الكتاب البرناسيين (*) .

ولسنا نحب ان يفهم مما تقدم ان الحركة التجديدية لم توجد الا نتيجة لتأثر الادباء الاسبان بالادب الفرنسي ، فاننا بذلك نكون قد طمسنا معالم حقيقية ناصعة البياض ، تتمثل في ان رواد النهضة وائمة التجديد ، وفي مقدمتهم روبن داريو ، اذا كانوا ، من جهة ، قد هرعوا الى الادب الفرنسي يستمدون منه اشكالا ومضامين جديدة فانهم ، من جهة اخرى ، قد عمدوا الى الحياة الادبية الاسبانية الصميمة ، فيما سلف من زمن وغبر ، يحاولون ان يجدوا ماهية الغنائية الحديثة عند شعراء الاغاني في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وعند Garcilaso, Arcipreste, Barceo والشاعر العظيم (*) Luis de Congora y argote

واذا كان روبن داريو يعد ، بحق ، رائدا للحركة التجديدية ، بمعنى ان ملامحها وسماتها ترتسم في اعماله ، فان الذين تتبعوا حياته وعنوا بتحليل ادبه وتقييمه يتفقون ــ على نحو ما ستبين في حديثنا عنه ــ على انه اطلع في بوكير شبابه على آثار الكلاسيكيين الاسبان (*) والرومنطقيين الفرنسيين والاسبان . كما انهم يؤكدون بانه في تجديده ، للشكل والقالب ، يبدو متأثرا على نحو ليس يقبل جدالا او نقاشا ، بالكاتب العظيم والشاعر الفحل كونكورا ، كما يبدو مستجديا ومستنجدا بكتاب آخرين كرفانتس ولوبي دي فيكاوفرنيكو دي كيبدو وبالطاسار كراثيان (1601 ــ 1658) .

وهكذا يتبين لنا ان حركة التجديد تدفقت من منبعين اثنين :

(*) نسبة الى نيكاراكو ــ Nicaragua وهو قطر بامريكا الوسطى .
(*) انظر كتاب : M. Iglesias, Garcia Lorca, el cantor del hechizo gitano
(*) انظر كتاب : Erwirnk Mapes : L'influence française dans l'œuvre de Ruben Dario - Paris, 1925
(*) انظر كتاب : Manuel Iglesias, Garcia Lorca : El cantor del hechizo gitano, p. 20 Madrid, 1962
(*) يرى المستشرق الاسباني اميليو كارسيا كومس في كتابه (الشعر الاندلسي) ــ ترجمه الدكتور حسين مؤمن ــ ان كونكورا (1561 ــ 1627) كان شاعرا معقدا ، عسير الفهم ، مثله كمثل الشاعر الاندلسي العربي ابن دراج القسطلي المتوفى سنة 421 هـ ــ 1030 م .
(*) انظر كتاب : Historia de la civilizacion - Tomo II, p. 556 - Editorial

ا) استلهام روادها لتراث الادب الاسباني في ابهى عصوره واعظمها .

ب) تأثر اولئك الرواد بالابداعية والرمزية وترسم الكتاب البرناسيين في الادب الفرنسي .

وكان الذي يدفع بهؤلاء الرواد الى هذين المنبعين مقاومتهم العنيفة للتيار الواقعي الذي كان يلفظ انفاسه الاخيرة في القرن التاسع عشر .

واما مميزات الحركة التجديدية فانها تتجلى في : ا) العناية بالشكل والقالب المرهف ، المصقول . ب) ادراج اشكال نغمية جديدة . ج) احياء اشكال منسية . د) اثراء العناصر البديعية والموضوعات الشعرية .

* * *

ان رواد حركة التجديد ، وفي طليعتهم روبن داريو ، بما اضاءوا من شموع في دروب الادب الاسباني الحديث ، واناروا من نجوم في سمائه ، يعدون ارهاصا ، جميلا ، مشرقا لجيل ادبي عظيم ، هو جيل 1898 ، فما هو حديث هذا الجيل ؟ وما هي دواعي ظهوره ؟ ومن هم افراده وزعماؤه ؟ ما هي قاعدتهم المجتمعية ؟ ما هو مجباهم الثقافي ؟ ما اسلوبهم الادبي ، وموقفهم من الثقافة الاجنبية ؟ وبعبارة موجهة : ما هو الدور الذي لعبه هذا الجيل بالنسبة للادب الاسباني المعاصر ؟

تلك اسئلة ، الجواب عنها يشكلها الموضوع الآتي :

جيل : 1898

سبق القول بان القرن التاسع عشر حمل الى اسبانيا ازمات عنيفة تمثلت في ذلك التدهور الذي منيت به في ميادين الحرب ومجالات السياسة ، كما سبقت الاشارة الى ان تلك الازمات والنكبات التي عصفت باسبانيا ، كانت في مقدمة العوامل التي ايقظتها من نومها العميق ، ودفعت بها الى بذل الجهد للحاق بركب الحضارة وقافلة التقدم .

ولقد كانت آخر تلك النكبات سقوط الامبراطورية الاسبانية التي لم تكن تغيب عنها الشمس ، وانهيار آخر ما بقي منها في كوبا وبورتو ريكو وجزر الفلبين ، وبذلك خسرت اسبانيا اعظم مغامرة (*) خاضتها منذ سنة 1492 (*) .

بيد ان هذه الازمة التي طوحت باسبانيا وعصفت بكيانها لم تلبث ان تمخضت عن وثبة ادبية عظيمة ، تمثلت في هذا الجيل الذي سمي : (جيل 98) ــ نسبة الى سنة 1898 التي انهارت فيها الامبراطورية الاسبانية ــ .

ولا احسب ان في ذلك ما يثير الدهشة والعجب ، فهذا سجل التاريخ الحضاري للانسانية مليء بظواهر النهضة الادبية والوثبة العلمية التي تعقب النكبات الحربية العظمى ، وتلي الازمات السياسية الخطيرة ، وظاهرة هذه الوثبة الادبية التي اعقبت سقوط الامبراطورية الاسبانية (تذكرنا في اسبانيا تلك النهضة الرائعة التي عرفتها الاندلس الاسلامية بعد انهيار الخلافة الاموية في اوائل القرن الخامس الهجري ، تلك النهضة التي قدمت الينا شخصيات يفخر بها الادب العربي كله ، بل هي من ابرز معالم الثقافة العالمية ، من امثال ابن دراج القسطلي وابن حزم وابن شهيد وابن زيدون والشاعر الملك المعتمد ابن عباد) (*) .

ظهر هذا الجيل الادبي العظيم ، اذن ، اثر سقوط الامبراطورية الاسبانية الشاسعة الاطراف ، المترامية الابعاد ، وكانت اسبانيا ، قبل ظهوره ، تغط في سبات عميق ، يبدو منه انها اطمأنت الى السفوح بعد ما كانت تعشق القمم ، وسكنت الى الضعف بعد ما كان لها في حلبات القوة صولات، كما يبدو منها انها كانت تود ان تظل محتقرة ، بجهل اعمى ، لثقافات الشعوب الاخرى ، وجاهلة لماضيها المشرق الباهر . (*)

على ان هذا الجيل ، غب ظهوره ، جعل يهز اسبانيا بعنف شديد كما يوقظها من نومها ، ويشفيها من سقامها ، وينقذها من افيون الخبز ومصارعة الثيران ، وكان هنالك قلق يمسك بالروح الاسبانية ، التي اندفعت ــ كما يقول الكاتب الفرنسي جان كاسو ــ تبحث عن اسبانيا اكثر حقيقة ، واكثر عمقا ، واكثر اصالة .

لقد سعى هذا الجيل بعمق وشغف وحماسة ايضا ، الى البحث عن ذاتية اسبانيا ونفسيتها ، ومن اجل ان يحقق له ذلك عمد الى قطع كل خيط يشد اسبانيا الى ماضيها القريب الذي غرقت خلاله ، في خضم من الجهالة بثقافة الامم الاخرى ، وجعل، جاهدا ومخلصا ، يحاول ان يفسح لها ، بفكره وعاطفته ، مكانا مرموقا في اطار الثقافة والادب العالميين .

(*) انظر كتاب : G. T. Balleter, Panorama de la literatura espanola contemporanea, p.107, tomo I.

(*) هي السنة التي تم فيها اكتشاف امريكا على يد كريستوف كولمب .

(*) الدكتور محمود علي مكي ، مجلة « الكاتب » العدد الثالث عشر ، (ابريل 1962) ص 152 .

(*) انظر كتاب : M. Iglesias, Garcia Lorca, el cantor del hechizo gitano, p. 19

ومن ثم يمكننا معرفة الفرق الجوهري بين جيل 98 وبين الحركة التجديدية التي تزعمها روبن داريو ، فهذه انما عنيت في الدرجة الاولى بالشكل والحق ولم تعن بالمضمون والمحتوى ، على حين ان جيل 98 الى جانب عنايته بالشكل عني بالمضمون ، تسعى الى ابراز الايديولوجية الوطنية للشعب الاسباني (✱) .

وهذا الاستاذ الناقد منويل اكلسياس يتحدث عن جيل 98 فيذهب الى القول بانه ، منذ البدء ، حاول ان يسلك طريقا ضيقا يفضي به الى عالم جديد وافق رحب من عبقرية الادب ، وعمق الثقافة ، يتسنى له بذلك الحاق وطنه بموكب الثقافة الاوربية ويسعفها في محاولة البحث عن نفسها في اعماق ذاتها واغوار جوهرها وكنهها .

ولكي يحطم هذا الجيل كل الصخور التي كانت تعرقل سير وطنه نحو التطور والرقي ، ولكي يهتك كل ما كان يحجب عنه نور الثقافة الاوربية وشعاعها ، لكي يتم له ذلك لم يجد بدا من سلوك اتجاهين مختلفين كل الاختلاف ، احدهما يتجلى في محاولة تطعيم الثقافة الاسبانية وتلقيحها بعناصر من ثقافات اخرى ، والآخر يبدو في محاولة اكتشاف اسبانيا وماضيها الباهر ، المشرق ، من جديد ، ومن هنا تشعبت وتباينت الميزانيات في الادب الذي سيظهر فيما بعد .

افــراد جيــل 98 :

ظفر هذا الجيل ، كما لم يظفر جيل ادبي آخر ، سابقا ، كان اولا حقا بالدراسات الغزيرة الوفيرة ، فلقد عقد بعض النقاد مقارنات بين افراده ، وحلل بعضهم الآخر اعمالهم وانتاجهم ، تحليلا ونثرا ، وتتبع فريق ثالث تأثر افراده بمن سبقهم من كتاب فترة البعث والاحياء او بكتاب الآداب الاجنبية ومدى تأثيرهم في الاجيال التي تلت ، وترصدت طائفة منهم التنظيم الروحي لأشهر ممثلي هذا الجيل وابراز المحيا الثقافي لهم .

ومن ثم تباينت نظرة الباحثين والنقاد الى قائمة الاسماء التي تنضوي تحت لواء هذا الجيل ، فنحن لا نكاد نعثر على اتفاق بينهم في تحديد قائمة بتلك الاسماء ، ولكن عامل الزمن ـ كما يرى الاستاذ البحاثة ك . ط . بايطير (✱) يجبرنا على ان نضم الى قائمة جيل 98 كل هذه الاسماء .

ديشنطا Dicenta (1863 ـ 1917) ـ كانيفط Ganivet (1865 ـ 1898) اونامونو Unanismo (1864 ـ 1836) ـ ارنتيس (1866 ـ 1943) بنافتي Benavente ارنيت Arniches (1866 ـ 1954) ـ بلاسكو ابانيث Blasco Ibanez (1865 ـ 1928) ـ فايي انكلان Valle incalan (1866 ـ 1935) ـ باروخا Baroja (1872 ـ 1957) ـ سيرافين الفريس كينطرو Serafin Alvarez Quintero (1871 ـ 1938) وخواكين الفريس كينطرو Joaquin Alvarez Quintero (1873 ـ 1944) ـ اثورين Azorin (ولد 1874) ـ منويل ماتشادو Manuel Machado (1874 ـ 1947) ـ انطونيو ماتشادو Antonio Machado (1875 ـ 1939) ـ بارمنو Parmeno (1875 ـ 1922) ـ خاثنتو كروا Jacinto Grau (ولد : 1877) ـ كونتا اسبينا Concha Espina (1877 ـ 1955) ـ فيا اسبيسا Villaespesa (1877 ـ 1936) ـ ميرو Miro (1879 ـ 1930) ـ ماثطو Maezto (1876 ـ 1936) خوان رامون خمينث Juan Ramon Jimenez (1881ـ1958) اميليو كريري Emilio Carrere (1880 ـ 1947) ـ الخندرو سوا Alejandro Sua ـ سيلفيريو لانثا Silverio Lanza

وبين ديثنا ، اكبرهم سنا ، وكاريري ، اصغرهم سنا ، يوجد فارق زمني يقدر بنحو العشرين سنة ، واذن ، فالقياس الزمني في هذا الصدد ، ليس دقيقا ومجديا بدرجة كبيرة ، وقد تكون هنالك مقاييس اخرى تتعلق بالجمالية والاسلوب والفكرة وما الى ذلك ، اصح منه لتصنيف اسماء تحت شعار واحد او اسم واحد .

ونتيجة لعدم دقة العامل الزمني وجدواه كان هذا الاختلاف الشديد بين الدارسين والنقاد حول تصنيف الاسماء التي يضمها جيل 98 ، فهذا الاستاذ الناقد Lain Entralgo يرى في كتابه : (جيل 98 La generacion) ان اونامونو وفايي انكلان ممثلان طبيعيان للجيل المذكور ، بينما نجد نقادا آخرين يرون انهما ـ اونامونو وفايي انكلان ـ ابعد ما يكونان عن جمالية جيل 98 ، على حين نجد الكاتب الكبير اورطيكا ايكاسيط يميل الى الرأي بان اونامونو وكانيفط ليس يمكن ضمهما الى افراد جيل 98 ، وانما يصح اعتبارهما عضوين في جيل سابق ، اما الناقد المعروف جان كاسو فانه يزعم بان اونامونو وكانيفط مرهصان حقيقيا لجيل 98 .

وفي كتاب (شعراء اسبان) Poetas espanoles ، نجد مؤلفه الكاتب الشاعر دامو الانسو يرى ان الممثلين الحقيقيين لجيل 98 ، هم : روبن داريو ـ منويل ماتادو ـ انطونيو ماتادو ـ خوان رامون خمينث ، ثم مكيل دي اونامونو ، وهذا يصفه روبن داريو بانه (لا صلة له باحد ولا بجيل من الاجيال) .

(✱ انظر كتاب Angel Valbuena Part, Historia de la literatura espanola - Quinta edicion, E. G. Gili, p. 368 y 369, III.

(✱ انظر كتاب : Panorama de la literatura espanola contemporanea, p. 110, T. II

واما الاستاذ الناقد Ienacio Elizalde فانه يؤكد في مقالة له عن الشاعر بريس دي ايالا ، بان كلا من ايالا وارطيكا ايكاسيط وخوان رامون خمينث وكابرييل ميروو كوس دي لاسرنا وخوليو كاميا واوخينيو دارس ، ينتمون جميعهم الى جيل جاء بعد جيل 98 ، ويعقب على ذلك بان هذا الجيل الذي ينتمي اليه اولئك الكتاب والشعراء لم يطلق عليه بعد اي اسم ، ويزعم بان افراده بورجوازيون اكثر منهم بوهيميون ، واما الاستاذ بايطير فهو ، في كتابه (شاشة الادب الاسباني المعاصر) يذهب الى القول بان هؤلاء الكتاب والشعراء الذين ينتمون الى جيل لم يسم بعد انما هم ظل ، ليس ينكر ، لجيل 98 .

ومهما يكن ، فان الدارسين والنقاد اذا كانوا يختلفون في الاسماء التي يجب ان تحويها قائمة جيل 98 ، فان الذي لا شك فيه هو انهم جميعا يتفقون على ان كل تلك الاسماء التي تقدم ذكرها ، تدفقت بطريق مباشر من آثار الكلاسيكيين الاسبان وكتاب (نثر ديثيوي) روبن داريو ، وانبجست بطريق مباشر او غير مباشر من الاحتكاك والاطلاع على الآداب الاجنبية ، وخاصة منها الشعر الفرنسي الذي انتجه القرن التاسع عشر انطلاقا من فيكتور هوجو ، مرورا بالبارنسيين حتى الرمزيين .

القاعدة المجتمعية لافراد جيل 98 :

ان للبيئة والوسط المجتمعي الذي ينشأ فيه الكاتب ويشب اثرا ملحوظا فيما ينتج وينشيء من اعمال ادبية ، ومن اجل ذلك كان لابد ان نتساءل . الى اي وسط مجتمعي ينتمي افراد جيل 98 ؟ وبعودتنا الى تراجم اولئك الافراد نرى انهم جميعهم بدون استثناء ينتمون الى طبقة متوسطة،عائلية اوراطية(✱)وليس منهم من ينتمي الى طبقة الارستقراطية ولا حتى الى البورجوازية Burgesia ، ويعلق جان كامب على هذه الظاهرة بقوله : (اما الشيء غير العادي في اسبانيا فهو ان الكتاب بكليتهم تقريبا ينتمون الى الطبقة المتوسطة ، وكانت بدايتهم سريعة التأثر ، فاستطاعوا بسيرهم على سق بيردا وكلارين ان يروا الحياة تسير امامهم دون ان يمتزجوا بها) .

ويصح القول بان هذه القاعدة المجتمعية التي انطلق منها افراد جيل 98 ، هي التي حددت واطرت ـ اذا صح التعبير ـ مسبقا ، كثيرا من مميزات اعمالهم الادبية ، فكان ذلك الموقف الجدلي المشترك ازاء البورجوازية يدفع بعضهم (بلاسكو ابانييث) نحو مواقف ومضامين يصلها بطبقة الفقراء الف سبب ، ويدفع بالبعض الآخر (فايي انكلان) الى محاولة التحول الى ادب ارستقراطي ، ويلاحظ النقاد ان اكثر كتاب جيل 98 بورجوازية هو خاثينتو بنافنتي .

المحيا الثقافي لجيل 98 :

تختلف سمات هذا المحيا وتقاسيمه من شخص لآخر ، فاونامونو وكانيفط اللذان يعدان صاحبين من الرشد بين افراد الجيل المذكور (ومعهما ديثنطا وابانييث) يبدو ان من ثنايا تواليفهما استاذين جامعيين ، غزيري الثقافة والرصيد المعرفي ، حتى لكأنهما موسوعتان عظيمتان ، واما اعمال ديثنطا وابانييث فانها تكشف عنهما انسانيين ، لكن حظهما من الثقافة ضئيل ، ورصيد هما من المعرفة فقير ، ويرى الاستاذ ك . ط . بايطير ان بنافنتي ليس الا سيدا جامعيا صغيرا ، سبق له ان اختلف الى مدارج وحجرات الجامعة دون رغبة منه في الدراسة ، بيد انه مع ذلك موهوب باضطراب وفضولية ادبية ، اما بايي انكلان فهو طالب كسول ، لكنه سريع البداهة والادراك بعمق ، ويبدو باروخا متأثرا ، دوما ، الى قراءات علمية بلا دليل للاختيار ، وذلك ما كان يشكل تكوينه الفلسفي والادبي ، على حين ان اثورين يرغب ، بشغف وحب ، في معرفة القرن التاسع عشر الفرنسي ، واما انطونيو ماتادو فهو يتعمق ويتغلغل في عالم ثقافي لكنه صغير الرقعة ، قصير الابعاد ، وليس يعني هذا القول ان حظه من الثقافة كان ضئيلا ، بل العكس هو الاصح . واما مايطو وايالا ، فان كلا منهما كان معجبا ، شغوفا بالادب الانجليزي ، لكن الاول ، راح الاتجاه الانجليزي عنده ، مؤخرا ، يتحول الى صفة « الاوربية » .

علاقاتهم بالانسان والمناظر :

اذا حاولنا اقامة معرض نفسي لهؤلاء الكتاب والشعراء ، يبرز علاقاتهم بالانسان والمناظر ، سننتهي ، لا شك ، الى ما يلي :

ا ـ العلاقة بالانسان :

اونامونو ، باروخا ، فايي انكلان ، كلهم شديد والتعلق بالافكار اكثر من تعلقهم بالتجربة ، وكل من بنافنتي وسيرافين وخواكين كنيطرو ، في قياس مختلف واتجاه مختلف ايضا ، نال مسلماته وادراك يقيناته في الملاحظة ، ولقد كانت كونتنا امبينا ، بدورها تتعلق قبل كل شيء ، بالملاحظة ، ديثنطا

(✱) انظر كتاب . G. T. Ballester, Panorama de la literatura espagnola contemporanea, T. I.

وبلامكو ايابييث فانهما يحولان الملاحظة الى الفكرة ، وكان باروخا وفايي انكلان يشخصان اعمال الانسان وافكاره ولا يصفان دعاويه البسيكولوجية ، ويتحدث النقاد بان اونامونو كان يهتم بتحويل الانسان الى فكرة مربية ، لكنها خالصة من كل شائبة ، ولم يكن الانسان ، عند بنافنتي ، الا مجموعة آراء .

ب ــ العلاقة بالمناظر

ان القدرة الفائقة للاغراق في وصف المناظر والاجواء انما كان يمتلكها باروخا ، فهو يبرز موصوفاته الطبيعية بشكل تأثيري ، شديد الفعالية ، وقصصه بالدرجة الاولى ليست تخلو ، مطلقا من تلك النكهة « الجوية » التي يعجب بها السينمائيون .

اما فايي انكلان ، فكان وصفه للمناظر لا يمتزج بتأثره الشخصي ، وبرغم ذلك فقد كان نثره يمتاز بظلال وموسيقية رائعة ، على ان اونامونو بالرغم من انه كان يمتلك ــ اذا جاز التعبير ــ احساسا شفافا بالمناظر فهو لم يعرف كيف يصفها ، بطريقة فنية ، في اقاصيصه ورواياته ، ولكنه على رأي اكثر النقاد ، استطاع ذلك فيما كتب من اعمال غنائية ووصفية .

وكان شاعر « مغزر » العظيم خوان رامون خمينيث ذا قدرة فائقة في الوصف ، ترفدها العناصر الغنائية الغزيرة التي كانت تتماوج في اعماق نفسه ، ومع ذلك ، فهو لم يشأ ، في وصف المناظر والاجواء ، شأو انطونيو ماتادو الذي كان اروع من تغنى باقليم كاستيا (✱) Castilla ، ووضع له باغنياته عنه ، خريطة شعرية ، رائعة ، واما اثورين فقد كانت نظرته الى المناظر تمتزج دوما بالثقافة والتاريخ ، ولقد كان نثره يشف ، وترقرق في اعطافه غنائية شعرية رقيقة اذ يصف المناظر .

موقف جيل 98 من الثقافة الاوربية :

اذا كان افراد جيل 98 ، كما رأينا ، قد اختلفت علاقاتهم بالانسان وتباينت اساليبهم في وصف المناظر ، فان موقفهم من الثقافة الاوربية يبدو شديد التشابه الا في استثناءات قليلة ، بيد ان وسيلتهم في محاولة الاتصال بهذه الثقافة والاطلاع عليها ثم الاستفادة منها ، بكل ذلك يبدو مختلفا ، متباينا من شخص لآخر ، فالثراء الثقافي الاداسي الذي كان يمتلكه كانيفط وايضا اونامونو مكن لهما شمولية وعمقا لا نلفيهما عند غيرهما ، واما اثورين ، وهو من المحافظين على روح اللغة الاسبانية ، فهو يبدو متشبعا بما كان يترجم من الفرنسية على حين ان بنافنتي ، كما يقول بايسطر ، ذهب بعيدا ، عبر قناة مانتا ، ثم توغل الى اخمص قدميه في الكنوز العظيمة التي كتبها الانجليزيون ، واما فايي انكلان فقد التقى بكتاب فرنسا في القرن الماضي ، وجالسهم ، واستمع لهم ، وتأثر بهم . وكذلك الاخوان ماتادو ، فقد كان لهما احتكاك مباشر بالثقافة والادب الفرنسيين .

على ان الرائد العظيم في محاولة تلقيح الثقافة والادب الاسبانيين بالثقافة والادب الاوربيين او الفرنسيين على الاصح، هو روبن داريو ، الذي عد في تاريخ الادب الاسباني الحديث زعيما لثورة ادبية خطيرة ، حمل مشعلها في جنوب امريكا ، وشاد هياكلها وصروحها في ارض اسبانيا .

ذيوع صيت جيل 98 :

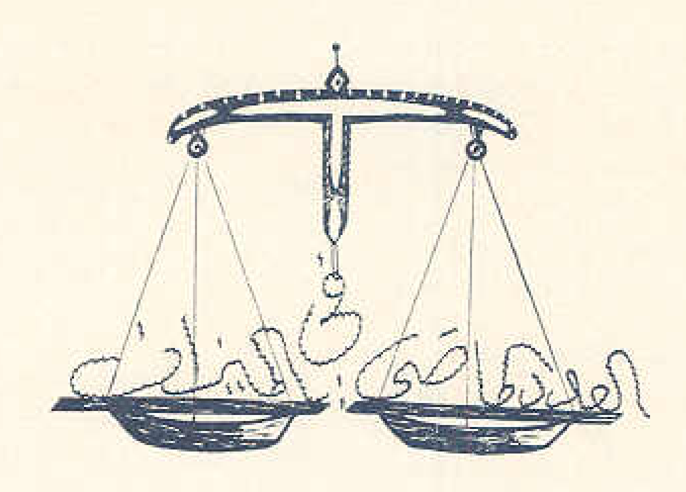
الحقيقة .. ان التأثير الثقافي والاجتماعي الذي خلفه افراد هذا الجيل لم يبد بسرعة ، فلقد تأخر ظهوره وذيوعه الى اعوام النضر من عمر الجيل التالي ، وحتى ذلك الحين كانت اصوات جيل 98 تبدد اصداءها في اودية فقراء ، على انه ينبغي ان نستثنى من تلك الاصوات صوت بنافنتي ، فهو قد ارتفع مدويا ، مزمجرا ، يطبق الآفاق ، ويملأ الاجواء قبل ذلك الابان ، وانما تم له ذلك نتيجة الآراء البنافنتية الشديد التسرب الى نفوس الجماهير ، وشعبية القالب الذي كان يستأثر باعجابها .

اما الباقي من افراد جيل 98 فان شهرتهم لم تنتشر ولم يطر لها صيت الا بعد سنة 1920 ، اي في الوقت الذي بدأت فيه شهرة اورطيكا ايكاسيط وداورس ، وغيرهما .

غير ان ذيوع صيت جيل 98 لم يبلغ اوجه ويتسنم ذراه الا في هذه الفترة التي شهدت المقاومة العنيفة التي ينهض بها جيل ثالث ضد حركة التجديد الروبنية ، وضد جماليات جيل 98 ، والواقع ان هذا الجيل الثالث ، الثائر ، المقاوم ليس الا غرسا من اغراس جيل 98 ، انه (جيل احفادنا) كما يسميه مكيل دي اونامونو .

تطوان : حسن الوراكلي

(✱) انظر كتابه : (حقول كاستيا) Campos de Castilla



قبل كل شيء الاحظ ان جملة الكتاب الذين اقترح عليهم ان يكتبوا تحت هذا العنوان .. كلهم يبدون اشفاقهم وتهيبهم للخوض فيه .. علما منهم بان زمرة الكتبة والباحثين الذين سيتعرضون لهم بالنقد والحمد مختلفو النزعات متعددو المشارب لا يجمعهم قرن واحد ولا سبب متصل .. وكذلك الموضوعات المعروضة فهي متباعدة تتناول جوانب شتى وترمي الى مناحي كبرى .. فكيف يستطيع عقل واحد ان يدرك شأو جملة عقول .. وكيف يقدر قلم واحد ان يسبر غور عدة اقلام . بل كيف يحكم فرد واحد وهو عادة قصير على جماعة من الافراد وكل منهم قوي في نفسه بانفراده واحرى بانضمامه الى سربه ..

للأستاذ إبراهيم الإلغي

لذلك فانا اقدم عذري مسبقا اذا لم ادرك شأو الذين اقترح علي ان اتعرض لانتاجهم بالنقد والتحبيذ او الوزن والتقدير .. واصرح ان الذي حملني على تلبية رغبة مجلتنا العزيزة هو انني يعز علي ان ارفض المساهمة معها في اداء رسالتها الجليلة ولو كانت هذه المساهمة رمزية طفيفة ..

فأدخل في الموضوع قائلا انني بدأت بفحص العدد من ناحية شكله وحجمه ومن ناحية ترتيبه وتبويبه واخراجه من الناحية الفنية فألفيته كسابقاته حسن الهندام جميل الشكل صقيل الورق بديع الاخراج والتبويب والترتيب كما وجدته من ناحية الموضوعات غزير المادة دسما قويا حتى ان القارىء العادي ربما كلفه وقتا غير قصير الاتيان على ما فيه .. فصرت اتساءل هل هذا عيب في العدد ام حسنة من حسناته .. ثم زعمت انه ربما كان عيبا بالنسبة لبعض القراء غير المتفرغين للقراءة امثالي وحسنة للمتفرغين ، وقليل ما هم .. واذا كان المقام يسمح لي بابداء ملاحظة على محتوى المجلة فهي انها باعتبار كونها تصدر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية كان حريا بها ان لا تخلو ولو بصورة اخبارية من نشاط هاته الوزارة وهو نشاط عظيم الشأن متعدد النواحي .. وذلك بالاضافة الى ما اسست المجلة لاجله من الدراسات الاسلامية وشؤون الثقافة والفكر .. كما اسجل باستحسان تخفيض ثمن المجلة من درهم ونصف الى درهم واحد .. ولا شك ان هذا من باب التيسير المفروض دائما من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

واما الاستعراض العام للموضوعات المطروقة فانه افضى بي الى الوقوف على مزية كبرى لهذه المجلة وهي انها في هذه السنوات الثمان من عمرها المديد بحول الله استطاعت ان تضم اليها شرقا وغربا جماعة من الكتاب الباحثين والعلماء المختصين الذين يؤثرونها بنشر انتاجهم وآرائهم وقلما يغيبون عنها .. يقينا منهم بانها منبر من منابر الاسلام ولسان من السنة الحق، وخير من يدعو دعوة الحق .. امثال هؤلاء الاساتذة الكبار : علال الفاسي ، محمد الطنجي ، عبد الله الجراري ، احمد التيجاني . الدكتور تقي الدين الهلالي ، حسن السائح ، المهدي ابن عبود ، عبد الله كنون ، محمد ابن تاويت ، محمد زنيبر ، جمال الدين الرمادي ، زكي المحاسني ، عبد العلي الوزاني ، عبد القادر زمامة ، احمد زياد ، محمد المنوني ، ابراهيم حركات . المهدي البرجالي . وغيرهم ممن لا احصي عددا ..

ثم افضى بي هذا الاستعراض الى حيرة .. هل اتعرض لجميع موضوعات العدد وهي كما قلنا غزيرة وضافية .. ام امر على كل منها مر الكرام بالاشارة العابرة واللمسة الخفيفة .. ام اقتصر على بعضها الذي يعالج حالة خاصة من حالات مجتمعنا المغربي او حالة عامة من الحالات التي تشغل بال الرأي العام ؟

اخيرا وجدتني مضطرا الى الاقتصار على هذا البعض .. لكن لا بخسا لقيمة المباحث الاخرى وهي كلها موفية بالمراد

مستحقة لعظيم الاعتبار .. ولا غمطا لحق اصحابها الاجلة الكرام .. وانما لكون القاعدة تقول : ما لا يمكن كله لا يترك جله .

وهناك ملاحظة عابرة لا ادري هل من الادب ابدؤها ام هي من حق المجلة ذاتها وهي انه لفت نظري اثناء الاستعراض بعض موضوعات العدد سبق لي ان قرأتها او سمعت عنها في مجالات اخرى ..

وايا ما كان فان موضوع « اثر العقيدة في المجتمع » للاستاذ الكبير علال الفاسي كان بحق في مقدمة موضوعات العدد .. اذ ان الاستاذ على عادته عالج فيه بطريقته التحليلية وبعمقه وشموله المعهودين واقع المجتمع المغربي وحالة الحيرة التي تعيشها اجيالنا الحاضرة .. فاستطاع حفظه الله ان يصل فيه بعد مقدمات وتمهيدات ابدع فيها كل الابداع الى ما يرمي اليه وهو انه « يجب على الشباب ان يتجه الى نبع عقيدة الاسلام التي تفتح آفاق ذهنه ليتصور الواقع ولا يبقى في جو يظهر فيه التمرد بمظهر الثورة والتقليد بمظهر التطور — ان احدا غيرنا لا يستطيع ان ينقذنا من آفات الانحطاط ويصعد بنا الى درجات الرقي — علام نرمي بأنفسنا في احضان الهاوية التي يحفرها هؤلاء (الغربيون) الماديون » .. حقا ان الاستاذ علال خير من يعالج مثل هذه المواضيع بما له من ايمان راسخ واطلاع واسع وفكر حر واسلوب رصين ومنطق محكم .. الشيء الذي نشكر الاستاذ عليه ونتمنى منه فيه المزيد .. غير اننا نستسمحه اذا لاحظنا على الموضوع انه كان غاية في العمق وجد مركز حتى انه اشبه بالنقط ورؤوس المسائل التي يسطرها المحاضر على الورق قبل ان يأخذ في بسطها امام الحاضرين .. لذلك كنا نتمنى ان لو اضفى الاستاذ مزيدا من حلية بيانه على هذا الموضوع العميق .. كما كنا نتمنى ان لا يجتاز بعض الكلمات والعبارات ويتركها من غير مزيد بيان .. ككلمة « فدادية » الواردة في قوله « فدادية بوذا » وكلمة « التصويف » الواردة في قوله « لقد آثر الغرب التصويف وهو يعود اليوم الى التصوف » .. اذ المفروض من القارىء المتوسط ان يكون دون القروء ولا سيما اذا كان من مثل هذا الكلام العالي وانتاج الاستاذ الرفيع ..

وموضوع « امهات المؤمنين » للشيخ الاستاذ ابي العباس احمد التيجاني الذي كتبه فضيلته تلبية لرغبة بعض الطلبة .. ردا على ما نشر في بعض الجرائد .. دون ذكر اسم الجريدة ولا ذكر ما نشرت بنصه .. مما جعلنا نفترض انه ما جاء اثناء المقال من « انه صلى الله عليه وسلم يحب النساء والمرح والغناء» .. وان كان السطر الاول من هذه القولة « يحب النساء » ليس فيه ما يبعث على عظيم استنكار ما دام يتفق مع قوله صلى الله عليه وسلم : « حبب الي من دنياكم النساء والطيب الى آخر الحديث » .. وما دام لا يتبين من الفقرة وحدها فحوى ما ترمي اليه الجريدة من وراء هذا الحب ولا ما ذكرته في موضوع تعدد زوجاته ص .. لذلك كنا نستحسن لو ان حضرة الكاتب العالم حكى قول الجريدة — وحاكي الكفر ليس بكافر — او المع اليه فقط بما فيه الكفاية .. حتى نستطيع ان نشارك الشيخ الجليل ونعيش معه في الموضوع .. وعلى اي حال فاننا نحمد لفضيلته هذه الغيرة الدينية التي عرف بها .

وموضوع « اللغة العربية في الحقل العلمي » للدكتور الطبيب المهدي ابن عبود .. حري بالملاحظة وجدير بالاعتبار .. لكونه موضوعا يشغل بال المواطنين جميعا في الظروف الراهنة ويشغل كثيرا من الاقلام والافواه من جراء معركة التعريب التي يخوضها الكل .. لقد صرح الكاتب الفاضل بانه موضوع مقترح من مكتب التعريب .. وهو بوصفه عالما نفسانيا اولا وعالما تقنيا ثانيا (ولا يخفى ما بين علم النفس وعلم الطب من ازدواج والتحام) ثم عالما مهتما بالدراسات الاسلامية ثالثا .. يستطيع بهذه الوسائل ولا شك ان يعالج الموضوع من اطرافه ويخرج منه بالنتيجة المرجوة وهي صلاحية اللغة العربية لسائر الحقول العلمية وغيرها .. او بالنتائج التي خرج بها حضرة الدكتور حيث قال « ليست المسألة مسألة لغوية وانما هي نفسانية تتصل بوجودنا وعقيدتنا وفلسفتنا في الحياة — والاتهامات التي تلحق لغة الضاد هي في الحقيقة ينبغي بالاحرى ان توجه الى الجهلاء من ابنائها — ان قيمة اللغة صورة لقيمة الامة — ان اللغة العربية كانت ولا زالت لغة حضارة فلا يصدق عليها ما يقال عن اللغات البدائية — ان العربية لا تحتاج الا لشيء واحد هو الاستعمال ، فهي موجودة ولكن الامة مفقودة — دعاة الازدواج يساعدون على سياسة الاستعمار الجديد .. واما تعلم اللغات فهو موضوع آخر .. » .. فنرى ان صديقنا الدكتور عالج الموضوع من الناحية النفسية اكثر من الناحية العلمية لشعوره بان العلة او النقص ليس في اللغة ذاتها وانما هو في نفوس بعض اهلها .. فما داموا لم يشفوا من وصمة هذا الجهل ومن مركب هذا النقص الذي ابتلاهم به الاستعمار فلا سبيل الى ادراكهم صلاحية اللغة العربية لسائر الميادين .. وبعد ذلك هل لنا ان نأخذ الدكتور على عدم تدعيمه الموضوع علميا ولغويا .. ؟

وننتقل الى موضوع « دراسات حول الادب المغربي » للاستاذ الموفق عبد العلي الوزاني .. فأبادر الى القول بانه بحث ادبي من النمط العالي الجامعي الذي يصح — في نظري — ان يقدم كصورة مشرقة لما وصل اليه البحث الادبي المجرد عندنا بالمغرب .. واني لا املك الا ان اشد بكلتا يدي على يد الاستاذ الوزاني مهنئا له على مثل هذا الانتاج الرفيع ومتمنيا ان اقرأ له الكثير من هذا النوع الممتاز .. فلقد اعجبني من بحثه اولا

حسن تقسيمه وترتيبه ثم شموله واستيعابه .. في اسلوب رصين وتعبير محكم طافح بافكار صائبة واحكام صادقة الى ابعد الحدود .. انه عندما قال « اول مشكلة تواجه هذا الادب انه يبحث عن نفسه بين شتى الاتجاهات » صور واقع الادب المغربي اصدق تصوير ووصفه بالوصف الحقيقي الذي لا يماري فيه منصف .. وعندما قرر ان « الشعر بطبيعته بطيء التطور نظرا لكون قيوده اثقل من قيود النثر » .. كان ايضا صادقا وواجدا علة هذا البطء الشديد الذي سبب عندنا وعند غيرنا تأخر مواكب الشعراء عن اللحوق بقافلة الادباء الآخرين .. وعندما قال « والقصة عندنا في المغرب ليس لها رجالها المختصون انها فن ضائع بين الفنون الادبية » .. نبه الى خطورة القصة والى ضرورة الانقطاع اليها ممن يحاول ان يدرك فيها الشأو الرفيع .. واما النقد الادبي « فاننا تقريبا لا نجد له وجودا » مضيفا ان « بعض الاعمال النقدية التي لم تراع فيها اصول النقد الصحيحة انما كانت مهاترات لا أقل ولا اكثر » .. فهذا ايضا قول صادق يعز علينا ان لا نجد ما نناقشه به .. ثم قال الاستاذ ان فن المقالة هو الفن الادبي الذي فاز عندنا بحصة الادب .. وذهب يشرح ذلك ويستعرض مراحل المقالة بالمغرب والمآخذ الموجهة عليها .. « فاذا ولينا وجهنا شطر التأليف فاننا نلاحظ ان جل ما صدر عندنا من كتب انما كان عبارة عن مقالات نشرت متفرقة ثم جمعت بين دفتي كتاب » .. اقول للاستاذ الوزاني ان هذه الظاهرة في التأليف ليست خاصة بالمغرب بل ان جل ما يصدر عن دور النشر بالقاهرة وبيروت انما جمع مما سبق نشره متفرقا او حوضر به في المجامع والجامعات او قدم اطروحات لنيل الاجازات والشهادات العليا او هيىء لدراسات مدرسية للطلبة ولصغار الاطفال .. غير ان الانصاف يدعونا الى ذكر بعض الاعمال الخالصة التي بها بعض المؤلفين الكبار هنا وهناك ولاسيما في العلوم الاجتماعية كالتاريخ والتراجم والتشريع .. واخيرا يعجبني قول الاستاذ « اننا بعيدون عن سن الرشد الادبي تلك السن التي يحاسب فيها الاديب نفسه ويصبح واعيا بكل ما يصدر عنه قادرا على ان يعرف لكل خطوة موضعها » .. وان كان بعض الادباء المتطلعين عندنا ربما لا يعجبهم ان يقال لهم انكم لم تبلغوا سن الرشد في الميدان الادبي رغم انهم بلغوا الاشد في المجالات الاخرى .. ثم ليسمح لي الاستاذ ان اوجه اليه مأخذا واحدا وهو قد اخذنا بعدة مآخذ .. وذلك ان بحثه القيم خال من ضرب الامثلة وعرض الشواهد .. فما هو الا نظريات يعوزها التشخيص والتنظير .. والمثل الوحيد الذي قدمه « في الثقافة والادب » للاستاذ غلاب دليل على ان الاستاذ الوزاني لم يلتزم في بحثه ترك الامثلة والشواهد جانبا .. كما نعلم من شمول نظرياته وصدق احكامه ان الشواهد لا تعوزه لو ارادها .. ولكننا نشعر ــ وان كان هو لا يشعر ــ بضرورتها في موضوعه العظيم ..

وبعد .. فان بالعدد عدة دراسات اخرى بلغت من الجودة والاستيعاب ما يغري بالتعليق عليها والوقوف عندها مدة اطول .. غير اني مرغم على الانصاف عنها اما لكونها ضافية يضيق المقام عن الخوض في احشائها .. كالبحث المستفيض « حول مشاكل البحث والاستنتاج التاريخي في العصر الحاضر » للاستاذ المهدي البرجالي .. وكالموضوع الهام « اضواء على الادب الاسباني » للاستاذ حسن الوراكلي .. واما لكونها حلقة من حلقات سابقة او اخرى لاحقة مما نشر بعضه في عدد سابق او بقي لعدد لاحق .. فتعذر علي لذلك تكوين فكرة عامة عن الموضوع بأسره .. مثل ما نجده في مناقشة الدكتور تقي الدين الهلالي المعنونة « نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط » .. وفي نقد الاستاذ عبد الله كنون المعنون « نظرة في منجد الآداب والعلوم » .. وفي بحث « ثقافتنا الاسلامية المعاصرة » للاستاذ الحسن السائح .. واني لم استثن من ذلك الا بحث الاستاذ الوزاني الآنف الذكر لكونه في حكم البحث الكامل وان كان فصل من فصوله ينتظر النشر .. راجيا لذلك قبول عذري .. والعذر عند كرام الناس مقبول ..

الرباط : رضا الله ابراهيم الالفي

القهـــــوة

أنـــا المحبـوبـة السمـــرا

واجلــى فــي الفنــاجيـــــن

وعـــود الهنـــد لـــي عطـــر

وذكـــري شاع في « الصيـــن »

« مامية الرومـــي »

سابق البربري ثالثة

للأستاذ : عبد الله كنون

كتبت عن سابق البربري فى هذه المجلة مرتين :
(الاولى) فى العدد الاول من السنة الثانية
(والثانية فى العدد المزدوج ، الثامن والتاسع من السنة السادسة .

وكلتا الكتابتين كانتا بحثا تناول جانبا من حياته الشخصية ، وجلى ادبه الحكمي الرائع الذي كان مغمورا بين اخبار الرواة ورجال الحديث واهل الزهد فى عديد من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، المظان وغير المظان .

ولم تكن الكتابة الثانية اعادة لشيء مما جاء في الكتابة الاولى ولا تكرارا لخبر او اثر او شعر ، بل الحاقا واستدراكا لما فاتني من ذلك ولم اذكره فيها لاني انما وقفت عليه بعد ، وتنسيقا له مع ما سبق ذكره حتى انني عددت ما زدته من شعره فى الكتابة الثانية ، تسعةوستين بيتا ، على ما تضمنته الكتابة الاولى وهو ثمانية وثمانون بيتا فكان المجموع 157 بيت او بيتا .

وقلت حينئذ ومن يدري لعلي اعود اليه مرة ثالثة اذا ظفرت بمعلومات جديدة عنه ، لا سيما وتاريخ الرقة للحراني قد طبع فيما بلغني ، وهو مظنة لان يحتوي على شيء من اخباره واثاره .

وها انا الآن اعود اليه بالفعل للمرة الثالثة بعد ان وقفت على ما ذكره صاحب تاريخ الرقة عنه ، وهو شيء قليل بالنسبة الى ما قدمته عنه نقلا عن غيره ولا سيما تاريخ ابن عساكر ، وما ذكره عنه ايضا صاحب خزانة الادب مشفوعا بخبر لابن عبد ربه فى العقد الفريد .

قال فى تاريخ الرقة : سابق بن عبد الله الرقي يكنى ابا سعيد ، حدثنا هلال بن العلاء حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا موسى بن الحسن حدثنا سابق ابو سعيد — قال عمرو وكان امام الرقة ، قبل اجلح — عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابن هريرة ان رسول الله (ص) قال : اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث: الا من الصدقة ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له .

سمعت ابراهيم بن احمد بن عبد الكريم الحراني ابن ابي حميد يقول سألت محمد بن سليمان عن سابق البربري قال هذا كان قاضيا بالرقة ، حدث عنه محمد ابن سليمان بن ابي داود وحدث عنه عبيد الله بن يزيد ابن سنان الرهاوي عن ابي حنيفة .

وحدث عنه شجاع بن الوليد فقال : حدثنا ابو سعيد الجزري حدثنا علي بن عثمان النفيلي حدثنا ابو كامل مولى الفاز بن ربيعة قال سمعت سابق البربري ينشد مكحولا وهو في الغزو :

يا نفسي كل قابر مقبور
ويهلك الزائر والمزور
ويقبض العاربة المعير
ليس على صرف الروا غمور
كم مر غني مكثر فقير

حتى انتهى الى قوله :

والصدق بر والتقى تطهير
والبر معروف به المبرور
وذو الهوى يسوقه المقدور

فقال مكحول لا .

هذا ما تضمنه تاريخ الرقة عنه ، ونجده فيما يتعلق باسمه يجعله سابق بن عبد الله ويكنى ابا سعيد

على ما سبق ترجيحه ، ويزيدنا حديثا آخر من روايته وهو حديث الصحيح : اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ولم يتقدم فيما اثبتناه من حديثه ، ويؤكد روايته عن ابي حنيفة كما ذكره الخطيب في مشيخته.

ويروي لنا من شعره ثمانية ابيات من مشطور الرجز ، هي في الواقع من رجزية طويلة على ما يظهر بدليل قول الراوي عنه (حتى انتهى الى قوله) وباضافة هذه الابيات الى ما تقدم لنا روايته من اشعاره يصير الجميع مائة وخمسة وستين بيتا .

ونلاحظ اعتراض مكحول عليه في البيت الآخر بقوله لا ، لما يشتم منه من رائحة الجبر .

وجاء في خزانة الادب لعبد القادر البغدادي عند ذكر الشاهد : وللموت تغذو الوالدات سخالها ، البيت المتقدم في الكتابة الثانية ، ما نصه : وسابق البربري هو ابو سعيد سابق بن عبد الله ، له اشعار حسنة في الزهد وهو من موالي بني امية سكن الرقة ، ووفد على عمر بن عبد العزيز وله معه حكايات لطيفة ، روى عنه مكحول وموسى بن اعين والمعافي بن عمران، وغيرهم ، والبربري نسبة الى البربر وهي بلاد كثيرة في المغرب . قال ابن الاثير في الانساب : ليس سابق منسوبا الى البربر ، وانما هو لقب له ، ويتضافر هذا النص مع ما قبله في اسم الرجل وكنيته ، ويجزم بانه من موالي بني امية ، وهو ما سبق ذكره عن ابن عساكر نقلا عن المرزباني مع تعيين صاحب ولائه وهو الوليد منهم ، وبذلك قويت حجة من يقول انه غير عربي وفي هذا النص خطأ وهو قوله روى عنه مكحول والصواب ان مكحولا من مشيخته وان سابقا هو الذي روى عنه كما سبق مرارا ، ويؤيده ايضا اعتراضه عليه في البيت الذي تقدم من رجزيته لما انشده اياها . واما قول ابن الاثير الذي اورده صاحب الخزانة في نفي نسبة صاحبنا الى البربر فقد سبق لنا الكلام عليه .

وما ذكر عن ابن عبد ربه هو حكاية قيل ان سابقا اخذ معنى قوله : وللموت تغذو الوالدات سخالها من مضمونها وهي هذه :

« وفد عبد العزيز بن زرارة سيد اهل الكوفة على معاوية ، فخرج مع يزيد بن معاوية الى الصائفة ، فهلك هناك ، فكتب يزيد الى معاوية ، فقال معاوية لابيه زرارة : اتاني اليوم نعي سيد شباب العرب ... فقال زرارة : يا سيدي هو ابني او ابنك ، فقال معاوية انه ابنك ، قال للموت ما تلد الوالدة ، اخذه سابق البربري فقال :

فللموت تغذو الوالدات سخالها
كما لخراب الدهر تبنى المساكن »

هذا وفي طبقات الشعراء لابن المعتز ذكر لسابق في عبارة تشبه عبارة الجاحظ المتقدمة عنه وعن صالح بن عبد القدوس من انهما اختصا بقول الشعر في الحكم والامثال . وذلك اثناء ترجمته لمحمود الوراق.. وهي قوله : (وشعر محمود كثير . واكثره امثال وحكم ومواعظ وادب ، وليس يقصر بهذا الفن عن صالح ابن عبد القدوس وسابق البربري) .

طنجة : عبد الله كنون

من هاهنا اتفقا ! !

رأى مالك بن دينار يوما حمامة مع غراب ! فعجب من اتفاقهما وليس من شكل واحد .

فلما مشيا ، اذا هما اعرجان ، فقال :

« من ها هنا اتفقا ! » .

مبادئ التشيّع في الأدب الموحّدي

للأستاذ: محمد بن تاويت

في الاحاديث التي اذعتها سنوات 57 ، 58 ، 1959 ، عن الادب المغربي ، قلت بعد اتياني بنماذج من شعر ابي حفص السلمي — ما يلي بنصه :

« ومن هذه الابيات وغيرها من الشعر الذي قيل في هذا العصر ، ندرك ان الادب المغربي ، دخل فيه عنصر — ولو ان الفكرة فيه لم تكن غريبة عن المغرب نفسه ، فيما قبل ، منذ العبيديين ولربما منذ الادارسة الاول ، الا ان الاثر الادبي ، لم يسجل لنا شيئا عن ذلك من ذي قبل — هذا العنصر هو مبدأ الشيعة والاسماعلية منها بالخصوص ، في مسألة الخلافة ، وان صاحبها معين بالعين او بالوصف ، وانه الامام المعصوم المعلوم ، كما نجده في رسالة الموحدين ، ويختص هذا الامام بالصلاة عليه ، كما يصلي على النبي عليه السلام ، وكما نجده في نهاية هذه القصيدة ، التي ينهيها بهذه الابيات :

يا سامعين اماديح الامـــام الا
فاجثوا على الركب الاعظام او قوموا
خذ كأس لفظي دهاقا من مدائحـــه
فيها الحقائق لا لغو ولا تأثيـــم
تدعو لـه بـدلا من مدحـه لقصـــو
ر المدح عنه وفيـه العذر معلـــوم
عن الامـام فـلا تضـرب به مثـلا
من ذا يقاس بـه والمثـل معـدوم
اعطى الورى فضل ما اعطـاه خالقـه
عليـه من ربـه بشرى وتسليـــم
صل بالصلاة عليـه صـدق مدحتـــه
ذاك الرحيق بهـذا المسك مختـوم

وهكذا نجده يامر بالصلاة على ممدوحه الموحدي ، وهو التقليد الذي عرف بين الشيعة ، حينما يصلون على غير النبـي عليه السلام » .

نعم ، قلنا هذا وكنا اول القائلين به ، كما سنكون اول القائلين بمثله ، في غير هذا الادب الموحدي .

ولنعد الى هذه القصيدة التي مدح بها ابا يعقوب يوسف ابن عبد المومن ، والتي افتتحها بقوله :

الله حسبـك والسبـع الحواميـــم
تحوي بهـا سبعـة وهـي الاقاليـــم
سبع المثانـي التـي لله قمت بهـا
عليـك من سرهـا معنـى وتقديـــم
وانت بالسـور السبـع الطـوال على
كـل الورى حاكـم بالله محكـــوم
وسبعة الشهب لم تحفـل بهـا ثقـة
بوعـد ربـك هيهـات التناجيـــم
تسمو بنفس على السبع الشداد سمت
فينـا وتم لهـا زلفـى وتحكيـــم

فقد سبق كذلك ان قلنا تعليقا على هذه الابيات :

« وبعد ما يستمر في ذكر السبع من السموات والشهب والايام ويستعمل كل ذلك بمهارة ، في مدح مخدومه ، ويطنب في اوصافه بالعدل والاستقامة ، يصفه بهذه الاوصاف فيقول :

فـؤاده بضيـاء العلـم منشـــرح
ووجهـه بجمـال النـور موســـوم
وكفـه بطنيهـا بالخيـر منهمـــر
وظهرهـا لعهـود الله ملثـــوم
العلـم قيمتـه والحلـم شيمتـــه
طابت ارومته والنفس والخيـم ...

هذا ما قلناه في هذا الصدد ، وكنا اول من تعرض لهذا الاديب بالدرس ، على انه من ادباء المغرب البارزين ، ومـن قبلنا اهمل ذكره : لا لانه اديب تافه ، بل لان القلقشندي فاخر

به ابا يحيى ابن المعلم الطنجي ، على انه اندلسي قرطبي لا يمكن ان يجود بـه المغـرب ، كما قلنا في ذاك الحديث . وبذلـك انصرف عنه دارسو ادبنا ، الى ان طلع علينا صديقنا العلامـة الجليل سيدي عبد الله كنون ، بالحلقة الثلاثين ، التي نشرت في بيروت ، سنة 1961 او 1962 .

لقد علق الاستاذ كنون ، على الابيات السبعية بقوله :

فهذا المطلع كما ترى كله مقارنات يستعملها الشاعر على طريقته ، فيستخرج منها معاني اشباها في الفاظ اشباه تأنقـا في التعبير وتفننا في التصوير ، ولعله انما ضمنه هذه التعبيرات التي سلكها على نسق ، لمناسبة لم يذكرها لنا رواة القصيـدة » هكذا وقف الاستاذ كنون عند هذه « السبعيات » .

والواقع ان لها خطورة خاصة عند الشيعـة الاسماعيليـة بالخصوص ، اذ العدد « سبعة » يعتمد عليه هذا المذهب اعتمادا كليا ويعتبره سرا من اسراره الباطنية .

فهم على هذا العدد الخفي « سبعة » يبنون مذهبهم القائل بان هناك سبع فترات للانبياء والرسل هكذا :

آدم ، نوح ، ابراهيـم ، موسـى ، عيسى ، محمـد ، (عليهم الصلاة والسلام) محمد بن اسماعيل (المنسوب اليـه المذهب) كما يزعمون . وبين كل نبي فترة ، يملأها سبعـة من الايمة ، فبعد النبي عليه السلام ، علي ، فابنه الحسن ، فابنه الحسين ، فابن هذا علي الملقب بزين العابدين ، فابنـه محمد الباقر ، فابن هذا جعفر الصادق ، فابنه اسماعيل .

وباسماعيل هذا بلغت الفترة السادسة نهايتها ، ثم جـاء دور ابنه محمد الذي سيعقبه كذلك سبعة من الائمة ، اولهـم ابنه جعفر المصدق ، وثانيهم ابنه محمد الحبيب (والد عبيد الله المهدي كما قيل) .

على ان كل سبعة من هؤلاء الائمة يعقبه اثنا عشر نقيبا .

وقد اثر عن محمد الباقر ان الاسلام بني على سبع دعائم : الولاية ، وهي افضلها ، والطهارة والصلاة والزكـاة والصـوم والحج والجهاد » .

ولهذه الدعائم في التأويل الباطني امثال : فالولاية مثلها آدم ، لانه اول من افترض الله ولايته ، وامر الملائكة بالسجود له . والسـجود الطاعـة ، ولم يكلفهم غيـر ذلك ، فسجـدوا الا ابليس . فلا بد لجميع الخلق من اعتقاد ولايته ، ومن لم يتوله لم تنفعه ولاية من بعده ، لان الله اوجب ولايتـه ، فكان اصـل رسله وانبيائه وائمة دينه .

والصلاة مثلها ابراهيم ، فهو الذي بنى البيـت الحرام ، ورفع المقام ، فجعل الله هذا البيت قبلة ، والمقام مصلى ، وقال ابراهيم « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين » .

والزكاة مثلها موسى ، فهو اول من دعا اليها وارسله الله بها ، فقالى تعالى « وهـل اتاك حديـث موسى اذ ناداه ربـه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى » فكان اول ما امره به الدعاء الى ان يزكـــى .

والصوم مثله عيسى لانه نادى امه : « من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزي اليك بجذع النخلـة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلي واشربي وقري عينا ، فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما » وبذلك يكون اول من دعا الى الصوم ، كما انه كان يصـوم دهـره ، ولا ياتـي النساء ، شأن الصائم الذي لايجوز له اتيانهن وهو صائم ، بل كان لا يجوز للصائم قبل الآية الناسخة ، اتيانهن ليلة الصيام ، وكان عيسى صوام الدهر ، كما سبق .

والحج مثله نبينا محمد عليه وعلى الانبياء الصلاة والسلام، فهو اول من اقام مناسك الحج ، وسن سننه كما هي ، وكانت العرب فيما قبل تحج الى البيت الحرام ، وتطوف عنده ، ولكنها لا تقيم شيئا من مناسك الحج ، بل كان طوافها كما حكاه الله تعالى : « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » فكانوا يطوفون عراة يصفرون ويصفقون ، فنهى عن هذا النبي عليـه السـلام ، فقال في العمرة التي اعتمرها قبل فتح مكة ، وقد وادع اهلها المشركين « لا يطوفن بعد هذا البيت عريان ولا عريانة » وكانوا قد نصبوا حول الكعبة اصناما يعبدونها ، فلما فتح مكة كسر تلك الاصنام ، وسن سنن الحج ومناسكه وفرض فروضـه بامر الله تعالى ، فكان الحج خاتمة الاعمال المفروضة ، فلم يبق بعده من دعائم الاسلام غير الجهاد وهو مثل سابع الايمة ، الذي هو صاحب القيامة .

ومما تجدر ملاحظته انهم اختلفوا في هذا القائم ، فمنهم من يجعله اسماعيل كما تقدم ، فيكون ابنه خلفا له بعد موته ، ومنهم من يجعله محمد بن اسماعيل ، ويسقط اسماعيل هذا .

وعلى كل فان العدد سبعة ، وقف عنده هؤلاء القوم ، والتمـسوا له ظاهرا وباطنا ، وفرعوا عليه فروعا ، وكانـت اسئلتهم هكذا :

لم خلق الله السموات والارض في سبعة ايام ؟
لم جعل الله السموات سبعا طباقا ؟
لم جعل الله الارضين مثلهن سبعا ؟
لم جعل البحار سبعـــا ؟
لم جعل لجنهم سبعة ابواب ؟
لم جعل الله المثاني من القرآن سبعا ؟

لم جعل في عنق الانسان سبع فقرات ؟ وجعل في ظهره اثنتي عشرة فقرة ؟

ما ذلك الا لان السبع تحمل الرأس ، فهي الائمة تلي النبي ، تساعدها الاثنى عشر نقيبا ، ترمز لها الاثنتا عشرة فقرة .

فهذه قصة السبعية عند الشيعة ، ولا شك ان ابا حفص تومىء اليها ويلم بها الماما مبهما في من غير ما يدخل في تفاصيلها ، التي تبرىء منها قاضينا الشاعر ، لانها غلو يفضي بصاحبه الى الالحاد ، في نهايتها . واذن فليس امعان شاعرنا في سبعة ، قائما على مجرد الاستغلال او الاستقراء الفني ، او التوليد القائم على التداعي ، لان ما بأيدينا من شعر القاضي وتره لا يطلعنا على هذه الوتيرة من المقارنات التي يستعملها ليستخرج منها معاني اشباها في الفاظ كذلك ، لمجرد التأنق في التعبير والتفنن في التصوير .

وقصة المهدوية و « السبعية » عرفها المغرب من قبل ما عرف دولة الموحدين بنيف واربعة قرون ، فلقد استغل هذه الدعوة البرغواطيون ، بل استغلها اولهم صالح بن طريف اوائل القرن الثاني ، وذلك انه حينما فارق المغرب عام ثمان وعشرين ومائة ، كان فيما وعد به ابنه الياس انه يرجع الى المغرب في دولة « السابع » منهم ، وانه المهدي الذي يقاتل الدجال ، وان عيسى سيكون من جنده ، ويصلي خلفه ، فلما كانت دولة السابع منهم وهو اليسع بن اسماعيل ، في منتصف القرن الخامس جعل ينتظر ظهور جده صالح في حماس وايمان بالـغ !

ومع هذا فاننا لا ندعي ان ابن تومرت ، وقد استفاد من نظام الاسماعيلية ومنطقهم في الامامة ، كان اسماعيليا ، مائة في المائة، كما يقولون — بل انه استفاد من هذا الى حد ، وكان واقيا في تنظيم طبقات رجاله ، فالعشرة المهاجرون ، نظر فيهم ، بعد الامر الواقع الى المهاجرين العشرة ، من الصحابة ، ولم يجعلهم اثنى عشر نقيبا ، وحتى لو جعلهم كذلك ، لوافق موسى قبل ان يكون موافقا لهؤلاء الشيعة ، كما ان السبعين في طبقته الثالثة ، كانت بعد الواقع ايضا ، متابعة لموسى الذي اختار من قومه سبعين رجلا .

وكما استفاد من هذا كله الى حد ما ، فانه استفاد كذلك من هؤلاء الباطنية ، تلك الصرامة ، التي لم تكن تتورع في اراقة الدماء وازهاق الارواح ، آخذة بالظنة ، ومستعملة تلك الحيل التي كان يستعمل مثلها « الحشاشون » في الشرق ، وكان ابن تومرت قد خبر من شؤونهم ، حينما كان بالشرق ، فسمع عنهم او اتصل ببعضهم ، اذ كانوا منبثين آنذاك في كل مكان .

ومهما يكن ، فهذا لا يعنينا الآن ، بقدر ما يعنينا تفسير « السبعية » في شعر ابي حفص السلمي ، تفسيرا يقوم على فكرة شيعية، كما وجدنا ذلك في شعر ناصر خسرو الاسماعيلي المتطرف ومثنويات نظامي الكنجوي المتصوف .

وللتصوف علاقة بالتشيع ، وكذلك انتهى شاعرنا وقاضينا السلمي الى هذا التصوف ، كما قلناه في الحديث الثامن من احاديث الادب المغربي ، التي اذيعت سنة 1957 . ولامر ما كان محيي الدين بن العربي يتمتع بكثير من التقديس بين رجال الشيعة في ايران .

على ان هنالك حقيقة لا بد من ذكرها ، وهي ان التشيع لم يتنفس تنفسا ما الا في ادباء البلاط ، وعلى رأس هؤلاء السلمي ، اما غيرهم فلا . والقصيدة التي اوردها صاحب المعجب في رثاء محمد بن تومرت ، لا تمثل التشيع بمعالمه الواضحة بل تشير اشارات اليه تقوى جدا عند فكرة المهدوية بالخصوص، ولم يرد صاحبها ان يظهر بها كما قيل ، وتنسب الى رجل من الجزائـر .

هذا ما يتصل بالشعر ، اما النثر فكان اقوى ترديدا لفكرة الشيعة في الامامة والمهدوية ، على عكس ما سنرى فيما بعد ان شاء الله عند تعرضنا للتشيع في الادب السعدي ، فان الشعر فيه كان انطق وافصح بهذا الامر ...

محمـد بن تاويت



الدور السياسي للزاوية الدلائية

للأستاذ محمد حجي

قامت الزاوية الدلائية زيادة على تلقين الطريقة الشاذلية ونشر العلم في ربوع الاطلس المتوسط بدور سياسي هام ايام انحلال الدولة السعدية ، وكان الذي تزعم هذه المرحلة في تاريخ الزاوية الرئيس محمد الحاج بن محمد بن ابي بكر الدلائي .

وقد ولد محمد الحاج في الدلاء عام 997/1588 ـ 1589 (*) ونشأ كسائر اخوته وبني عمه مكبا على الدرس والتحصيل في الزاوية البكرية . ونال اجازات عامة في مختلف الفنون الدينية والادبية من شيوخه احمد بن القاضي ، واحمد بن عمران السلاسي ، والعربي بن يوسف الفاسي . « وكان ذا وجه حسن ، وذلاقة لسان ، حسن الشارة ، بارع الفهم والعبارة ، موصوفا بالرجولة والمروءة الفائقة » (*) وتوجه محمد الحاج الى البقاع المقدسة عام 1041/1631 ـ 1632 في موكب حافل ضم كثيرا من رجال العلم والفضل والدين ، من جهات مختلفة حتى من بلاد توات . ولقي في رحلته الحجازية كثيرا من مظاهر العناية والتقدير ، فخطب الناس في عرفات ، ودرس بالمدينة المنورة ، وقدم فيها خطيبا واماما ، ولدى مروره بالقاهرة خرج للقائه الامام احمد المقري ، فاقام عنده وعند شيخ المالكية بمصر علي الاجهوري مدة كان محمد الحاج خلالها يعقد مجالس علمية بالجامع الازهر ويلقي دروسا في التفسير والحديث وغيرهما .

وبدت كفاءة محمد الحاج السياسية والحربية في حياة والده الذي كان يعتمد عليه في المهمات . ويرسله على رأس جيش الدلاء الى ما وراء نهر ملوية والى بلاد الغرب فيرجع ظافرا منصورا . وقد انفرد ابو القاسم الزياني ـ فيما اعلم ـ بذكر اخبار غريبة عن نشأة محمد الحاج ، زعم نقلها عن الشيخ اليوسي فقال عن امير الدلاء : « انه كان في ابتداء امره طالبا صعلوكا مملقا ، طرده والده لاشتغاله بما لا يعنيه ومصاحبته للبطالين ، فكان يأوي الى كهف في جبل يدلا اوقد فيه النار ذات ليلة فرأى اثر باب داخله فنقبه واستخرج منه سبعة قماقم نحاسية في كل منها عشرة آلاف دينار مريني » فأصلح حاله وواسى اقاربه واصحابه . وولع بركوب الخيل ، واشترك الاقارب والاقران ، فلم تكمل عليه السنة الى ان كان يركب في مائة من الخيل من الاولياء والمصطنعين . واشتغل بتقويم الاتباع من قبيلة مجاط وغيرهم من صنهاجة آيت اومالو (*) ، وصار يشن الغارات عن من بسنوية وتادلا من العرب فعلا مبتة » (*) .

واخبار الصعلكة والبطالة والاملاق تناقض ما اجمع عليه المؤرخون واصحاب التراجم من حسن تربية ابناء الشيخ محمد ابن ابي بكر الدلائي جميعا ، وتنافي وتأثير البيئة الصالحة في نفوس الناشئين فيها ، خصوصا ونحن نعرف ما اوتي الدلائيون من بسطة في المال والعلم والصلاح . وكتب اليوسي بين ايدينا لم نعثر فيما قرأناه منها على هذه الاساطير ، بل بالعكس من ذلك نجد اليوسي في المحاضرات يخصص فصلا طويلا في نحو 18 صفحة يروي فيه مباشرة عن محمد الحاج كثيرا من الاخبار العلمية والادبية ويتحدث عنه بكامل الاجلال والتقدير .

نزوع محمد الحاج الى الحكم

بمجرد وفاة الشيخ محمد بن ابي بكر الدلائي عام 1046/1636 ظهر نزوع محمد الحاج الى الاستقلال بالامر ، وبدأت اعناق مختلف القبائل تشرئب اليه ، واحمال اعشارهم وزكواتهم تحمل لديه ، فامتلأت رحاب الدلاء بالوفود وتضاعف فيها عدد الاتباع والجنود ، ورأى ملك مراكش محمد الشيخ السعدي في ذلك الاداة الفعالة للقضاء الحتمي على ما بقي له من نفوذ ، فعمل على تدراك الامر بالحكمة ، وسلك نحو هذا الرئيس الطموح سبيل المجاملة واللين . فسارع في بادىء الامر الى بناء ضريح الشيخ محمد بن ابي بكر الدلائي ، وشيد عليه قبة انيقة بعث لاقامتها الصناع والادوات اللازمة من مراكش ، وانفق عليها بسخاء . وبعد ذلك بعث ملك مراكش قاضيه الشيخ محمد المزواري الى الدلاء ، ليستميل اليه محمد الحاج ويحضه على الطاعة والبيعة . ولكن نصائح القاضي ومواعظه ذهبت

(*) ابو القاسم الزياني ، الترجمان المعرب ، ص 362 . ويجعل مؤرخون آخرون ولادة محمد الحاج عام 1000/1591ـ1592

(*) سليمان الحوات ، « البدور الضاوية » ، ورقة 109 / ب

(*) آيت أومالو ومعناها بنو الظل هم سكان شمال الاطلس . يقابلهم آيت آسار (بتشديد الميم) اي بنو الشمس وهم سكان جنوب الاطلس .

(*) ابو القاسم الزياني ، « البستان » ، ورقة 5 / 1 .

ادراج الرياح ، فمحمد الحاج كان مصمما على ان يقبض على زمام الحكم في المغرب ، بعد ان تأكد من اضمحلال نفوذ السعديين واستبداد الثوار عليهم في كل مكان . ويذكر المؤرخون ان محمد الحاج اعتذر لقاضي مراكش بمسائل لم يفصحوا عنها ، ولعله افهم مخاطبه بان عجز السعديين في ذلك الحين عن القيام بمهمتهم ، افقدهم اهم اركان الخلافة الذي هو الكفاءة . فلم تعد لهم عصبية قبلية ، ولا سلطة روحية مستمدة من نسبتهم القرشية فغدا بذلك جلوسهم على العرش غير ذي موضوع . اذ ليس من المعقول ان تشتعل نيران الفتنة في ارجاء البلاد وتأتي على الاخضر واليابس ، وينعدم الامن ويختل النظام ، في الوقت الذي يوجد ملك صوري قابع في قصره لا يحرك ساكنا وكأن الامر لا يعنيه !

وبالرغم من فشل القاضي لم ييأس محمد الشيخ ، وكتب رسالة مطولة الى محمد الحاج وعشيرته ، حاول فيها ان يكون لبقا يجمع بين الوعد والوعيد ، ويسلك سبيل اللين والتهديد ، ولكن قلم الكاتب جمح فأسهب في اختلاق المعايب والنقائص للدلائيين ، مما يتنافى وما يتطلبه الموقف من اجتلاب قلوبهم والتودد اليهم . وقد جاء في هذه الرسالة : « ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن شمار عموم البرابر ، واقعدكم في القباب على الاسرة وفي بيوت الله على الكراسي والمنابر . تويثم علينا معشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعبة ، لتكون عزيمة نهوضنا اليكم معطلة صعبة ، وان لا ندري اين تميل النفوس ، الناسك الصحاري ام الى ايليغ السوس . وهذا المغرب لا يخلو ملآن من نواميس كل كاهن ومدع قرقار (✱) تمسي فيه البومة خاملة وتصبح بالمخلب والمنقار » (✱) واقترح محمد الشيخ في آخر هذه الرسالة على الدلائيين ان يتنازل لهم عن قسط من الجبايات، يكفي شؤون الزاوية واهلها ، مقابل ان يعترفوا بسلطته ويكفوا ايديهم عما عدا ذلك ... فقال « وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل من اطاع او عصى ، من وجدة الى حدود السوس الاقصى ، فنزهد لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية واهلها ، بشرط ان تفيقوا من سنة الغفلة وجهلها ، وان امسكتم اقدام الانقياد عن سلوك سبيل السداد وقبول سوله ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله » (✱) وقد اجاب محمد الحاج عن هذه الرسالة باخرى بليغة من انشاء اخيه محمد المسناوي ، ظهر فيها استنكاف الدلائيين مما لزهم به محمد الشيخ من النقائص واعتذروا عن عدم تجديد البيعة بامرين ، اولهما ان قبائل البربر لم تعد تعترف بسلطة السعديين ، فلو بايعهم الدلائيون لانفض البربر من حولهم ونزحوا عن ساحتهم . وثانيهما قيام محمد بن الشريف في الصحراء وتقويه ببرابرة صنهاجة وعرب دخيسة وتشوفه لامتلاك المناطق الخاضعة للدلائيين على ضفاف نهر ملوية ورباط تازا . وبعد ان ذكر الدلائيون ما هم عليه من المنعة وشدة البأس قالوا « وحتى الآن ان قصدتم الغرب او حصن فاس ، فلا تنالكم من جانبنا مساءة ولا بأس ، فبعد ان يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة والقديمة (✱) قرار ، يكون لنا بعد ذلك حكم الاختيار ، بين ان نومن لك او نترك لك الديار ، او نستصرخ بمن هو مثلك شريف حقيقي وسلطان، له شفف اكثر منك في ضبط الاوطان ، وان قنعت بحوز الحمراء من مراكش ، ورفضت عنك معاناة الهراش والتناوش ، فدعنا ومراعاة من تجارته الرئاسة ، وهمته اشراء نفيس السياسة ، ضرغام غاب سجلماسة » (✱) . والرسالتان خاليتان من التاريخ، وقدر الناصري في الاستقصاء (✱) انهما تبودلتا خلال عام 1046 (1636 ــ 1637) والظاهر انهما كانتا في اواخر عام 1047 او في اوائل 1638/1048 لانهما تتحدثان عن الضريح الذي شيده السعديون للشيخ محمد بن ابي بكر الدلائي المتوفى شتاء عام 1636/1046 . وتعذر المواصلة في هذا الفصل ان لم تقل تنقطع بين مراكش والمنطقة الجبلية التي تقع فيها الزاوية الدلائية . وبذلك فان العمل في بناء الضريح لم يبتدىء الا في اواخر ذلك العام او مطلع العام الذي يليه . ولا يمكن عادة نقل المواد اللازمة للبناء من مراكش الى الدلاء ، وتشييد القبة وزخرفتها في اقل من سنة ، اضف الى ذلك فترة سفارة القاضي المزوار وعلى اي حال فان الرسالتين السابقتين كانتا آخر محاولة للتفاهم السلمي بين السعديين والدلائيين ، وسيتقابل الفريقان في معركة حاسمة على ضفاف وادي العبيد ليقرروا المصير النهائي لعلاقاتهما .

تأسيس مدينة الدلاء

عرفت الزاوية الدلائية القديمة في هذه الفترة تطورا كبيرا ، فتضخم عدد سكانها حتى ضاقت بهم الابنية والاخصاص، وامتلأت السبل المؤدية اليها على وعورتها بالواردين والصادرين . ورأى محمد الحاج ان يؤسس مدينة جديدة واسعة في منبسط من الارض يسهل الوصول اليه . فارتاد لعاصمة امارته المكان الذي توجد فيه اليوم زاوية آيت اسحق في سفح الاطلس المتوسط على الطريق الرابطة بين خنيفرة وقصبة

✱) القرقار : الذي يهدر كالجمل .
✱) احمد الناصري ، « الاستقصاء » ، 6 : 99 .
✱) نفس المصدر ، ص 100 .
✱) المراد بالمدينة البيضاء الجديدة، فاس الجديد ، وبالقديمة فاس الادريسية .
✱) الناصري ، « الاستقصا » ، ج 6 ، ص 102 .
✱) ج 6 ، ص 97 .

تادلا (*) وفي ذلك يقول محمد بن الطيب القادري : « وفي عام 1048 ــ 1638 شرع امير المؤمنين السلطان سيدي محمد الحاج الدلائي في بناء قصبة الدلاء في منتصف يوم الاحد سادس وعشري ربيع الاول من العام ، وانتظر لذلك طالع سعيد » (*) وقد اخذت هذه المدينة الجديدة اسماء كثيرة ، فبعض المؤرخين دعاها قصبة الدلاء ، وبعضهم سماها مدينة الدلاء او مدينة ازغار او زاوية محمد الحاج ، والى ذلك كان يطلق عليها اسم الزاوية الدلائية او الزاوية البكرية ، لانتقال الدلائيين الى السكنى بها وهجرة العلماء والطلبة اليها ، حتى ان الزاوية الدلائية القديمة في عهد محمد الحاج لم تعد سوى قرية ثانوية يسكنها الفقراء والعجزة ويدفن فيها موتى الاسرة الدلائية كما سبق . واتخذ محمد الحاج لنفسه قصرا وديوانا عظيمين في وسط المدينة الجديدة كان يحيط بهما سور داخلي ما يزال بعضه ماثلا للعيان حتى اليوم . واسكن معه في العاصمة خمس قبائل بربرية من اكثر سكان الاطلس المتوسط عصبية وحمية ، وهي مجاط ، وآيت يمور ، وآيت تضير (بني مطير) ، وكروان ، وآيت اسحاق . فاستكمل الدلائيون بذلك مظاهر الابهة والسلطان ، وتكونت لديهم اهم قوة حربية بالبلاد سيصول محمد الحاج بها ويجول ، ويمتلك اهم اقاليم المغرب مدة تنيف عن ثلث قرن .

ولما استتب الامر لمحمد الحاج ، وقضى على خصومه ومنافسيه ، ودان له وسط المغرب وغربه وشماله ، وكثر جنده وانصاره ، اخذ يفكر في اضفاء صبغة شرعية على موقفه ويعمل على تنصيب نفسه ملكا على البلاد لا سيما وقد كان تدهور السعديين في مراكش بلغ غايته ، واصبح من السهل التخلص من القائمين في الجنوب . فطالب الناس ببيعته والتزام طاعته ، وذلك في اوائل عام 1651/1061 . « فقام اهل المغرب بدعوة سيدي محمد الحاج واذعنوا لطاعته واوامره ، وجاءته البيعات من البلدان المغربية ، وبايعه اهل فاس الادريسية والعليا بالخلافة ، وكتبوا له البيعة بجامع القرويين ، وحضرها من هو اهل لذلك من الاعيان ، والجم الغفير من اهل الديوان ، في مهل ربيع الثاني عام 1061 وقدموا عليه بها للزاوية الدلائية فقرئت على منبر مسجدها ، ووضعت في صندوق مع غيرها من بيعات اهل نواحي المغرب في خزانة كتب الجامع المذكور . . » (*) .

أعمال محمد الحاج الحربية

أ) الحملتان الدلائيتان الاوليان :

قضى محمد الحاج الدلائي السنتين الاوليين في اعداد العدة وتنظيم الجيش ، وتأسيس العاصمة وترتيب القبائل ، ولم يتحرك جنده الا في عام 1638/1048 ، فقام في هذه السنة بحملتين كبيرتين ، على ضفاف نهر وادي العبيد وفي بسائط بلاد سائس . وقد ترأس محمد الحاج بنفسه الحملة الاولى ، عندما بلغه خبر تحرك جيش محمد السعدي من مراكش في اتجاه الدلاء . والتقى الجمعان على ضفة وادي العبيد ببلاد تادلا ، في المكان المعروف بابي عقبة على بعد نحو 12 كلم من المركز الحالي لدار ولد زيدوح . وجرت معركة حامية الوطيس اسفرت عن انهزام محمد الشيخ السعدي ورجوع جيشه مفلولا الى مراكش . وانقطع بذلك نظر السعديين نهائيا عما شمله نفوذ الدلائيين من البلاد .

وكان سبب الحملة الدلائية الثانية هو استنجاد المجاهد العياشي بمحمد الحاج ، ليساعده في القضاء على فتنة الحياينة (*) وشراكة الذين قويت شوكتهم ، وامسوا يغيرون على الفاسيين ويسلبونهم اموالهم وامتعتهم ، ويختطفون اولادهم ونساءهم . وقد توجه وفد من علماء فاس واعيانها الى المجاهد العياشي بسلا (*) ، ورجوا منه ان يخلصهم من بلاء القبيلتين المجاورتين . فألحالهم العياشي على محمد الحاج ، وبعث معهم بخطاب يشرح له الحال ويرجو منه الاغاثة والنجدة . فلبى امير الدلاء نداء الواجب ، وارسل الى العياشي جيشا قويا من البربر تحت امرة احد قواده المسمى شعشوع . ويمكننا ان ندرك مدى اهمية هذا الجيش اذا عرفنا ان المجاهد العياشي استطاع به ان يقضي نهائيا على القبيلتين المتمردتين ويلاحق فلولهما في قنن الجبال ، ويفرق بقاياهما في القبائل لتنحل عصبيتهما ، ويأمن الناس شرهما ، وطالما عالج العياشي امر الحياينة وشراكة قبل ذلك فلم يحصل على طائل .

ب) مهاجمة المجاهد العياشي :

لم تطل مدة الصفاء بين الدلائيين والعياشي بعد ذلك ، اذ كان نظر محمد الحاج متجها نحو الغرب ، بعد ان تركزت قدماه في ملوية العليا وبسائط تادلا وما والاهما من البلاد . وكان لا بد له اذا اراد تحقيق مطامحه من ان يتخلص من العياشي صاحب النفوذ في الثغور . ولا نظن حادثة الاندلسيين الا تعلة اتخذها محمد الحاج لتبرير موقفه العدائي من مجاهد

(*) تبعد مدينة محمد الحاج المعروفة اليوم بزاوية آيت اسحاق عن خنيفرة بـ 35 كلم ، وعن قصبة تادلا بـ 64 كلم .

(*) محمد القادري ، « نشر المثاني الكبير » ، ورقة 1/92 .

(*) سليمان الحوات ، « البدور الضاوية » ، ورقة 111/ب .
وذكر خبر قيام اهل المغرب بدعوى محمد الحاج في التاريخ المذكور ايضا محمد القادري في « نشر المثاني ، ص 196

(*) الحياينة : قبيلة عربية في شمال شرق فاس ، مستقرة بين نهري سبو وورغة ، تشتمل على ثلاث عمائر كبيرة وعشائر كثيرة ــ (هامش العز والصولة ، ص 17 .

(*) اشار الى هذه الزيارة التي قام بها وفد علماء فاس للمجاهد العياشي بسلا محمد بن احمد ميارة في مقدمة « شرحه للمرشد المعين » ، 1 : وكان ذلك في اواسط ذي الحجة عام 1638/1047 .

سلا ، وفرصة احتيالها للقضاء على منافسه من اجل التوسع وبسط النفوذ . وقد اتهم العياشي الاندلسيين المقيمين على الضفة اليسرى لنهر ابي رقراق بموالاة الاسبانيين على المجاهدين ، واستفتى العلماء بجواز قتالهم ، فحاصرهم وضيق عليهم الخناق الى ان تمكن من مدينة الرباط ، وبقيت القصبة تقاوم الحصار مدة طويلة ، اذ كانت حاميتها تتألف من الموريسكيين وجنود الملك السعدي صاحب مراكش ، يمد ازرهم الاسبانيون . ومما يؤكد الاتهامات الموجهة ضد الاندلسيين ما ورد في رسالة بعث بها دوراستان « DE RASTIN » القائم باعمال قنصلية فرنسا في سلا الى رئيس الوزراء ريشوليو « RICHELIEU » بتاريخ 16 يوليوز 1630 يخبره بان سلا الجديدة (الرباط) قد سقطت في يد العياشي ، وان الحصار قائم حول القصبة التي تمون بواسطة الاسبانيين (✱) .

وقد اهدر العياشي دماء الاندلسيين في الرباط والقصبة واباح اموالهم ، وفرت طائفة منهم الى الدلاء فأجارهم محمد الحاج وشفع لهم عند العياشي فلم يقبل هذا الاخير الشفاعة فيهم، وابى الا ان يستأصل شأفتهم . فكان رد محمد الحاج ان زحف بجنده على منطقة نفوذ العياشي ، في اوائل عام 1640/1050 وملك مدينة مكناس ، ثم اتجه الى فاس فاعترض العياشي طريقه ، ووقعت الحرب بين الصديقين القديمين ، واقتتل الجيشان المتحالفان الى عهد قريب . وكان النصر في البداية حليف محمد الحاج ، فتقدم الى فاس وحاصرها مدة ، ثم كر عليه العياشي في مجموع وفيرة من رجال الغرب فانهزم الدلائيون لاول مرة ورفع الحصار عن المدينة . وعرف محمد الحاج انه لا يستطيع القضاء على خصمه ما دام في عزة ومنعة بين قومه وانصاره من قبائل الغرب ، فرأى ان يبحث عن منافسي العياشي من بين رؤساء هذه القبائل ، وفي مقدمتهم الناجي والدخيسي ، فحالفهم وجذب بواسطتهم الى جانبه طائفة مهمة من الاعراب . واغتنم محمد الحاج فرصة تغيب العياشي في بلاد الفحص لقتال الاسبانيين في طنجة ، فحشد جموع العرب والبربر شمال نهر سبو ، وترصد وهو على اتم اهبة واكمل استعداد عودة خصمه من الجهاد . وفوجئ العياشي بهذا الجيش الجرار الذي اعترض طريقه ، ورأى الا قبل له به ، فجنح الى السلم والهادنة لكن المجاهدين الذين كانوا معه ابوا الا الدفاع عن انفسهم ومواجهة خصومهم ، فوقعت المعركة الثالثة بين العياشي والدلائيين في ضواحي سوق اربعاء الغرب اواخر عام 6141/1050 وكان من الطبيعي الا يصمد المجاهدون الذين انهكتهم الاغارات على الاسبانيين ، خصوصا وهم قلة امام هذه الحشود المستريحة . وقتل فرس العياشي تحته في المعركة فلجأ الى قبيلة الخلط (✱) وهو لا يعلم انها انحرفت عنه فيمن انحرف من الاعراب . فلم يستقر به المقام عندهم حتى اغتالوه في عين القصب التي تبعد عن مركز سوق اربعاء الغرب بنحو 20 كلم غربا ، واحتزوا رأسه وبعثوا به الى خصومه ، وذلك في 9 محرم عام 21/1051 ابريل 1641 . وبموت العياشي وتفرق انصاره خلا الجو للدلائيين وتساقطت في ايديهم المدن والاقاليم تباعا . فملكوا فاسا بعد حصار دام ستة شهور ، ثم استولوا على سلا وتطوان وسائر بلاد الغرب . وقد عدد ابو القاسم الزياني المدن والقبائل التي شملها نفوذ محمد الحاج فقال : « استولى الرئيس محمد الحاج بن الشيخ سيدي محمد بن ابي بكر الدلائي على وادي ملوية كيف جرى ، والريف ، وقبائل صنهاجة (✱) والاخماس وغمارة (✱) وتطوان ، وقصر مصمودة (✱) والبصرة (✱) وقصر كتامة(✱) وقبائلهم ، وبلاد ورغة (✱) وتازة ، ومكناسة الزيتون ، وبني يازغة (✱) وقبائلها من الجبال » (✱) .

وحاول عبد الله العياشي (✱) ان يثأر لوالده المجاهد القتيل فحشر لذلك انصاره من قبائل الغرب ، ولقي جيش الدلائيين بقيادة محمد الحاج على ضفاف واد الطين بالقرب من مركز احد كورت الحالي ، في اوائل ربيع الاول عام 1643/1053 وجرى بين الفريقين قتال شديد كان التفوق فيه للدلائيين وطارد محمد الحاج انصار العياشي في مساكنهم ، وجاس خلال ديارهم، فعمت الفتنة قبائل الغرب وفشا فيهم القتل والنهب .

الرباط : محمد حجي

✱) دو كاستري ، «مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب» ، وثائق فرنسا ، السلسلة الاولى 3 584 .
✱) الخلط قبيلة عربية مساكنها بين سوق اربعاء الغرب وعرباوة .
✱) يراد بقبائل صنهاجة ما يعرف اليوم بآيت اومالو في الاطلس المتوسط، وتشمل زيان واشقرن وآيت شخمان بني مكيلد
✱) الاخماس وغمارة من جملة قبائل جبالة . وديارهم في ضواحي مدينتي شفشاون وتطوان .
✱) قصر مصمودة ويقال له ايضا قصر المجاز والقصر الصغير يقع بين طنجة وسبتة .
✱) تقع البصرة بين عرباوة ووزان . وهي الآن خراب .
✱) قصر كتامة ويقال له ايضا قصر عبد الكريم هو مدينة القصر الكبير الشهيرة جنوب العرائش .
✱) نهر ورغة احد روافد وادي سبو ، يقع شمالي فاس وتقطن حوله قبائل جبالة .
✱) بني يازغة تابعة لدائرة صفرو ومن اشهر قراها المنزل .
✱) ابو القاسم الزياني ، « رسالة البلدين » ، ص 479 .
✱) عبد الله بن محمد العياشي عالم اديب وبطل مغوار اثنى عليه الشيخ محمد ميارة في مقدمة شرحه للمرشد المعين (1 : 3) وحلاه بالقاب علمية عالية . كان عبد الله العضد الايمن لوالده في الحركات الجهادية ورسوله الى الدلائيين وغيرهم . توفي عام 1663/1073 ودفن على ساحل المحيط الاطلنطقي بالقرب من مولاي بوسلهام .

صيانة الوثائق وأهميتها في التاريخ

للأستاذ : محمد كليطو

لقد كان بودي ان اتابع البحث الذي نشر جزء منه بالعدد التاسع من مجلة دعوة الحق (الحلقة الثالثة) لاعطاء بيان كاف بقصد تنوير الفكر العام المغربي على ضوء ما شاهدته عن الوثائق وصيانتها والاعتناء بالمحافظة عليها في فرنسا رغم ان المطابع غزتها وجردت منها الشيء الكثير وتركتها كما يترك الخريف الاشجار مجردة من الاوراق فانها لا زالت تكتسي صبغتها التاريخية العريقة وتحتفظ بطابعها الاثري ، فضلا عما يوليها ذوو الفكر من عناية .

وفي هذا الفصل ارتأيت ان اطوي المراحل التي مر منها التاريخ العام للوثائق تاركا ذلك الى فرصة اخرى ، وان اتطرق رأسا الى حديث الوثائق بالمغرب ، ولكم يطيب لي ان انال رضى من يهمهم هذا البحث ويقدرون اهمية الدور التاريخي الذي تؤديه الوثائق ، وبحثي هذا ليس الا مساهمة من جانبي للحرص على هذا الكنز الذي نضمن بواسطته الاحتفاظ على معالم التاريخ المغربي العريق ، ومتى حققنا هذه الامنية واقتدينا بالامم التي صانت تراثها فاننا سنحتل بذلك مكانا مرموقا بين صفوفها خصوصا وان وثائقنا لها اهمية عظمى من الناحية التاريخية اذ يعلق عليها المؤرخون املا كبيرا ، ومتى استطاعت يد العناية ان تمتد اليها لانقاذها من هذا الاهمال المزري فان وجه التاريخ المغربي سيتغير رأسا على عقب ، وبدون هذه الوثائق لا يمكن لاي باحث بالطبع ان يلم بالحقائق التاريخية مهما كانت درايته، ومهما كان عمق معرفته في التاريخ والرجوع الى تلك المصادر التي وضعها الاجانب بايحاء من نزعتهم الاستعمارية قد لا تفيد الباحث في شيء وانما تسود الصفحة الناصعة البياض للتاريخ المغربي ، ومع شديد الاسف فان تاريخنا في العالم الحاضر لا تشكله الا هذه المصادر الاجنبية ذات اللون الاستعماري .

وقد يسأل سائل ما سر الاهمال الذي وصفت به وثائقنا وما سببه ؟

الجواب : هو ان الاهتمام بالوثائق يكاد يكون شيئا غير ذي وزن بالنسبة للطبقات المفكرة لدينا بل هو لديها نوع من الانواع التي لا توليها ادنى شيء من الاهتمام ، وهذه الروح ناتجة عن تلك البذور التي غرسها الاستعمار في كل قطر كان يحتله حينما يبذل اقصى الجهود في تحطيم كل الوثائق قصد طمس الملامح لاعتقاده انه يقطع الصلة للامة بتراثها لان الوثائق هي المصدر الوحيد الذي تستمد منه الامم عزتها وكرامتها ، وكان الاستعمار يحاول كعادته ان يعلل ذلك بانه يحرص على ان لا يحشر انفه في المقدسات الدينية وتراث الاجداد .

والجدير بالقول اننا الآن قد اخذنا نشق الطريق الذي يؤدي بنا الى التفكير في الاعتناء بالوثائق وجمع شتاتها . وهنا اوجه سؤالي الى وزارة التربية الوطنية التي هي من اختصاصاتها هذا العمل : فلماذا تفكر حتى الآن في انشاء مشروع يحفظ هذا التراث من الضياع ويسعى في تنظيمه من الناحية الادارية والفنية معا ؟ فهل تعتبر نفسها هي المسؤولة او تنتظر من غيرها ان يقوم بهذه المهمة ؟

وانه لا يليق ببقاء هذه الذخائر تحت يد من لا يقدر لها اهمية (فيصونها ويحجبها عن العيون) بينما هي تعد منبعا من منابع العلم والعرفان وفي ابرازها تتمخض منها حركة فكرية في جميع الاوساط الثقافية والادبية ، وعلينا بالمبادرة اليها لان كل كاتب وباحث يتوقف على هذه الوثائق ، والطلبة يبحثون عنها بكل لهفة لكنهم تعوقهم عراقيل للوصول اليها وتذهب مساعيهم ادراج الرياح حتى ان الاضطرار يفرض عليهم ان يرجعوا الى المصادر الاجنبية فيجدون الحلقة المفقودة من تاريخ المغرب والتي تتنافى مع الواقع ويستندون عليها ثم يلفقوها من جديد باقلامهم وتصبح مصدرا موثوقا به عند الغربي ويذيعونه بصورة ابشع على لسان اهل الدار الذين هم اعرف بأحوالها من غيرهم . ويكرر كل باحث عربي سؤاله : الى متى سيقع

الشروع في جمع الوثائق المغربية وتنظيمها كما هو الشأن في جميع انحاء العالم ؟ ايليق بنا ان نتركها نسيا منسيا !! بينما غيرنا قد صانها منذ عصور غابرة ولا زال يحتفظ بها الى حد الآن وفي ضمن هؤلاء الدول العربية الشقيقة فانها تحتفظ بدورها الشيء الكثير بالرغم من النكبات التي وقعت لها عند ما غزا هولاكو التتاري الشرق الاوسط ... والمغرب ايضا قد حفظ بدوره في الماضي على تراثه بعد انهيار الفردوس المفقود لكون الحروب المتوالية بعد هذه النكبة التي شنها البرتغال والاسبان وغيرهما على الوطن من العصر الوطاسي حالت بينه وبين هذا النظام ولولا هذه النكبات لكان تراثنا العربي والاسلامي يفوق كل دولة غربية في العالم .

والتاريخ يدلي ببيان في جميع مراحل العصور بان الامم التي تقدمت بحضارة كانت تعتني بالمحافظة على انتاجها الادبي والسياسي والاقتصادي ، فتتركه لغيرها تستفيد منه ، والاجيال المقبلة تستطيع ان تتحكم فيه ثم تقتطف منه ثمرات لتخرج من بدوره انتاجا خالصا من كل فن وعلم .

ونحن ابناء المغرب كلنا نعلم ان لمغربنا تاريخا حافلا بحضارة عريقة ومجد تلوثه البطولة والجاه ، والمؤرخين في مسيس الحاجة لحدوث حلقة ربط اتصال بين الماضي العتيق والحاضر الزاهر في عصر جلالة الملك الحسن الثاني .

لكن تحقيق مشروع مثل هذا لا تنجزه سوى وزارة التربية الوطنية ، وفي قيامها بهذا العمل الذي هو جزء من مسؤوليتها فانها ولا شك ستحقق ما فعلته الامم ، ومتى كنا لا نفكر في ذلك ولا نعيره اي اهتمام فان هذه الكنوز ستكون مهددة بالخطر .

وليس يخاف على اي شخص ان بالمغرب خزائن لا زالت في طي الاهمال ووثائق لا تعد ولا تحصى لم يمط عنها القناع الى حد الآن ومن يملكها من الخاصة لا يقدر لها قيمة ويفضل بقاءها عنده ولو كانت على حالة مزرية بدلا من ان يسلمها لمن يعنيه امرها ومسؤول عن محافظتها .

والاوراق الجامدة تستغيث وترقب في لهفة يدا شفيقة حنون تمتد اليها لتنقذها من الاخطار التي تهددها ، والرطوبة التي تهشم كيانها وتراكم بعضها على بعض وتخنق انفاسها الى الابد ، وتطوح بها الى الفناء والعدم .

وتاريخ المغرب يئن وليس له منقذ سوى احياء هذا التراث وبروزه الى الوجود لان الاطوار التي اجتازها الوطن اثناء فترة الحماية قد تجعل منا ان ننتفض ونسخر في حزم قوي ارادة صلبة لطاقتنا العقلية والبدنية فنمحو تلك الوصمة التي لطخنا بها الاستعمار حينما عكس الحقائق الجوهرية وشوه وجه المغرب الناصع بالاناقة والعزة والمجد .

اذا ، فعلى كل مواطن من حكومة وشعب ان يواجه هذه الحقيقة المرة التي هي واضحة كل الوضوح ويعتبر ان الواجب ينتظره ويتطلب بذل الجهود الجبارة ومديد المساعدة الى الحكومة والامة معا ويسلم ما عنده من وثائق الى الدوائر المسؤولة (وزارة التربية الوطنية) تلك الوثائق التي ورثها عن آبائه واجداده والتي نعتبرها انها كانت عند اسرته تلك المدة بمثابة وديعة تجب صيانتها وقد حان الوقت بردها الى الحكومة لتنظمها له ولغيره ويستطيع كل مواطن ان يستفيد منها ويرد على كل من طعن في تاريخ المغرب .

ونود من وزارة التربية الوطنية ان تقدم بدورها ، فتبحث عن هذه الكنوز التي تطويها جدران البيوت الكئيبة ، فانها تشكو عبث الايادي التي تتقاذف بها من مكان الى آخر وتعلق املها لتنجو من اهمال الدهر الغادر فتبعث من جديد ، واذا استجابت الوزارة لهذا النداء فانها ستحقق بذلك املا عظيما طالما كنا نصبو اليه .

وانه لا يليق بنا في عهد الاستقلال ان نترك هذا الكنز الدفين تفتك به الارض فتكا ذريعا وترعب بمعالمه ، او تلتهمه النيران ويبقى تاريخ المغرب المتسرى عليه على ما كان عليه .

لكننا اذا سعينا في انقاذه ، فانه ستنبثق من وراء ذلك حركة مباركة تخول النشاط لكل من اراد الغمار فيه ويبزغ الى الوجود كل ما كان مجهولا من ادب وتاريخ ، تلك هي الوسيلة الوحيدة التي يمكننا ان نبطل بها ذلك التاريخ المصطنع والمزيف والذي يقصد منه الاستعمار تحطيم معنوية الامة وتشويه وجه الحضارة كتمهيد وتضليل لابقاء الامة تحت سيطرته ، وان جل المصادر التي كانت بين يد كل مروج من كتاب الدعاية المغرضة فانها قد وضعتها مكاتب الاستعلامات بالسفارة الاجنبية ، وكان القصد منها القضاء على الدولة والامة ، ومع شديد الاسف فقد استطاع ابالس السياسة بافترائهم ان يجدوا لتلك الدعاية آذانا صاغية في الوقت الذي كان يلعب فيه عملاء الاستعمار دورا هاما يعزز هذا السلوك الشاذ مقابل وعودا او بعض فضلات يجود عليهم المستعمر بها .

وختاما فاننا نامل من وزارة التربية الوطنية ان تفكر جديا في هذه القضية وان لا يغرب عن بالها ان هذا المشروع قد لا يتطلب قسطا كبيرا يعجز كاهل الميزانية ، وان انجازه لا يكلفها اكثر من اختيار عناصر يتصفون بارادة قوية ودراية واسعة في التاريخ ، والمام بنظام الترتيب وفي استطاعتها تحقيق هذا كله دون اي تكليف او عناء مادي .

ومتى خامرت فكرة الشروع في التطبيق فلا يسعنا الا ان نقول بانه يوجد بالخزانة العامة مستودع ضخم مجهز بطراز عصري كاف لضم جميع ما هو موجود الآن من الوثائق التي هي بين جدران المؤسسات والمصالح الادارية والبيوت الخاصة .

ومن هنا يمكننا ان نعترف بصراحة القول بانه لم يبق لنا اي عذر نتذرع به ، وليس امامنا سوى التصدي للعمل وجمع ما تبقى من شتات الوثائق وبذلك سيتسنى لنا خلق مصادر تنطق بالحقائق ويتلاشى ذلك التزييف الذي شوه به المغرضون صفحة تاريخنا ، وفي انتظار تحقيق المنجزات فعلى الاستاذ الحبابي عميد كلية الآداب ان يفكر في حبك منهج ببرامج الكلية لتكوين اطر في هذا الميدان واننا على يقين من ان الثمرات ستصبح دانية القطوف بمجرد تنفيذ هذا العمل المشترك ويسلط ضوء ناصع على الميدان الثقافي والتاريخي عبر العصور التي مر منها تاريخ المغرب ، وسندرك ما خفي عنا من تراث ماضينا وتراجم اعلامنا ويعرف الخاص والعام مدى اهمية الوثيقة ونتيجتها بالنسبة للدولة والشعب ، ووزارة التربية الوطنية مفروض عليها قبل كل شيء تكوين اطارات في هذا المضمار لتسيير مصلحة الوثائق في المستقبل .

محمد كليطو

لذة الكتب

ما تطعمت لذة العيش حتى — صرت للبيت ، والكتاب جليسا

ليس شيء أعز عندي من العلم ، فما ابتغي سواه انيسا

انما الذل في مخالطة النا — س ، فدعهم وعش عزيزا رئيسا

عبد القاهر الجرجاني



- 2 -

يوسف بن عبد المومـــن

لم يكن يوسف بن عبد المومن خليفة عاديا في تاريخ الموحدين ولكنه كان من ابطال التاريخ الذين لن ينساهم ولن يغفل عن ذكرهم مدى الوجود .

فهو خليفة اهتم بالجانب الحربي من جهة وبالجانب العلمي والحضاري من جهة اخرى بحيث لا يمكن للذين يتحدثون عن المغرب العربي والاندلس ان يغفلوا ذكره كما لا يمكن للذين يؤرخون للتطورات الثقافية والعلمية ان ينسوا الادوار الرئيسية التي قام بها في تشجيع العلم النظري والتجريبي وفي تقدير العلماء .

فقد جمع بين يديه اشهر الاطباء والفلاسفة وقربهم اليه واجرى عليهم الارزاق الواسعة وجعلهم كتابه وقضاته ووزراءه والمحافظين على خزائن كتبه وخزائن امواله كما جعل منهم سمراءه وندماءه يناقشهم في الاحاديث ويحضهم على التاليف ويشجعهم على الاهتمام بالبحث ويكفيه فخرا تقريبه لابي بكر ابن طفيل ولابن رشد .

اما الاول فهو الذي الف رسالة ((حي بن يقظان)) تلك الرسالة التي حاول بها ان يبرز اثر الفكر المجرد في توجيه الانسان الى الحقيقة .

واما الثاني فهو الذي ترجم فلسفة ارسطو وتتبع آثارها في كتب الفلسفة العامة وفهمها فهما محكما ثم لخصها في كتاب جمع فيه بين اصولها وتأويلها .

لقد كان ابن طفيل الواسطة في اتصال الخليفة بابن رشد وكانت عادته ان يقدم الى الملك من حين لاخر بعض اساطين الفكر ونبغاء الحكمة .

وكان ابو يعقوب يعتز بابن طفيل كثيرا ويقدر مواهبه ويعرف كفايته العلمية لذلك جعله وزيره المحترم وطبيبه الخاص **فقد كان ابن طفيل من اهل الحذق بصناعة الطب والنظر في الجراحات (*)**

ونحن اذا تتبعنا تاريخ الادب والحضارة نجد ان ابا يعقوب يوسف بن عبد المومن كان شبيها بالمامون العباسي في الشرق وبالحكم المستنصر في الاندلس .

وكلا هذين الخليفتين كان لهما شأن خطير في تاريخ العلوم وتشجيعها فالمامون هو الذي كان قد انشا بيت الحكمة وجمع بين يديه المترجمين والشارحين والواعين للعلوم التجريبية والفلسفية والحكم المستنصر هو الذي اشتهر في التاريخ بجمع الكتب وتأليف خزانة كبيرة تضم اربعمائة الف مجلد كما كان يستميل اليه العلماء من كل صقع ويمكنهم من العطايا الوافرة .

ان هاته المقارنة بين يوسف وبين هذين الخليفتين كافية في رفع هذا الخليفة الى درجة العظماء الذين استغلوا حكمهم للمصلحة الانسانية ولتقديمها ولتطوير الحضارة وانمائها فهو لم تلهه خلافته عن العلم والعلماء، قال ابن خلكان عنه : ((وكان رقيق حواشي اللسان حلو الالفاظ حسن الحديث طيب المجالسة ، اعرف الناس كيف تكلمت العرب واحفظهم لايامها في الجاهلية

---

* الانيس المطرب بروض القرطاس الجزء الثاني صفحة 176

والاسلام وكان يحفظ القرآن الكريم مع جملة من الفقه ثم طمح الى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب وجمع من كتب الحكماء شيئا كثيرا وكان ميله الى الحكمة والفلسفة اكثر من ميله الى الادب وبقية العلوم)) .

وقد كان لاهتمام هذا الملك بالعلم اثر فى ازدهار الحضارة وتعميم الثقافة وتنافس العلماء فى البحث وذلك امر يقره نظام الاجتماع الذي طبع الناس على الاهتمام بالعلوم والثقافات اذا كان رؤساء الدول يعتنون بذلك ويهتمون بالعلم والعلماء .

ان للتشجيع اثرا كبيرا فى نشر العلم فهذا المامون العباسي كان يعطي حنين ابن اسحق زنة ما يترجمه ذهبا وهذا يوسف بن عبد المومن كان يجري الارزاق الواسعة على ذوي النبوغ من العلماء ليكفيهم مؤونة العيش وليجدوا الفراغ لتنمية مداركهم وليكون ذلك حافزا للاخرين على الاقتداء بهم فقد قال المراكشي فى كتاب المعجب عن ابن طفيل : (وبلغني انه كان ياخذ الجامكية (*) مع عدد أصناف من الخدمة من الاطباء والمهندسين والكتاب والشعراء والرماة والاجناد الى غير هؤلاء من الطوائف ..))

ورغم هذه العناية الكبرى بالعلم ورغم ما اشتهر به عصر هذا الخليفة من رخاء وازدهار فانه لم يهمل الجانب السياسي والعسكري .

فقد جابه أول الامر الازمة الداخلية التي نشات بعد توليته فقد رفض طاعته بعض الاشياخ من الموحدين كما امتنع عن بيعته اخواه ابو محمد صاحب بجاية وابو عبد الله صاحب قرطبة ، والسبب فى هذه الازمة يرجع الى ان عبد المومن كان قد ولى العهد لابنه محمد ولكنه فى مرضه الاخير الذي أصيب به فى مدينة سلا حينما كان عازما على التوجه الى الاندلس ليحارب ابن سعد المعروف بابن مردنيش ارتأى ان يغير رايه فى تولية ابنه محمد وجعل البيعة لابنه يوسف .

لقد راى عبد المومن اثر الحزم يظهر على يوسف وأثر الاستهتار يتجلى على ابنه محمد لذلك قرر ان يغير ما كان قد عقده من قبل دون أن يبالي بما سيعقب ذلك من نتائج ثقة منه فى ولي عهده الجديد الذي سيعرف كيف يقضي على جميع المشاكل .

وأظن ان امر عبد المومن لم يبلغ الى جميع اشياخه او اعتمد هؤلاء الاشياخ كتمانه لامر فى نفوسهم لذلك واجه يوسف الموقف بكل حذر وحزم وعمل على القضاء على المعارضة ما يقرب من سنتين كانت نهايتها ان اقبل هؤلاء المعارضون وعلى راسهم اخواه يبايعونه ويستسمحونه فقبل رجاءهم وعفا عنهم .

ان هاته الملاحظة تبرر ما عند المؤرخين من اختلاف فى شرح الاحداث التي اعقبت بيعة يوسف بن عبد المومن فجماعة تروي ان البيعة لم تنتقل الى يوسف الا بعد ان تولى الملك اخوه محمد ما يقرب من خمسة واربعين يوما واخرى تروي ان الملك انتقل مباشرة الى يوسف بعد موت أبيه .

فقد ذكر المراكشي ان محمدا قد تولى الملك بعد ابيه ولكن الموحدين اتفقوا على ابعاده لانهم راوا فيه امورا لا تصلح معها للخلافة فقد كان جبان النفس مختل الرأي طائشا مدمنا على الخمر .

والظاهر ان هذا الاضطراب فى الانباء يرجع الى وسائل الدعاية التي كان يقوم بها كل جانب ليضفي مشروعية على موقفه ازاء الاخرين .

ورغم اختلاف المؤرخين على الطريقة التي وصل بها يوسف الى الحكم فان الاتفاق يكاد يكون تاما بين المؤرخين على انه كان اصلح للحكم من اخيه وانه كان اقدر على تسيير امور الدولة وارهاب الاعداء واقوى ضبطا لنفسه وابعادا لها عن الانزلاق فى مهاوي الرذيلة .

وبعد ان استقر له الامر وهدات الاحوال الداخلية جددت بيعته واجمعت الدولة عليها وتسمى آنذاك ((بأمير المومنين)) بعد كان يلقب ((بالامير)) فقط وهذا هو السبب فى ابتداء بعض الرسائل الموجهة منه بالامير وبعضها بامير المؤمنين .

ولما جددت بيعته اقبل الشعراء يمدحونه ويطرون موقفه ويتددون بأعدائه ومن اشهر الشعراء الذين وقفوا فى هذا اليوم العظيم القاضي أبو حفص الاغماتي قال المقري فى كتابه ازهار الرياض (*) : ((ومن نظم القاضي ابي حفص من مطلع قصيدة يمدح بها ابا يعقوب بن عبد المومن ويهنئه ببيعته الثانية :

(*) الجامكية لفظة دخيلة : مرتب خدام الدولة

(*) ازهار الرياض الجزء الثاني صفحة 365 .

الا هكذا تبنى العـــلا والمفاخــــر
وتسمو الى الامر الكبير الاكابــــر

نؤم لبيمات الرضا مطلع الهـــدى
وحيث الهدايا تعتلـــي والاوامـــر

ولما قضى ابو يوسف على هذا الخلاف الداخلـــي شرع في تنفيذ التصميم الذي كان وضعه أبوه للقضاء على المخالفين بالاندلس فقد مات عبد المومن وهو متوجه الى الاندلس ليزيل حكم ابن سعد عن الجهة الشرقية .

ان ابن سعد اصبح خطرا على الدولة الموحدية يهدد الامن في سواحل البحر الابيض المتوسط ويتعاون مـــع القشتاليين والليونيين لذلك يجب القضاء عليه اولاقبل التفكير في القضاء على أعوانه وذهب يوسف الـــى الاندلس سنة 560 هـ وهجم على ابن سعد فشتت جموعه وأبعد عنه الانصار ولقي اشياعه النصارى حتفهـــم ، فاضطرب امرهم ، وتشتت جموعهم .

ورغم هذه الهزيمة التي مني بها ابن سعد ، فقد كان يوسف يحاول ان ينتهي أمر هذا الخلاف بينه وبين امير شرق الاندلس ليوجه عنايته الى حرب الاسبانيين والبرتغاليين لذلك وجه له رسالة قيمة طويلة من انشاء أبي الحسن ابن عياش (*) يدعوه فيها الى الطاعة والى الابتعاد عن المقاومة لان مقاومة الموحدين لا تجدي ولا تنفع ، ووعده اذا رجع الى الحق بالامان على نفسه وعلى اسرته وبالحياة في منزلة سامية ، ورتبة زكية نامية .

ثم انتقل كاتب الرسالة من الترغيب الى الترهيب فقال : ((.. واذا ارسلتم ارشية افكاركم في قلب اذكاركم واطلقتم اعنة اعتباركم في ميادين ما مر على أبصاركم تجدون أن من شغل نفسه بمكايدة هذا الامر ومكايدته وقطع مسافة عمره بمخالفته ومعاندته قد خـــاب مكدوحه واخفق مسعاه ولم يجل بطائل ولا حظى بنائل فاما صريع حتوف طعنا بالرماح وقعصا تحت ظلال السيوف واما أخيذ حسرة واسف ووقيذ زفرة ولهف قد قطعت عنقه المطامع وتلاعبت به حياته اليلامـــع واليرامع وأن وراء ذينك يوما عصيبا وهو لا يجعـــل الولدان شيبـــا وان من غلب على دينه وافتلت عـــن ايمانه وحجب عن ربه لغبين الصفقة خاسر المتجر وقلما سمحت بذلك نفس تبينت الغي من الرشد وعرفـــت الجور من القصد ..))

وبعد هذا العرض المهول رجع الى الترغيب فقال : ((.. وقد كان سيدنا امير المومنين ـ ايد الله امرهم ـ في القديم ومنذ زمن طويل خاطبكم بهذه الدعوة وحملكم فيها على منهج النصيحة ولم يكن بلغ الكتاب أجله ونحن لاوامره العلية مراعون وللمدعاة الى ما دعاكـــم اليـــه داعون وارايه الجميل في هداية الخلق مشيعون ومشايعون فاقبلوها نصيحة تحرز لكم حظ السناء وتوجب لكم رتبة الخاصة من الاولياء وتقتضي منكم في خير عمركم افضل المناب في معونة هذا الامر واحسن الغناء وتجمع عليكم بهذا التلافي الفائت في تلك الاوقات الماضية والاناء وتكونوا على هذه الرتبة كمن أجاب في اول النداء والله تعالى يعينكم على تقبل هذه الوصايا ومقابلتها بأحسن التلقي وانفع الالتفات ويجعلكم ممن تنبه للعظات واذكر بالايات ..))

ورغم وصول هاته الرسالة فان ابن سعد استمر على مقاومته ولم يأبه بوعد او وعيد او بارغاء أو تهديد ولكن يوسف استمر في الحرب والحصار الى أن مات ابن سعد حتف انفه واتفق ابناؤه واخوه على ان يتنازلوا عن المقاومة وأن يمكنوا جميع المدن التي يحكمونها الى الموحدين بشرط معاملتهم بالحسنى واعزازهم في الدولة فقبل شرطهم وعاملهم يوسف معاملة رشيدة وتزوج احدى بنات سعد كما تزوج ابنه بعد ذلك بابنة اخرى .

وهذه الظاهرة في حياة الموحدين ـ اعني اكرام من يتنازل عن الحرب قبل ان يغلب ـ ظاهرة سياسيـــة كانوا يستميلون بها اعداءهم ليمهدوا بها طريـــــق الاستسلام الى كل المعارضين وقد راينا صورة مثلها في المقال السابق حينما أكرم عبد المومن يحيى بن عبـــد العزيز الصنهاجي بعد أن حمله الى مراكش واغـــدق عليه المنح والهدايا .

وبعد الانتصار الهائل الذي ناله يوسف في بـــلاد الاندلس رجع الى المغرب ثم ذهب الى تونس ليقضي على بعض المتمردين الذين استولوا على بلاد قفصة وقتلـوا عاملها فارجعهم خائبين .

ولما راى ان كثيرا من الفوضى الحاصلة في افريقيـــة مرجعها الى بعض القبائل العربية استنفرهم للجهـــاد وحبب اليهم غزو النصارى في بلاد الاندلس واخرجهم من بلاد افريقية ليستريح من القلاقل التي يثيرونها في كل حين .

---

* الرسالة الخامسة والعشرون من الرسائل المنشورة .

وعند انتصاره في حروبه الافريقية كتب رسالة من تونس الى الطلبة والاشياخ ببلاد قرطبة قال (*) : ((وقد انتهى اليكم – وفقكم الله – ما سنى في هذه الوجهة الميمونة من الامور الشريفة والفتوح الجليلة التي جاوزت مدى الافهام وفاقت بمبالغ الظنون والاوهام وقامت ازكى شهيد على مراد الله في هذه الدعوة العزيزة التي هي نظام الاسلام والحافظة شمل الخيرات على الانام والسامية في مراقي شرفها مدى الليالي والايام حتى تبلغ برحمة الله سبحانه الى دار اسلام واعلمناكم ايضا – وفقكم الله – بما كان من صرف الموحدين اعزهم الله – الى هذه الجهات الساحلية بعد الغزوة المباركة التي أعلى الله بها منار الاسلام والايمان وأخزى اهل الشقاق والنفاق والطغيان حرصا على ازالة نفوس اهل التوحيد من مشقات احتملوها في طاعة الرحمن واجماما للسيوف حتى تتبين مواقعها من رؤوس اهل المرود والعصيان وخلال ذلك جمع اشياخ العرب واعيانهم والمشار اليهم من رؤسائهم ووجوههم وكبرائهم من جميع قبائل رياح – وفقهم الله – فذكروا بحقوق هذا الامر العظيم والائه الجزيلة ومننه الجسام ونبهوا على ما كان لسلفهم من العرب من كريم السوابق في اول الاسلام .. وبين لهم انهم اذا استقبلوا هذا الغزو السعيد والغرض الحميد بنيات متجردة وعزائم فيه متجددة ونفروا اليه بجملتهم من غير استثناء واستصحبوا معهم من تتعلق به الخواطر من أهل وأبناء ونعم وشاء وجعلوا ذلك كله وراءهم حيث ما يرسم لهم من بلاد الاندلس – مهدها الله – ثم صمدوا لعدوهم وتفرغوا لرواحهم في سبيل الله وغدوهم كانت خواطرهم لفر واعدائهم افرغ ومصاعبهم لاقرانهم أصدق ووطأتهم على اهل الشرك اثقل ..)) ثم قال : ((ولو لم يكن في هذه الحركة السعيدة المباركة – وفقكم الله – الا ما كان من امر العرب وكف ايديهم عن هذه البلاد وصرفهم الى ما استنفروا اليه من الجهاد واجابتهم جميعا بنفوس على الطاعة مقبلة ووجوه ببشرى المتاب متهللة وقلوب على الخير مصفقة ونيات على اجابة داعي الله متفقة لكبر بذلك دليلا على ان هذا الامر العزيز لا ترتقي الى فهمه العقول ولا تنتهي اليه الخواطر والظنون ...))

وبعد انتصاراته في افريقية رجع الى بلاد الاندلس مرة أخرى ليجدد الفتح ويوسع رقعة امبراطوريته وينشر لواء حكمه وليحافظ على التراث الذي خلفه العرب من قبله ولكنه مات قبل ان يحقق جميع مطامحه مات شهيدا على حدود البرتغال سنة 580 هـ بعد أن سجل لنفسه ولبلاده تاريخا مجيدا .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

* الرسالة السادسة والعشرون وهي من انشاء ابي الفضل بن محشرة .

جيش المنصور الذهبي

جيش الصباح على الدجى متدفق — فبياض ذا ، لسواد ذلك ، يمحق!
وكأنه رايات عسكرك التي — طلعت على السودان بيضا تخفق!
جيش أوائله ببابك سيله — عرم ، وآخره بـ « كاغو » محدق

((عبد العزيز الفشتالي))

الرأي يتجه تيار التطور بروائع المثل الاجتماعية التقليدية

للأستاذ : المهدي البرجالي

المثل الاجتماعية ودلالاتها الخلقية والسيكولوجية – المفهوم الموضوعي لهذه المثل والتعديلات التي قد تدخل عليها – المثل الاجتماعية القائمة فى المجتمع المغربي : اصولها التاريخية والاجتماعية – بعض المظاهر البارزة من هذه المثل الاجتماعية المغربية – التطور التدريجي الذي يقع فى حظيرتها باستمرار – الدلالة التي يمكن استخراجها من ذلك .

كل مجتمع من المجتمعات مهما كان متقدما فى المدنية او متدنيا كعبه فى مضمارها – فان لديه مثله الاجتماعية الخاصة به .. هذه المثل التي يستمدها من ظروفه التاريخية والعقلية والنفسانية – وتقوم بين افراده كنواميس واجبة الاحترام لا يقع الخروج عنها او التنكر لها الا ويثير ذلك استهجان المجتمع ويعتبر الامر كمروق اجتماعي لا يغتفر فى بعض الاحيان بل ان هذا التنكر للمثل الاجتماعية السائدة ، قد يثير من ردود الفعل المضادة ما يركز خطورة الموقف المتخذ من جانب المتنكر ، ويصبغ على هذا الموقف صبغة الخطيئة الاجتماعية التي لا يقبل فيها المهاودة او التجاوز فى كثير من الحالات ، والمجتمع – اذ يستمسك بمثله الاجتماعية على هذا النحو ولا يقبل التسامح فى التنكر لها – فانه انما يفعل ذلك لانه يعتبر فى الغالب ان هذه المثل هي نوع من التعاقد المبدئي بين افراده أي انها دستور تلقائي بين عناصر هذا المجتمع يكرس طبيعة الصلات الانسانية فيما بينهم ويؤمنه نوعا من الترابط الاخلاقي والتماسك الروحي يصل بعضهم ببعض بحيث ان كل واحد يرى من خلال هذه المثل وجهة تفكيره بارزة وممتزجة بالوجهة الاخلاقية – السلوكية عند عموم الجماعة التي هو عضو فيها . على ان هذه الملاحظات والتأكيدات التي ترتكز عليها لا تعني ان المثل الاجتماعية هي التي تحدث دون غيرها ، حالة ترابط قومي معين، اي انها هي التي تخلق وضعية قومية مخصوصة ، وتوفر الشروط والمقتضيات الضرورية لنشوء هذه الوضعية ، وتركيزها على قاعدة انسانية أصيلة . فعوامل التكوين القومي الاساسية من دم ولغة وثقافة وحضارة وآمال مشتركة وغيرها ، هي معروفة متداولة ، وان كانت الافهام تختلف فى تقدير الاهمية التي يكتسيها كل واحد من هذه العوامل ، لكن المثل الاجتماعية ، وان كانت لاتعد فى ضمن العوامل الاساسية هذه ، الا انها تستقطبها كلها او الاهم منها على الاقل ، وتعكس بذلك مختلف الخصائص التي يقوم عليها البناء القومي من اساسه ، فهي تتأثر مثلا بالمقتضيات الدينية التي يعتنقها المجتمع وتتلون بنوع الحضارة التي ينتسب اليها هذا المجتمع والثقافة التي يكتسبها وتتراءى من خلالها فلسفة اي مجتمع فى الحياة ، ووجهته فى السلوك والاخلاق ، وطريقته فى تقدير الاشياء وتقييم المحسوس منها والمجرد ، وبالاجمال فان المثل الاجتماعية التي تسود مجتمعا ما يمكنها فى كثير من الحالات – انتعكس عددا من جوانب عقلية هذا المجتمع ، وما يؤثر فى تكييفه الذهني من عوامل ذاتية وبيئية اي العوامل السيكولوجية والفكرية من جهة والعوامل الاخرى المتأثرة بالمحيط الحضاري والتاريخي من جهة ثانية ومن ثم تستمد المثل الاجتماعية هذا القدر من الاهمية التي تتميز به فى نظر المجتمعات التي تاخذ بهذه المثل وتتأثر بها تلقائيا وتظهر ايضا (هذه الاهمية) متركزة واسعة المدى عند فحص الظواهر العقلية فى اي مجتمع ودراستها من طرف البحاث والدارسين .

على أن هناك – فى هذا الان – حقيقة يجدر الالتفات اليها لما لها من قيمة فى ادراك الموضوع من اساسه وتقدير الملابسات المعنوية التي تحيط به من جانب او آخر وهي ان (المثالية) كما هي واردة فى هذا الموضوع لا يراد منها فقط المفهوم العادي المتبادر للذهن من اول وهلة اي للقيمة او القيم الرفيعة التي تعتبر كمثال يحتذى وصورة يقاس عليها بل ان المراد بالمثالية الاجتماعية هنا ، هو فقط القيم والمبادىء السائدة فى

مجتمع ما من المجتمعات والتي تساهم في تخطيط سبيل مبدئي وسلوكي لهذا المجتمع وتستقطب مختلف الاعتبارات الاخلاقية والفلسفية التي لها اي مدلول مقبول عنده بصرف النظر عن طبيعة المحتوى الجوهري لهذه القيم والمبادىء وما اذا كانت تعكس حقيقة معنى الرفعة والنبل الجدير بالاحتذاء من الناحية الفلسفية المجردة ام لا تعكس ذلك، فالمجتمعات البدائية لها هي كذلك مثلها الاجتماعية التي تستمسك بها، وترى من خلال هذه المثل جملة الفضائل والمزايا الاخلاقية والسلوكية التي تعتنقها مثل هذه المجتمعات ولو انها تبدو لنا نحن من جهتنا تافهة بل وربما مجردة من معنى الفضيلة مطلقا، واذا كان شان المجتمعات البدائية على هذا المنوال، فالمجتمعات الاقل بدائية هي بالاولى والاحرى فافراد المجتمع العربي الجاهلي مثلا كانت تحذوهم — طوال مراحل التاريخ التي عاشوها — جملة من المثاليات والقيم التي كانوا شديدي الحرص عليها والاعتزاز بها الى حد كبير، وهناك غير المجتمع الجاهلي امثلة عديدة من هذا النوع الا انه سواء في حالة المجتمع العربي او غيره فان المثاليات الاجتماعية — وان كانت لا تتحول تحولا يمسخ جوهرها عند كثير من الشعوب فانها — مع ذلك — تتعرض لكثير من عوامل التعديل اما بتاثير دعوة اصلاحية مباشرة او بسبب تطور حضاري بطيء او بمجرد مرور الزمن ايضا وعوامل التعديل هذه تتناول فيما تتناول جانب المثاليات الاجتماعية السائدة فتنبذ منها ما لا يستقيم مع مفهوم المثالية الصحيحة والمراد بذلك جملة القيم التي تسود مجتمعا ما بتاثير التخلف الفكري والانحراف الاخلاقي وغيره وتبقي — من جهة اخرى — على ما يمكن ان يكون هناك من مثاليات معقولة من حيث الجوهر وذلك بعد ان تهذبها وتعدها للتلاؤم مع المقتضيات الاصلاحية والتطورية التي يتبناها التيار الجديد اما اذا كانت عوامل التعديل من نوع آخر بان كانت مثلا من نوع غير مباشر كعامل التطور العفوي الذي يحدث بمرور الزمن، وتقلب الافهام والافكار، تلقائيا، او بتاثر عامل حضاري غير مراقب (مثلا : التاثير الاخلاقي والفكري الذي تحدثه المدنية الحديثة على الشعوب المتخلفة) فان النتائج التي يؤدي اليها ذلك، لا تكون دائما مضمونة الايجابية بالشكل الذي يامله المرء مبدئيا، ذلك ان التعديل غير المراقب الذي يدخل على المثاليات الاجتماعية عند مجتمع ما بتاثير الزمن او نتيجة غزو حضاري اجنبي فينالها ذلك بالتحوير والتجديد او يقلبها تماما راسا على عقب، مثل هذه التطور لابد ان يثير عند الاجتماعيين وغيرهم نوعا من الحذر والانتباه ويدعوهم الى مراقبة الاحوال والظواهر التي يمكن ان يسفر عنها ذلك انه ليس من الضروري ان تكون هذه الاحوال والظواهر حتميا حسنة او غير حسنة، اذ ان العفوية النسبية التي يتم بها تطور من هذا النوع يمكن ان تؤدي الى تعديلات ايجابية مقبولة، تتلاءم المثل الاجتماعية بسببها مع المقتضيات الاخلاقية والحياتية للمجتمع المتطور اي المجتمع الذي تتعرض مثله الاجتماعية لمثل هذه التعديلات كما ان من الجائز كذلك ان يفضي هذا التطور الى اقصاء المثل الاجتماعية القائمة بما تشمله من معان ايجابية وغيرها وعلى انقاض ذلك يمكن ان تقوم احوال خلقية جديدة تفتقد الاصالة والمعقولية وتكون مجرد مظهر للتهافت على التقليد والاقتباس الاخلاقي الذي ليس له من هدف ايجابي واصيل، ولا يجد تبريرا فلسفيا وحياتيا مقبولا .

*

عاش المجتمع المغربي طويلا وهو ياخذ بجملة من المثل الاجتماعية تتحكم في تكييف عقلية افراده وتتبلور من خلالها لهم طريق الاخلاقية الصحيحة التي يجب الاستمساك بها لكي يعد الشخص من ذوي المروءة والفضيلة وجديرا بالا يعتبر من الدهماء الذين لا وازع لهم، ولا هاد الى رشاد . والواقع اننا لم نرد مثل هذه العبارات بقصد التعبير فقط بل لانها كانت تعكس راي النخبة الاجتماعية والطبقات الاكثر تهذيبا في حظيرة المجتمع المغربي القديم غير انه يبدو ان مثل هذه الاراء والتقديرات كان مبالغا فيها الى حد ما، فالطبقات الاجتماعية بالمغرب — بما فيها سكان البوادي والجبليون (والصحراويون) وحتى اولئك الاقرب الى البدائية النسبية هؤلاء كلهم لم يكونوا يعيشون — طوال عصور التاريخ بدون قيم ومثاليات اجتماعية تعطي لوجودها الاجتماعي معناه الخلقي الاساسي وتحدد له سبلا سلوكيا معينا وعلى الرغم مما كان يبدو من (فوضوية) كثير من سكان البوادي في المغرب القديم، ومن العشوائية الفكرية التي كانت تخيم على مجتمعات من هذا النوع فقد كانت تسود المجتمعات البدوية — مع ذلك — تقاليد وعادات خلقية وقيم فكرية وسلوكية تساهم كلها في تحديد مزاج السكان البدويين عموما وتميز الجو العقلي الذي كان يسود حياتهم ويكيف تصوراتهم واستجاباتهم الاجتماعية على النحو الذي كانت عليه بالفعل، بل ان بعض الظواهر الاخلاقية والسلوكية التي نستعرضها ضمن هذا الموضوع والتي يمكن ان نلاحظ آثارها بارزة على صعيد المجتمع المغربي

بعمومه – كثير من هذه الظواهر ، توجد متصلة – في الواقع – عن طبيعة المزاج الملحوظ – في المجتمعات البدوية بحيث يمكن القول ان عددا من العناصر المكونة لحالة المزاج المغربي العام ترجع – في جوهرها – الى مؤثرات بدوية صميمة ، اما اسباب ذلك فهي ناشئة على ما يبدو – عن جملة من الظروف التاريخية والاجتماعية والحضارية وغيرها مما اسهم في تركيب المجتمع المغربي – الاسلامي بالمغرب وصهره في البوتقة التي انصهر فيها بالفعل منذ نشأته الاولى ومن ابرز هذه الاسباب :

1) **من الناحية السلالية والتاريخية :** تماثل العنصرين الاساسيين العربي والبربري اللذين تكون منهما المجتمع المغربي الموجود الان : تماثلهما في المزاج والخلق والصفات وطبيعة التفكير والسلوك والنظرة الى الحياة الامر الذي يؤكد – عادة – النظرية القائلة بانهما ينحدران – فعلا – من ارومة واحدة هي الارومة العربية – السامية ، ومن المعلوم ان القاعدة الاجتماعية سواء عند البربر او العرب هي قاعدة بدوية في الدرجة الاولى ، والمعتبر في ذلك ناحية الطبع والاخلاق بصورة اخص ، اما ما عدا ذلك فلا يتصل بسياق الموضوع وبما ان المجتمع المغربي يتشكل كيانه الاساسي من تفاعل الدم العربي والبربري فان من الممكن القول اذن ان التاثير البدوي في تكييف الاخلاقية المغربية كان تاثيرا قويا وجوهريا على ان هناك – حقا – بهذا الشان – عددا من المؤثرات الاخرى الطارئة على المغرب والمنحدرة اليه عن طريق احتكاكه بالحضارة الاندلسية واتصاله بكثير من الجماعات القاطنة في مناطق جنوب الصحراء بل انه من الجائز الاعتقاد بان المجتمع العربي الاندلسي – بعد تصفية وجوده في اسبانيا واستقرار كثير من عناصره بالمغرب كان له بالفعل دخل مهم في تكييف بعض جوانب العقلية المغربية وطبيعة السلوك الاجتماعي المغربي ، لكن هذا التاثير الاندلسي – اذا قسناه بتشعب المجتمع المغربي وتعدد اطرافه وخصوبة تركيبه الديموغرافي – فانه يبدو لنا محدودا بدرجة كبيرة لانه يوجد منحصرا في بعض الحواضر الكبرى بشمال البلاد على الاخص ، ولا تزال بعض العوامل الاجتماعية المستمرة تختزل من فاعليته او تعدل منها على الاقل ومن بين هذه العوامل الاجتماعية الهجرة البدوية الى المدن ، وشدة التفاعل والتجاوب الموجود الان بين سكان الحواضر ، وقاطني البادية نتيجة التطور السريع في وسائل المواصلات وادوات التفاهم هذا الى التحول الواسع الملحوظ في كثير من الافكار والمفاهيم التي كانت سائدة في المجتمع من قبل ، وتبلورها الان في اشكال اكثر تحررا وانطلاقا الامر الذي ما برح يؤدي – باستمرار – الى مضاعفة فرص التمازج الاجتماعي بين المدن والارياف ويوثق مزيدا من الارتباط بين هؤلاء واولئك عن طريق التعامل والتزاوج ، وتبادل المنافع الاجتماعية والاقتصادية ، ولا جرم ان مايلحظه المرء من احوال مزاجية وسلوكية تطبع جو عدد من المجتمعات الحضرية الفتية اي المجتمعات التي تتكون داخل مدن حديثة كالدار البيضاء او في قرى نامية (كالخميسات) مثلا ، ان ما يلحظه المرء من مظاهر المزاج والسلوك العام في هذه المجتمعات الحضرية الناشئة ، من شانه ان يعكس له صورة عن التفاعل الاجتماعي الموجود حديثا بين الحواضر والارياف وما لذلك من تاثير على زيادة رسوخ المثل الاجتماعية البدوية في المدن وهي المثل المنبثقة عن طبيعة العقلية العربية البربرية ، والمزاج المشترك بين العنصرين ؛ وهذا التفاعل بين السكان في المدن ؛ والمدن الحديثة بصورة اخص ، التي تنحدر اغلبية قاطنيها من اصول بدوية عربية – بربرية – هذا التفاعل هو الذي لا يزال يميز كثيرا من جوانب الطابع الخلقي للمجتمع المغربي الراهن على الرغم من ان هذا الطابع قد بدا يفقد بعض خصائصه واصالته في هذه المرحلة المهمة من مراحل التطور الاجتماعي الحديث بالمغرب .

*

يبقى هناك موضوع للتساؤل عن مظاهر الخلقية المغربية في اطارها التقليدي الذي تحدثنا عنه ، وعن المثل الاجتماعية بالاخص التي تتحدد بها كثير من المفاهيم والاختبارات المغربية في هذا المجال ، ثم عن التطور الذي بدا يلحق هذه المفاهيم والاختبارات، ويكاد يفقدها محتواها الجوهري الذي تتميزبه؛ ان استعراض مظاهر الخلق المغربي بما له من جوانب خاصة ومتشعبة تتناول آفاق الحياة من فكرية واجتماعية وغيرها ، وتتدخل في شؤون الافراد والاسرة والمجتمع وتحدد – في كل هذا كثيرا من معالم السلوك في الصداقة ، والزواج ، والانجاب ، والطلاق والاتجار والاستهلاك والتعلم والصحة والمرض – مثل هذا الاستعراض – الذي عني به كثير من المؤلفين الاجانب – من شانه ان يدعو الى افاضة في القول ، لا يحتملها الحيز المتوافرالان بيد اننا سنعنى بالتعرض لبعض المظاهر الخلقية البارزة – على سبيل الايجاز – وخاصة منها ما يتخذ صورة مثالية اجتماعية لا يزال لها بعض الاثر يقل او يكثر في حظيرة المجتمع المغربي الراهن ، ومن بين هذه المظاهر الخلقية التي لها قيمة المثالية الاجتماعية عندنا:

1) **التماسك العائلي :** وهو من بين الخصائص المهمة التي اصبحت تميز بين المجتمعات الشرقية ، والبيئات الاجتماعية فى الغرب وغيره من المناطق الصناعية المتقدمة ، وتتاثر فكرة التماسك الاجتماعي فى المغرب والمجتمعات الشرقية الاخرى ، بنوازع خلقية متجذرة فى فى هذه المجتمعات ومن اهمها فكرة الشرف العائلي والتضحية العائلية واستمرار الحنين الى الاسرة الاصيلة ولو بعد الاستقلال عندها مبدئيا والرعاية الابوية الشاملة داخل العائلة هذا الى التعصب العائلي والوحدة الشعورية العائلية وحتمية الحفاظ على الكيان العائلي ادبيا وماديا وذلك بكيفية تكاد تطغى فى بعض الصور ـ على النوازع المجتمعية والقومية .

2) **الكرم وحسن الضيافة :** وهذه الخلة كانت من اظهر مميزات المجتمع المغربي القديم ، ولا تزال توجد منها آثار واضحة فى حظيرة المجتمع المعاصر ، وخاصة بالنسبة لكثير من الجماعات الريفية وبعض الجماعات الحضرية الفتية اي المدن الحديثة والمستحدثة ، وصفة الكرم هذه لا ينحصر مظهرها فى مجرد الجود بالقرى ، وحسن الايواء ، وانماتتجلى آثارها ايضا فى السخاء بالوقت ، وراحة البال ، فى سبيل الغير وخصوصا المنكوب والمستجير وان كان هذا النوع من الجود والسخاء ياتي احيانا من مجرد عدم تقدير الوقت وارضاء نزوات فضولية فى احيان اخرى (التدخل مثلا فى المخاصمات الزوجية ، والنزاعات بين الجيران) .

3) **التسامح** ، والملاحظ عموما ان العقلية التي كانت تسود المجتمع المغربي قبل الان كانت تفرض هذه الصفة بكيفية مثيرة جدا تتحكم احيانا فى تسيير القوانين وتطبيق الحقوق العامة داخل البيئة الاجتماعية فقد كان يكفي مثلا مجرد التشفع بمن هو اهل للاحترام او التقديس للعفو عن مجرم او التجاوز عن جريمة ، ولو كانت جريمة قتل متعمد مثلا وكان الفرد ـ اذا ما عن له ان يتعصب لحقه ولا يقبل فيه وساطة متوسط ، او شفاعة متشفع ، فانه لابد ان يتعرض لانتقادات المجتمع ، وينظر له بصفته عديم اللباقة الاجتماعية ، بل يعتبر احيانا وقحا شرسا ، ويغمز فى نسبه ، والقيمة الاجتماعية والخلقية لعائلته وليس من الاكيد ان مثل هذا الاتجاه فى السلوك ، وتقدير الاشياء قد كان يسود جميع المجتمعات المغربية بدون استثناء ، ان حالة التسامح على هذه الصورة او نحوها ـ تؤثر فى وجودها وتكييفها كثير من العوامل الذاتية والبيئية زيادة على المؤثرات الدينية والاخلاقية فى ذلك وليس هناك ما يؤكد ان جميع هذه العوامل والاعتبارات كانت متوافرة فى جميع البيئات الاجتماعية بالمغرب القديم ، ففي البيئات البدوية مثلا ـ مثلما هو الشان كذلك فى صعيد مصر ، وارياف العراق وبادية الشام وجبال لبنان ، وقبائل الجزائر ، ونجود اليمن وغير ذلك ـ ما فتئت روح الانتقام تمارس تاثيرا كبيرا على عقلية الافراد والكتل الاجتماعية بل وتظهر احيانا فى صور طفولية لا يستسيغها العقل العادي بان يهدر الدم مثلا لمجرد نزاع بسيط حول استقاء ماء او انتهاك حيوان داجن لحرمة ارض مزروعة ، فاحرى ما يتعلق من ذلك بقضايا الشرف الحقيقي او حتى ما يتوهم انه مس بالشرف على صورة من الصور الامر الذي يصعب معه تقدير اهمية المظاهر الموجودة من التسامح كخلق اجتماعي فى البيئات البدوية القديمة ، سواء هنا فى المغرب او هناك فى الاقطار العربية الاخرى او بعض الاقطار الشرقية التي تتفق بعض ملامحها الاجتماعية فى البادية مع ملامحنا وخصائصنا المميزة كل هذا مع اعتبار ان الاتفاق بهذا الشان لا يعني التطابق المطلق فى مختلف الصفات والنوازع الدقيقة وانما يعني ذلك ان الظاهرة الاجتماعية الملحوظة عندنا تشمل بيئات عربية وشرقية كثيرة وذلك من حيث المعنى العام (عدم التسامح) لا من حيث التفاصيل والصور الخاصة فقد لا تكون لقضية بقرة تنتهك ارضا مزروعة شان كبير ، يؤدي الى النزاع ، فاهدار الدم فى بيئات اجتماعية اخرى داخل العالم العربي او خارجه ولكن هذه البيئات تحدث فيها بدورها مظاهر اخرى من عدم التسامح ـ قد تقع من خلالها الجريمة لمجرد كلمة نابية او الاشتباه مجرد الاشتباه فى وجود خيانات عاطفية محتملة او غير هذا او ذاك من شتى الصور والظواهر ، غير ان الذي يمكننا ان نلحظه من خلال البيئة البدوية المغربية ولا يتردد المرء فى تاكيده هو ان هذه البيئة ـ فى ملامحها العامة التي كانت تتميز بها منذ القديم ـ لم تكن تخلو من مظاهر سماحة وتعفف فى عدد من ميادين التعامل بين الناس والاتصال فيما بينهم ـ على الرغم مما يلاحظ من تعصب وضيق بصيرة فى بعض العلاقات الاخرى كما رايناه من قبل ومن مظاهر التسامح والتعفف هذه ما يتعلق بالتعامل التجاري وتبادل المنافع المادية بين الناس فالمشاحة فى وزن البضائع المباعة او فى كيلها ، والتشدد فى المطالبة باداء ديون مؤجلة او اقتضاء الضمانات على ودائع مؤمنة او مسلمة كل ذلك (اي جانب المشاحة والتشدد) لم يكن فى حظيرة المجتمعات البدوية عندنا وحتى الحضرية القديمة ـ ملحوظا بالصورة التي عليها الامر فى مجتمعات اخرى خارج المغرب ، وذلك مما قد

يساعد على الاعتقاد بان صفة التسامح يمكن ان تعتبر — في حدود معينة — صفة مشاعة بين كثير من المجتمعات المغربية القديمة ، وان كانت تتخذ في هذا المجتمع صورة تختلف عنها في المجتمع الاخر ، وتظهر في بيئة معينة ، على نحو لا تظهر به في البيئات الاخرى فجوهر الصفة اذن كان موجودا ولكن مجال ظهوره وتبلوره لم يكن واحدا بسبب اختلاف العوامل المزاجية وتباين الملابسات الاخلاقية والقيم الاجتماعية — نسبيا — بين سكان البادية وقاطني الحاضرة على الرغم من التاثير الاصلي للبدو — عربا او بربرا — على عموم الاخلاق والمثاليات الاجتماعية المغربية .

*

هناك — في الواقع — مجال واسع لاستعراض كثير من الخصائص المزاجية ، والظواهر الخلقية المغربية ، التي يمكن ملاحظتها كالبساطة والقناعة والمحافظة وغير ذلك مما يتخذ صبغة مثالية اجتماعية في بعض الاحيان ، ذلك ان مجتمعنا — وطراز حياته التقليدية هو وليد حضارة قائمة الكيان ، لها وجودها التاريخي وفاعليتها الحياتية ذات الجذور العميقة — هذا المجتمع — وشانه هكذا — يبدو من اخصب المجتمعات موروثات وتقاليد ومن اشدها استمساكا بهذه الموروثات والتقاليد — وعلى الاخص كما تقدم — اذا كانت تتخذ — صورة مثالية اجتماعية واجبة الاتباع والتقليد . ومن الممكن جدا ان تكون لمثل هذه الاحوال العقلية — الاجتماعية تاثيرات من نوع او آخر على تكييف ظروف التاريخ المغربي في اطواره القديمة والحديثة ، وصبغه بالصبغة المميزة التي تفرده عن تواريخ كثير من الشعوب الاخرى في افريقيا وغيرها (*) ، وقد لاحظ المشرقون على نظام الحماية السابق وجود هذه الحقيقة وادركوا من خلالها ان الخصائص العقلية الاجتماعية بالمغرب ليست بسيطة سطحية وبالنتيجة فانها غير قابلة للتحويل والتكييف بالشكل الذي يمكن ان يتم عليه الامر — او تم عليه الامر فعلا — في مناطق اخرى من اقطار (ما وراء البحار) ومع ذلك لجاو لمواجهة هذه الحالة الى عدة اساليب منها :

1) تنمية بعض الموروثات التقليدية ذات الطابع السلبي والرجعي واعطاؤها مجالا واسعا للتطور والازدهار (ومثال ذلك الجانب التشريعي في السياسة البربرية التي اتبعت دون جدوى الى حين اعلان الاستقلال).

2) الابقاء على التقاليد والموروثات التقليدية ، ولكن بعد افراغها من محتواها الايجابي او على الاقل — تشجيع الاتجاه التلقائي من جانب السكان لافراغها من هذا المحتوى الايجابي تحت تاثير الجهل والتخلف الاجتماعي او عند الاقتضاء اهمال الامر من اساسه وترك الامور في هذا الشان تجري دون مراقبة تهذيبية او توجيه من اي نوع (ومن امثلة ذلك : ما كانت تجري عليه السياسة الاهلية من الفصل بين السكان وبين ان يمسهم تيار التطور الصحيح الذي يهز العالم) .

3) محاولة القيام بعمليات تحويل تدريجي غير مباشر عن طريق افساح المجال لانتشار جملة من الاخلاق والمفاهيم والمثل غير المغربية بصرف النظر عما لها من تاثير سلبي او ايجابي على طبيعة المجتمع المستهدف من هذه العملية التحويلية ، وكما تقدم فان التحويل بهذا الشكل قد تمت مقتضياته على النحو الذي نرى بحيث نجد الفرق شاسعا بين طبقة المجتمع المغربي في خلال القرن الماضي وبينه في خلال هذا القرن الا ان التحويل هذا لم يؤد الى الاهداف المهمة التي كانت تتوخى منه : اي تحويل مزاج شعب كامل ومفاهيمه تحويلا يجعل الصلة بينه ذاتيته الاصيلة وواقعه الماثل ضعيفة ان لم تصبح منعدمة مع مرور الزمن وعلى العكس من ذلك فقد نجحت الى حد كبير عمليات (تجميد) المفاهيم والاخلاق الموروثة بحيث ان جوانب كبيرة من مجموعة المثاليات الاجتماعية المغربية — وهي على ما هي عليه — بعد ان جمدت بتاثير عصور الانحطاط وسياسة الحماية السابقة — يمكن ان تصبح من بين العقبات التي تواجه حركة التنمية الاجتماعية والتطور الحضاري الجارية الان وهذا هو جانب الاهمية الملحوظة في قضية من هذا القبيل ذلك ان الامر هنا لا يتعلق فقط بالجانب الفلسفي من موضوع الاخلاق وانما تتصل — اكثر من ذلك — بصميم القضايا الحياتية التي تهم تطور المجتمع والاتجاه الذي يتخذه هذا التطور نحو هذا المصير او ذاك ان العنصر الاساسي — في مضمار التنمية — ليس فقط العنصر المادي الصرف — وان كانت له اهميته الحيوية ، بل ان هناك ايضا جانب الانسان الذي هو موضوع التنمية ومحورها وموجهها في نفس الوقت ،

* هذه القضية — التي يمكن ان نعود اليها بحول الله — يحتاج اثباتها الى كثير من الافاضة قد تخرج بنا عن الموضوع الذي نحن بصدده .

فبمقدار قابلية الانسان لتحقيق التنمية وقدرته على استيفاء المقتضيات والشروط الكثيرة التي تتطلبها كل حركة تطورية من هذا القبيل بمقدار ما تكون حظوظ التنمية هذه اكثر توافرا ، وقواعد بنائها اشد متانة ، ومن ثم نجد امما ضعيفة الموارد في الاصل قد استطاعت ان تحقق قدرا من النمو العام لم يكن يقدر لـــها ان تحصل عليه بالفعل بناء على ضآلة الممكنات المتوافرة لها في هذا الميدان ، اما السبب في ذلك فيظهر عند البحث عنه ــ في فاعلية العنصر الانساني وما يمكن ان يكون قد توافر له من نضج فكري ، وخلقـــي من الطبيعــــي ان يساعداه على تحقيق الاهداف التطورية التي يجد نفسه ملزما بتحقيقها في مختلف الميادين سواء تنظيميـــة او انتاجية او غيرها واذا كان العنصر الانساني بهـــذه الدرجة من الاهمية في مضمار التنمية فان من موجبات التنمية اذن ان يعنى بالبحث عن الاحـــوال العقليـــة والخلقية داخل المجتمع على اساس النظر فيما اذاكانت هذه الاحوال تساعد الفرد والخلايا الاجتماعية ام لا على الاستجابة لشروط المجهود البشري الذي يجـــب ان يصرف في هذا المجال اذ ان الطاقة الابتداعية والتنظيمية والانتاجية التي تتطلبها التنمية يتوقف وجودها علـــى وجود عقلية منضبطة قد تتداخل احيانا في توجيههـــا اوهام او اعتبارات خاطئة ولكن هذه الاوهام والافكار لا تصل الى حد السيطرة عليها والتحكم في مقاليدها من الاساس ولاجل هذا يشتد الاهتمام عند كثير من الامم بتقويم عقليات افرادها وطبقاتها الاجتماعية معتبرة ان ذلك يدخل في نطاق عملها من اجل التنمية الاقتصادية وبرامج التطوير بوجه عام ، واذا كان الامر كذلك فما هو الحال بالنسبة للعقلية الاجتماعيـــة التي تســـود مجتمعنا في هذه المرحلة من مراحل تطوره العام الراهن؟ هل تتفق هذه العقلية مع ما تقتضيه مطامحنا في تحقيق التنمية الشاملة ، ام انه من الممكن ان تكون عقبة دون ذلك ؟ ثم اذا كانت هذه العقلية تشكل اية صعوبة دون التطور الاساسي المستهدف فهل من العسير تذليـــل هذه الصعوبة وما نوع السياسة التي يمكن سلوكها في هذا المضمار ؟

انه بصرف النظر عن نوع الاستنتاجات التي يمكـــن تكوينها فان الواقع هو ان الحالة التي عليها عقليتنـــــا الاجتماعية تختلف كثيرا ــ كما تقدم ــ عما كان عليه الامر في عقود مضت ، فروح التغيير التي شملت المغرب كما شملت غيره من الاقطار نتيجة التفاعلات الحضارية المعاصرة قد تناولت ــ فيما تناولت ــ الجانب العقلي الاجتماعي وعددت كثيرا من ابعاده ومعطياته ، وقد كان للنظام الاستعماري السابق ــ كما اسلفنا ــ دور ملحوظ بهذا الشان ولكنه دور بدائي لم تكن الغاية منه تتجاوز حدود الرغبة في تجميد بعض الامكانيات الانبعاثية التي يمكن ان تتوافر للسكان بوجه او آخر ، فالاهداف كانت اذن محدودة ومتأثرة بالاعتبارات السياسية سواء آنية او آجلة بيد ان هناك مجالا لاستبانة العامل الاخر الاكثر اهمية وهو عامل العصر الحديث والتقلبات الفكرية والاجتماعية التي ما برح يحدثها على مستوى العالم كله ، فهذا العامل هو الذي يمكن ان نعزو اليه نسبـــة كبيرة من اصول التطور الهام الواقع في مثلنا الاجتماعية والعقلية الصادرة عنها هذه المثل فمثاليات اجتماعية ذات شان كالبساطة والقناعة والتماسك العائلي وغير ذلك لم يعد لها ــ بالفعل ــ نفس القدر من الفاعليـــة العقائدية والسلوكية ، ما كان لها في القديم وبغير كثير من التحليل نستطيع ان ندرك القيم والحقائق الجديدة التي ما زال الفكر العالمي الحديث يحملها بين تضاعيفه وينال بواسطتها من شتى القيم والمثاليات التقليدية التي سادت المجتمعات القديمة دهرا غير قصير ــ نستطيع ان ندرك ان هذه القيم والحقائق الجديدة لم يكن الا ان تحيل نسبة كبيرة من المثاليات الاجتماعية الى ما لـــم تكن عليه من قبل ، فمثلا نسبة التماسك العائلي والقيم التي ترتبط به قدمسها كثير من التغيير في اذهان الناس وسلوكهم ، بحيث ان اعتبارات اخلاقية كالشـــرف العائلي والعصبية العائلية ، كانت تعتبر حيوية في هذا المقام ، ولكنها الان قد غدت ذات مدلولات نسبية لاغير وقد كان لتزايد السكان بالنسبة لحالة الموارد وظهـــور اخلاق اقتصادية جديدة ــ بسبب هذا او غيره ــ كان لذلك تاثير ملحوظ على صفة الكرم ونسبته التي كانت سائدة من قبل ولم يكن لروح القوانين الحديثة ودقتها وصرامتها ان تبقى على خلة التسامح كما كانـــت في السابق وافضت التعقيدات الحضارية المتزايدة الـــى اصابة روح البساطة والفطرية التي ما زالت تســـود الطباع منذ امد غير محدود فهناك ــ على هذا الاعتبار ــ تحول اخلاقي مهم يجتازه كثير من الشعوب النامية وملاحظة هذا التحول في اخلاق ومسالك الشعوب ذات الحضارات القديمة يثير بالفعل ــ قدرا من الجـــدل وردود الفعل في اوساط المثقفين وذوي الفكر البعيد في اقطار الغرب وغير الغرب ، بصرف النظر عن منطلق وجهة نظرهم لكانت موضوعية علمية او نابعة عـــن اعتبارات غير علمية . انهم يرون ان التحول الـــذي يصيب اخلاق الشعوب المتحضرة قديما من شانه ان يؤدي الى طمس كثير من معالم الحضارات العريقـــة ويحدث في نفس الوقت حالة من التشابه في حياة جميع

سكان العالم من شانها ان تقضي على مايمثله التنوع فى هذه الحياة من خصب وراء غير محدود ، وليس من همنا ان نناقش هذه الاراء (الفلسفية) المدلى بها بين الحين والاخر ، وانما الاهم من ذلك هو ملاحظة التطور الحاصل وما اذا كان متفقا ـ كما تقدم ـ مع خطوط سياستنا فى التنمية والتطوير ام لا ؟ ان القضية التي تطالع المرء اولا كجواب عن هذا السؤال هي انه من الصعب التوفيق دائما بين نتائج التحول الاخلاقي الحاصل وبين الاهداف الجديدة التي اصبحنا مطوقين بها فى عهد الاستقلال كالتنمية الاقتصادية والتطوير الفكري والاجتماعي وغيره ، ذلك ان اكثرية مظاهر التحول الاخلاقي قد حدثت بالفعل خلال النظام الاستعماري اما بصورة عفوية نتيجة الاحتكاك المباشر بالغرب واما بكيفية مقصودة ، ومخطط لها نتيجةالاتجاه التجميدي الذي كانت تتبناه الحماية السابقة ، وهناك جانب كبير من هذه التحولات حدث فعلا فى عهد الاستقلال ولكن حدث فى غمرة الاهتمامات الكبرى التي تكتنفنا من كل جانب كدولة تعيد بناء كيانها السياسي من جديد ، وبالنتيجة لذلك فان الكثير من هذه التحولات يمكن ان يكون قد حدث بصورة غير مراقبة وبكيفية لا يبدو انها تخضع لمقتضيات سياسة تخطيطية طويلة الامد من نوع السياسة التي توجب التوفيق بين التحول الاخلاقي والتحول الاقتصادي ، والاستفادة من من واحد منهما لصالح الاخر ، واذا ما كان هناك من تخطيط بهذا الشان فانه لا يلوح انه كاف وواسع الاستيعاب لمختلف المشاكل الهامة التي يمكن ان تعرض بهذا الشان ومن ثم كانت حاجتنا الى مراجعة قضايا من هذا القبيل شديدة وملحة وهذه المراجعة لا تقتضي فقط مضاعفة عمليات التحول الاخلاقي بقدر ما تقتضي مراقبة هذا التحول وضبط وجهته واستغلاله استغلالا عقلانيا موزونا فى مضمار سياسة التنمية والتطويرالعام فمن البديهي ان مبدا التحول ليس من شانه ان يثير فينا استغرابا او امتعاضا اذا لم يتجاوز الحدود المعقولة والضرورية فنحن بالفعل ملزمون بتجديد مواقفنا من كثير من المفاهيم والحقائق التي قادتنا طويلا وكانت من اسباب تخلفنا فى اكثر الحالات غير اننا ايضا فيحاجة الى صيانة ملامحنا الحضارية التليدة التي تعكسها بعض المثاليات العريقة والمتاصلة فيطباعنا ومسالكنا الحياتية ، على الا تكون هذه المثاليات عقبة فى سبيل التطور الايجابي الخير ، الذي نعتمده كهدف اساسي وحيوي ومن امكانياتنا الضخمة فى هذا المجال اننا اذا عرفنا كيف توفق بين مقتضى التاصيل الاخلاقي وحاجيات التطور السريع الذي يحتمه منطق الحياة المتجددة فان روح الدين الذي نعتنقه لا تتخلف عن مؤازرتنا فى هذا الميدان بل وتقدم الينا الحلول الواسعة المجدية التي تجعل مهمتنا امرا اكثر سهولة يبقى اذن امر مراقبة التطور الاخلاقي والتحول الحادث فى مضمار المثل الاجتماعية وهذه المراقبة لا تقتضي ـ فى كثير من الحالات ـ العمل على الغاء المثل هذه واستبدالها بغيرها على نحو ساذج ومرتجل وانما تقتضي بالعكس الابقاء على كثير من هذه المثاليات ولكن على اساس تهذيبها وتطويعها لمقتضيات العمل التطويري الواسع الذي نتوخاه فليس من حاجة ـ مثلا ـ الى استئصال القناعة من النفوس واحلال النهم والشره محلها وانما هناك فقط ضرورة لتحديد تاثير هذه القناعة وعدم تركها تفعل فعلا سلبيا يدعو الى المس بمطامحنا ان نسابق الزمن ونغالب التحدي الحضاري القوي الذي يواجهنا به الغرب وغير الغرب ، وكذلك الامر بالنسبة للتماسك العائلي الذي لا يجب ان يتحلل لانه قاعدة بنائنا الاجتماعي الذي نحن متاكدون من صلاحيته لنا وللمجتمعات التي تماثلنا فى الرغبة والاتجاه ولكن هذا التماسك لا ينبغي كذلك ان يبقى ملتصقا بمفاهيم تقهقرية وسلبية كالتعصب العائلي والانانية العائلية وما يتصل بذلك من استحكام الفكرة الطبقية الضيقة ، المنحصرة فى الاسرة الخاصة ، كما هو السائد فى المجتمعات المتخلفة والقبائل البدائية وشبه البدائية .

*

ان البرنامج المدرسي يمكن ان يلعب دورا مهما فى هذا المضمار ، بيد ان الصعوبة التي تبدو بهذا الشان هي ان البرنامج المدرسي ذو تاثير محدود ينحصر غالبا فى الاجيال الصاعدة دون غيرها، ولهذا فان وسائل الارشاد والاعلام العمومية يمكنها ان تكون ـ بدورها ـ ذات اهمية قصوى ـ بهذا الصدد ـ وللكتاب والمسرحيين والسينمائيين والمحاضرين العموميين والشعراء والرسامين ، والموسيقيين ورجال الدين الواعين فى المقدمة ، ما يجوز ان يقوموا به فى هذا المجال ، من دور حيوي لا غنى عنه ، لكن كل ذلك لا يمكن ان يكون ذا جدوى اذا لم يعتمد على نوع من التخطيط المسبق ، يدخل فى عموم التخطيطات التي يمكن وضعها وتطبيقها من اجل تحقيق مبدا التنمية والتطوير ومن المؤكد ان النهضة العامة التي تشمل مختلف البلاد النامية ـ بما فيها المغرب ، والعالم العربي والاسلامي ـ لابد ان تضع فى الاعتبار جملة مقتضيات حيوية من هذا القبيل .

سلا : المهدي البرجالي

ديوان المجلة



الدّنيا

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا ... وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا

وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْـ ... ـهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا

رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لَيَالِيهِ ... وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الإِحْسَانَا

وَكَأَنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا بِرَيْبِ الدَّهْرِ ... حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا

كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً ... رَكَّبَ المَرْءُ فِي القَنَاةِ سِنَانَا

وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ ... نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى

غَيْرَ أَنَّ الفَتَى يُلاقِي المَنَايَا ... كَالِحَاتٍ، وَلَا يُلَاقِي الهَوَانَا

وَلَوَ أَنَّ الحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ ... لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا الشُّجْعَانَا

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ المَوْتِ بُدٌّ ... فَمِنَ العَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا

المتنبي

شرح الكلمات

1) عناهم : اهمهم شغلهم
2) (تولوا) ذهبوا (الغصة) ما يتجرعه المرء من مرارات الزمان
3) (ريب الدهر) حوادثه المقلقة ، ان الذي اعان علينا الدهر كأنه لم يرض بما يصيبنا من محنة حتى اعانه علينا
4) (القناة) عصا الرمح (السنان) حديد الرمح ، اذا سارع الزمان ا لى الاساءة بما جبل عليه صارت عداوة المعادي مددا لقصده نحوك فجعل القناة مثلا لما في طبع الزمان ، والسنان مثلا للعداوة
5) تتفانى) يفني بعضنا بعضا
6) كالحات) عابسات غير ان الذي يسبب هذا التعادي هو سعي رجل في اذلال آخر وسعي قوم في اذلال قوم ، والفتى الحر يفضل الموت على الذل والهوان
7) ولكن الحياة لاتبقى لشجاع ولا لجبان
8) الموت لابد منه والجبان لاينفعه جبنه ، والشجاع لايضره اقدامه فالجبن من عجز الهمة

ذكرى وفاة فقيد العروبة والإسلام محمد الخامس

للشاعر محمد بن حماد الصقلي

من مقام يتم فيه الهناء   ورياض ينالها السعداء
من جنان الفردوس منبر الخيـ   ـر واصل النعيم فاض السناء
غمر النفس والشعور بنور   قدسي فالروح منه صفاء
نزلت بالشعاع من عالم الغيـ   ـب نفوس اصحابها الصلحاء
ان روح الابرار مشكاة نور   فيهم يقتدى ويرجى اهتداء
ان روح الابرار تمسي ملاكا   سابحا في الاكوان كيف يشاء
ملكوت الاله دار قرار   لهم هكذا يكون الجزاء
انهم بوئوا مقاعد صدق   ومع الانبياء كان اللقاء
رفرفت في الجنان في الخلد روح   لعظيم سما به العظماء
نبه الشعب للكفاح واعطى   مثلا يهتدى بها الكبراء
قد تخلى عن النعيم وعرش   وارتضى أن يعيش وهو عناء
لا حطام ولا سرير لملك   هو اجدى اذا يمس الاباء
ثم عاد المليك عودا حميدا   تاجه النصر والوشاح الوفاء
لو رايت الالوف وهي تنادي   مرحبا بالحبيب غاب الشقاء
والايادي تشير والعين تبكي   من سرور وفي اللسان ثناء
والمليك الزعيم ينطق بالذكـ   ـر ويوصي بان يصان الاخاء
لكاني بهجرة هي للحـ   ـق ظهور وللجحود اختفاء
ما توانى ولم يفته انتصار   انما خط كي يشاد البناء
بغتة غادر الوجود ولكن   كان في شبله العظيم العزاء
انه سيد الشباب زعيم   ملك الدين نهجه والوفاء
هو في الحكم عادل ليس ياتي   غير نهج تخطه الخلفاء
هو في الحق قوة ليس يخشى   فذوو باطل هم الضعفاء
هو للعلم ناشر ومريد   عصبة الحق عنده : العلماء
انه قد اقام دار حديث   هي نهج الهدى وهي الرجاء
هي للنور منبع والى العلـ   ـم سبيل وللحديث اصطفاء
لم يعد للفخار عندك حد   فاياديك جلها النبغاء
كيف ياتي على مزاياك عد   عجز الكاتبون والشعراء
رب الهم امامنا سبل الخيـ   ـر وكن للامير نعم الوقاء
واجعل اللهم في الجنان فقيدا   في مقام يتم فيه الهناء

محمد بن حماد الصقلي

بمناسبة ذكرى 11 يناير

أشبان أرضي

للأستاذ: عبد الكريم الثواتي

أشبان ارضي للفداء خلقتم فصونوا حمى ارضي وصونوا حدوديا
دمي وشراييني ، حنايا ضلوعكم سكبت ، وغذيتم دمي ولبانيا
ومن دمكم أسقي خلايا ترائبي فتجري حياة ، هي اصل دمائيا
كلا بعضنا اصل لبعض ، وانكم فروعي ، ومنكم استمد بقائيا
وانتم جذوري في الحياة ، وما ارى لكم غير حضني في النوائب حانيا

* * *

أشبان ارضي ، لا ارى الدهر سيدا بأرضي سواكم ، فلتصونوا وجوديا
فانتم جنودي الأوفياء ، وانني بكم اتباهى شامخ الراس عاليا
جنودي انتم ، لو دعوت اجبتم صريخي ولبيتم سراعا ندائيا
سجية آباء كرام ، على العلا تواصوا ، وكانوا قدوة لشبابيا
اقاموا على هام الزمان مآثرا فهامت بها الدنيا واست امانيا
وما غيركم ، شبان ارضي ، يعيد لي شبابي ويجري في عروقي دمائيا
وما غيركم يحمي الذمار ويبتني على المجد مجدا راسي الأس عاليا
وما غيركم ارجو ليوم كريهة وما غيركم يعلي ـ الدهور ـ مقاميا

* * *

أشباني الابرار ليس كمثلكم اباءا وعزا شامخا وتعاليا
تخذتم جليل المكرمات خلاقكم فعشتم لها حصنا وجندا فدائيا
وهمتم بها وجدا ، سرى في دمائكم يقينا ، وايمانا ، ودينا سماويا
فناديتم كل الورى ، تغدقونهم من المكرمات الخالدات اياديا
ايادي توحي للقلوب بشائرا وتغمر اجواء النفوس امانيا

وايقنتم ان المحامد غاية الحيـ ـاة ، فبعتم هذه ببقائيا
وقد بعتموها ، اذ بذلتم نفوسكم فداء لما يعطي الحياة معانيا
واي اعتبار للحياة نقيمه اذا لم تكن حمدا ومجدا مثاليا

* * *

وآمنتم – شبان ارضي – بانكم هداة الحيارى الضاربين الفيافيا
فاعليتم للحائرين منائرا تبدد ديجورا من الشك طاغيا

* * *

اشبان ارضي ، عشتم الدهر قدوة الشباب وظلتم اسوة وأمانيا
تفدون بالارواح مجدا رفعتمو وتحمون بالايمان كل ترابيا
وما زلتم – والله يشهد – فتية على الحق اهرقتم دماء زجاليا
وما عرفت احناؤكم وقلوبكم ضلالا ، ولكن كنتم الحق هاديا
وحملتم مستبسلين امانة الو جود ، وكان الامر امرا الاهيا
وحملتموها مؤمنين بانكم لها خير اهل يقدرون المراميا
وحملتموها ما تضعضع عزمكم ولكن تحدى النائبات تساميا
ولقنتم الدنيا من الصبر والفدا دروسا ، بها اسمو ، وازهو مباهيا
ولا زلتم – والله يكلأ خطوكم – لكل المعالي ركنها المتناهيا
فدتكم نفوس العالمين ، وانكم ظللتم لها دوما ملاذا وواقيا

فاس : عبد الكريم التواتي

الحديث المطول

قال احمد بن الطيب : كنا عند بعض اخواننا ، فتكلم ، وأعجبه من نفسه البيان ، ومنا حسن الاستماع حتى افرط . فحصل لبعض من حضر ملل فقال : « اذا بارك الله فى الشىء لم يفن ، وقد جعل فى حديث اخينا البركة ..



قال لي صاحبي ، وقد طال شعري ... وتدلى على القفا وترامى :
« قد تأخرت عن زيارة حجا ... مك شهرا ، والشعر صار لماما !
فلنلج موقعا لاول حجا ... م ، تلاقي مكانه قداما »
فاذا بي امام قاعة حلا ... ق ، انيق ،تفوح منه الخزامى ،
ودخلنا مستانسين فابدى ... بهجة وانحنى ورد السلاما
فشكرنا صنيعه بيننا سـ ... ـرا ، وقلنا : (انعم به حجاما
ما راينا كلطفه وكترحيـ ... ـبه ، للناس ينحني اعظاما
يستميل القلوب بالبشر حتى ... ياخذ اللب خفة وانسجاما
مشرق الوجه ، باسم الثغر ، جـ ... ـذاب المحيا ، وكامل هنداما)

* * *

قال لي ، بعد ما استرحت : « تفضل ... فوق ذا الكرسي المقام اماما »
آخذا في ترتيب ما سوف يحتا ... ج يوالي حفاوة واهتماما
وانبرى للحديث غير مبال ... بعد ما التام بالهدوء التئاما
كان يجري حديثه عن مبارا ... ة فريق قد نال فيها انهزاما
غاضبا ، حانقا ، على خصمه الغا ... لب ، يبغي لو استطاع انتقاما
وكثيرا ماكان يضرب راسي ... بيديه ، لكي يبين الكلاما
فحسبت المكان اصبح ميدا ... ن مباراة بنت ريح ، ترامى
وتعالت اصوات اخذ ورد ... من فريقين ، صار بعد خصاما
حين والى حديثه بعد وكز الـ ... ـراس مني فكاد يدمى لكاما

* * *

قلت : ياذا ، بالله بالله ، رفقا ... ذاك راسي ، رفقا به واحتراما
قال : (عفوا يا سيدي .. كنت احكي ... لك ما راج ، فاحتدمت احتداما
غاب رشدي فخلت راسك هذا ... كرة ، كم ارى بها مستهاما)

فنعمنا بالصمت وقتا قليلا بعد ما ضمد الكثير كلاما
قلت :) يكفي) ، فقال : كلا ، وهذا جانب منه لم يسو تماما
قلت : اخشى تثور اخرى فابقى دون راس ، يا رب سلم سلاما
فتسللت هاربا وهو يجري من ورائي يقول : لم ذا ؟ على ما ؟
جلم في يد ، واخرى بها المو سى : تعال : يقول ، ماذا حساما :
(لاتخف سيدي ، فقد عاد رشدي لا تخف ـ بعد ان افقت ـ حماما)

* * *

انا اجري والناس حولي تجري! وهو من خلفنا يصيح ... الى ما ؟
كل ماش غدا يهرول خوفا ! واختلال المرور ساد النظاما !!
وتوالى الصفير من كل ركن لينجي ذاك الخليط ، الصداما
ويهدي من روعه المتناهي ورجال الانقاذ هاموا هياما
لا حريقا ، ولا قتيلا ، راوه في سبيل مدرجا ، او حطاما
غير حجامنا الذي لم يزل يصـ ـرخ في الشارع المليء ازدحاما :
« ابن بلفى ؟ ؟ قلم اتم له التز يين ، ردوه لي .. جزيتم كراما »

سلا : عبد المالك البلفيثي

حجام !

اذا لمع البرق في كفه
افاض على الوجه ماء النعيم
له راحة ، سيرها راحة ،
تمر على الوجه مر النسيم

قصص من الحياة

للشاعر: محمد أحمد حيدر

رحت اصغي لليل تمزقه انـ   لحـديث يعيش ملء شعوري
رحت ارنو للبؤس . لليتم . للحـ   ـرمان . للجوع . للشقاء المرير
رحت ارنو للنار . للحطب اليـ   ـابس . للجور . للظى . للسعير
رحت ارنو للفقر من عالم الحـ   ـس أجوب الآفاق في تفكيري
رحت أصغي للناب . للظفر في أ   شلاء طفل حلو السمات غرير
رحت أصغي لليل تمزقه أنـ   ـاة طفل في مخدع مهجور

* * *

رب طفل مكرم مسه اليتم   صغيرا يا لليتيم الصغير
صرع الموت أمه وهو لم يبلغ   من العمر غير بعض شهور
فاذا الطفل لقمة في يد الـد   اء هزيل مكبل بسرير
يغمض الجفن ثم يرنو كأن الـ   ـطفل في العالم الاخير . الاخير
يتلاشى الأنين حينا . وحينا   يتعالى بآهة وزفير
ايه ربي ماذا أقول وقد أعـ   ـرض عن زخرف الحياة ضميري

* * *

رب ذي اسرة عديم عديم   عاش بين الآمال والتقتير
عيشة تقتل الشعور وتودي   بالنهى . بالجمال . بالتفكير
رب يوم لم يغتنم عملا عند   غني ولا بحقل امير
عاد للبيت يحمل الهم والحـ   ـرمان في الخافق الحزين الكسير
عاد للكهف . للدجى . للأسى . للبـ   ـؤس . للكوخ . للبناء الصغير
فاذا الزوجة الحزينة والاو   لاد بالباب بانتظار البشير
واذا البيت مأتم يقف الوا   لد في بيته وقوف الاسير
اسرة حطم الشقاء جناحيها   فمالت ولم تجد من مجير
انفس عضها الشقاء واجـ   ـسام خفاف كئيبة التعبير
ووجوه صفراء منهوكة تقرأ فيها   خير سفر لعالم تحرير
وعيون منهوكة اطفأ الجـ   ـوع سناها رغم الصباح المنير
قصص في الحياة تبعث في النفـ   ـس الاسى رغم حاليات العصور
قصص حية على ضفة الأيـ   ـام تروى على ممر الدهور

جبلة : محمد احمد حيدر



عشت في خمر طيبها وبهاها ... وهي مثل الملاك قدرا وجاها
كنت اهفو لها بكل وفاء ... فابانت صدودها وجفاها
كم بذلت النفيس من كل شيء ... فاذا بالدلال فيها تناهى
زادها الفنج روعة وجلالا ... وفؤادي لم يفتتن بسواها
ورأتني اذوب شوقا ووجدا ... بالقلبي اذا بدت شفتاها !
خلتني كالخيال في مقلتيها ... فاذا بي اشقى بحضن هواها
حبذا الياس في الغرام لأني ... في الغرام المحروم قد اتباهى
وشظايا حشاشتي قد تهاوت ... ليت محبوبتي تعير انتباها
خيبت في الحياة كل رجائي ... وانا الشهم لم اخيب رجاها
شمتت بي ولم تؤاس جواحي ... وفؤادي يئن تحت خطاها
داست الود والوفاء بكبر ... واعانت منافسي برضاها
كنت آلفتها فغرت وما كـ ... ـنت لأشقى بغدرها ونواها
كم اقاسي من قسوة القلب فيها ... فالى الله اشتكي من جواها
قد غوتها الاطماع والروح عميا ... ء، مع الليل قد تمادى سراها
انا ارثي لحالها في شحوب ... وفؤادي في الذكريات بكاها
آن مأساتي الخطيرة صارت ... آية منطق الزمان رواها
انني نغمة تنوح مع الذكـ ... ـرى، ولكن قد استمر صداها
رحم الله (طوفان) اذ قا ... ل مقالا له اروم اتجاها :
(وردة تبهر العيون، ولكن ... كثرة الشم قد اضاعت شذاها)
شربت من دمي التقي كؤوسا ... قانيات ضجت بها وجنتاها
عشت في لذة العذاب اسيرا ... تحت معبودتي وظل حماها
صرت اشقى ليسعد الغير كالـ ... ـشمعة ذابت لكي يلوح سناها
احرق المهجة البريئة بالشو ... ق، ونفسي حب الجميل هداها
كم اناجي في الورد من ذكريات ... حالمات الانفاس لذ لقاها
بينها وردة سكبت عليها ... مدمعي كالندى يؤم صباها
توج النور هامة البدر، لكن ... قد اتى الليل قاتما فطواها
هكذا اسدل الستار على المأ ... ضي، واشكو من دميتي وقلاها
نضب الكاس في يدي، وبنفسي ... نغمة تجهل الفنون غناها
انني تائه غريب فريد ... وفؤادي في بأسه لا يضاهى
من مجيري من لوعتي غير من كا ... ن قريرا بمهجتي فكواها ؟
ذبلت وردتي، وهان شبابي ... واعتراني من امرها ما اعتراها
كان قلبي يهفو لها، فتولـ ... ـت وخي في الحلم أن لا يراها
انما الورد يعتريه ذبول ... في ايادي لئيمة في عماها
ذبلت وردتي على يد غيري ... حين ظنت احبابها كعداها
كنت اسقي ترابها بدموعي ... لكن الطيش في الربيع جناها
فأتتها عواصف ورياح ... وطواها النسيان ثم رماها

الرباط : محمد العلمي

على هامش المعركة



للأستاذ: عبد الله العمراني

اليوم يوم الاثنين رابع اغسطس 1578 م (30 جمادى الاولى 986 هـ) ، والوقت صباح ، والمكان قرية « تمسيلة » من فرقة الحايط السفلى من قبيلة بني مصور التي تجاور فحص طنجة من ناحية الجنوب ، وتقع في الوسط بين مدائن طنجة وتطاوين واصيلة ، فاذا رسمنا دائرة وجعلنا محيطها يمر بتلك المدائن الثلاث ، كانت قرية تمسيلة مركز الدائرة على وجه التقريب .

يتضح من السماء الصحو الصافية الاديم ، ومن اشعة الصباح المشرقة ، ان اليوم سيكون حارا مثلما تكون عليه — في العادة — ايام اغسطس المفرطة الحرارة ، التي تلفح الوجوه ، وتحيل الوانها ، وتضفي عليها دكنة او سمرة تتسم بها — في الغالب — وجوه القرويين سكان البادية ، الذين لا يجدون في حركاتهم ، وفي سعيهم من اجل شؤون الحياة ، ما يحتمون به ، او يظللهم في غدواتهم وروحاتهم ، مثلما يجده سكان المدن من الظلال الوارفة التي تضفيها عليهم اشجار مزروعة متكاثرة ، وجدران منازل عالية ، تنشر ظلها مسافة معينة ، ولكنها كافية لحماية من يلجأ اليها من حرارة الاشعة اللافحة .

اصبحت قرية تمسيلة في هذا اليوم هادئة كالهدوء الذي يسبق العاصفة او يلحقها . ذلك انها في الايام القليلة الفارطة ، كانت مثل سائر القرى والمدن المغربية ، تعاني من القلق النفسي ، والاضطراب العاطفي ، ما يعجز القلم عن وصفه ، ويقف الفكر امامه حائرا لا يدري ما ياتي وما يدع من الافكار .

وقد ساعد على ذلك القلق النفسي ، والبحران الفكري ، ما احاط بالبلاد من ظروف صعبة ، ومن ازمات سياسية متلاحقة ، يشد بعضها بخناق بعض ، ويلاحق آخرها اولها فيلحقه ويكاد يسبقه .

واهم تلك الازمات ، بل اخطرها ، تلك التي كانت تكمن في مسألة وراثة العرش ، فقد كانت — وفي فترات مختلفة من تاريخ المغرب مثار جدال ونقاش ، بل كانت عاملا من عوامل النزاع الملح ، والعراك المتواصل ، فلا يكف المتعاركون الا حينما يتضح الصبح لذي عينين ، فينتصر الحق على الباطل ، او يتغلب القوي على الضعيف وان كان الحق بجانب هذا دون ذاك .

وآخر ازمة من هذا القبيل ، تلك التي تمخضت عنها ولاية محمد المتوكل على الله ابن محمد الشيخ السعدي ، عرش المغرب. فقد كانت ولاية لم يرض عنها عماه عبد الملك واحمد .

ان محمد الشيخ السعدي الذي اغتاله الاتراك ، كان يرى ان تكون الخلافة — امارة المومنين بالمغرب — للاكبر سنا من اولاده او عقبه . وهكذا تولى — بعد اغتياله — ابنه الاكبر عبد الله الغالب بالله ، وكان من الطبيعي ان يتولى بعد هذا الامير ، اخوه عبد الملك ، ولكن عبد الله الغالب بالله — وقد نسي فيما يظهر او تناسى فتنة الامين والمامون العباسيين عهد بالولاية لابنه محمد بدل اخيه عبد الملك ، فما كان من هذا واخيه احمد الا ان لجأ الى الخارج ، فذهبا الى الجزائر التي كانت آنئذ خاضعة لسلطان الدولة العثمانية ، ثم ذهبا بعد ذلك الى القسطنطينية ، عاصمة تلك الدولة .

ومنذ حلا بهذه البلاد ، وهما يسعيان بمختلف الطرق للحصول على تأييد السلطان العثماني ومعاضدته ، وعلى مساعدته لهما بالمال والرجال ، كي يسترداد عرش ابيهما المغتصب .

وقد حظي الاخوان بالمساعدة التركية ، ودخلا المغرب ، فنازلا جيوش ابن اخيهما محمد المتوكل على الله ، وهزماه في كل المعارك التي خاضاها ضده وضد جيوشه .

وكان نصرا عجيبا قد يحار المرء في تعليله ، او في اختيار التعليل المعقول : فهل هو نتيجة كره عام لحكم المتوكل او

لشخصه ؟ ام هل هو نتيجة سعد وحظ كان يرافق عميه الاخوين عبد الملك واحمد ؟ ام هل هو ثمرة الايمان الصادق ، والحق الواضح الابلج ، الذي كانت تكتسيه قضية هذين البطلين ؟

مهما يكن من امر ، فان آخر ازمة ترتبت على عزيمة المتوكل ، وفراره الى الخارج ، هي لجوؤه الى احدى الدول الاجنبية ، يستعديها على المغرب ، ويسعى بوساطتها في استرداد عرشه ، ولو بالعوض الذي قد يكون فادحا ، وبالشرط الذي قد يخل بالسيادة الوطنية .

ان هذا العمل في حد ذاته ، منقصة تحط حتى من قيمة الشخص العادي ، فما بالكم بمن كان ملكا ، وصار يريد استرجاع ملكه باي ثمن ، فيعد الاجنبي ، ويهبه جزءا من تراب بلاده ، ويترك ولده رهينة في عاصمة البرتغال ، كبرهان على اخلاصه ، وصدق دعواه في انجاز الثمن !!

امام هذه الوعود المعسولة ، يقف المرء عاجزا ، فلا يستطيع ان يجزم بانها كانت صادقة او كاذبة لانه لا يدري ما اذ كان التاريخ سيلوي عنها كشحا ، ويختط نهجا آخر يسلكه ويغير مجراه ، فيحدث شيء آخر غير ما يتوقعه المتوقعون ، ويؤمله المؤملون .

ولم يكن احد يدري هل في الامكان ان يثمر استنجاد المتوكل بضون سباستيان ، ثمرته ، ويؤتي اكله ، فينجح — لا قدر الله — اعتداء البرتغال على بلاد المغرب ؟ في هذه الحالة فقط كان يمكن التفكير في صدق دعوى المتوكل او كذبها ، في اخلاصه في تنفيذ الشروط المعطاة ، والوعود المعسولة التي قطعها على نفسه ، او عدم اخلاصه .

اما اذا حدث العكس من ذلك تماما ، فلم يحقق الاستنجاد نتيجته المرجوة ، ولم يفلح الهجوم في القضاء على الروح الحربية العتيدة او قهرها ، فلا يبقى حينئذ مجال للتفكير في اي احتمال آخر مضاد ، وتنقلب اوضاع المتآمرين على المغرب رأسا على عقب ، وتبوء مؤامرتهم بالفشل الذريع ، ويمنى المغيرون بالهزيمة المنكرة ، ويخرج المغرب من المعركة عالي الرأس ، موفور الكرامة ، ويبقى المغاربة هم المغاربة دائما : ابناء « الامازيغ » احرار في بلادهم ، يأبون الضيم ، ولا يستكينون الى الهوان ابد الدهر .

كل هذه الافكار المتضادة ، او بعبارة اصح ، كلتا النتيجتين المتباينتين المترقبتين ، كانت تشغل بال اهل المغرب من ادناه الى اقصاه . وربما كانت تشغل حتى بال اولئك الذين هم خارج المغرب من سكان شبه جزيرة ايبيريا ، وبالاخص سكان البرتغال ، الذين ابدى ملكهم من الشجاعة والاقدام ، ومن الطموح والطمع ايضا ، ما اسرع بمقتضاه الى تلبية رغبة ملك المغرب المخلوع ، غير حاسب للامر حسابه العسير ، وغير معير لنصائح من اسدوا اليه النصيحة من علية قومه ، ما تستحق من الالتفات والاعتبار .

اننا اليوم — كما سبقت الاشارة — في صباح يوم الاثنين رابع اغسطس 1587 ، وفي قرية « تمسيلة » من قبيلة بني مصور الجبلية . وهي تكاد تخلو في ايام هذه « الحركة » — مثل سائر القرى الشجاعة اثناء سائر « الحركات » — من كل قادر على حمل السلاح . لقد جند هؤلاء جميعا ، وحملوا السلاح ، وتدربوا عليه تدريبا اوليا بسيطا ، فانتفع اولئك الشبان الذين كان ينقصهم مثل ذلك التدريب ، و « قبل الرمي يراش السهم » كما يقول المثل العربي القديم .

اما الذين تعدوا طور الشباب فحدث عنهم ولا حرج ، فهم لطول مرانهم على استعمال السلاح ، لا يحتاجون الى اي تدريب .

الا ما احلى تلك الروح التي حدت بالجميع ان يتوجهوا لميدان المعركة ، ويلتحموا بالجيوش الاجنبية التي يقودها سباستيان ، وببعض الفرق الضالة التي يقودها محمد المتوكل !! انها روح المدافع عن ارضه ووطنه وعن عرشه الذي ينبغي الا يبقى في مهب الرياح ، تتقاذفه الاهواء ، او يغتصبه الاعداء ، او يعبث به العابثون .

ان للوطن قدسيته التي لا يمارى فيها احد ، وللعرش حرمته ، التي ينبغي ان تصان على الدوام ، وان الحرية التقليدية ، وحب الاستقلال اللذين يتسم بهما المغاربة ابا عن جد ، وخلفا عن سلف ، يجب ان يظلا شاهدين ابديين على انفة هذا الشعب ، وقوة عزيمته التي لا تلين ، وعلى عدم تساهله في كل ما يمس الحرية ، ويسيء الى العقيدة من قريب او بعيد .

الا ما احلى تلك الروح المثالية التي حدت بالعجائز من الآباء ان يسعوا الى قائد القبيلة السيد شاهون ، فيطلبوا منه ان يعينهم ليوم الكريهة ؛ فكان القائد يستجيب للرغبة مكرها حينا ، ويكتفي حينا آخر ، باخذ ابن هذا العجوز او اخي ذاك ، وهكذا دواليك .

وحتى العجائز من النساء اقدمن على التضحية بصدر رحب . لقد رحبن بذهاب ابنائهن للدفاع عن حوزة الوطن ، واظهرن استعدادهن للقيام بكل الاعمال التي كان يقوم بها ابناؤهن او ازواجهن في العادة . وما اثقل هذه الاعمال ؟ وما اشقها في الصيف القروي ! فهي تتضمن الحصاد ، والدراس ، وجمع الغلال ، والتعرض للشمس المحرقة ، والصهد الشديد ساعات طوالا !!

★ ★ ★

في الايام القليلة الماضية ، تعكر صفو الهدوء النسبي بالمغرب ، واقلق راحة سكان الشواطيء الشمالية ، انتهاك حرمة

التراب المغربي ، بنزول جيوش اوربية يقودها ملك البرتغال ومحمد المتوكل ، الذي حاول بمختلف الوسائل ، ان يجمع الانصار من القبائل ، وان يلجيء سكانها - وخاصة في الشمال - الى الانضمام لفريقه الضال القليل العدد .

وتبع نزول تلك الجيوش ، عبثها بأمن البلاد ، وعيثها في الارض فسادا ، مما اضطر سكان هذا الجزء من القطر المغربي ان يجأروا بالشكوى ، ودفع باهل الحل والعقد ان يرفعوا شكواهم لسلطان البلاد ابي مروان عبد الملك ، الذي كان منهمكا في اعداد العدة ، وتهيء الحملة ، لملاقاة المعتدين ، ومنازلتهم ، ورد كيدهم في نحرهم .

وقد وجد سكان قرية تمسيلة في نفير الحرب ، ودعوة السلطان الى الجهاد المقدس ، وسيلة رسمية شريفة للتطوع ، ولغسل العار الذي لحق المغرب ، بوطء الجيوش الاجنبية لترابه المقدس .

حقا ان بعض المراكز الاجنبية او الجيوب ، كانت توجد في شواطيء المغرب ، لكن ، لعل هذه الفرصة السانحة للحرب المقدسة ، ستعيد المياه الى مجاريها ، وستجلي آخر جندي اجنبي وطئت قدمه شبرا من تراب المغرب .

الا ما احلى منظر هؤلاء المجندين القرويين الذين سلحوا انفسهم بالاسلحة الحديثة ، واخذوا ما يناسبهم من الذخيرة والمؤن ، وخرجوا من قريتهم متجهين صوب الجنوب ، نحو مدينة القصر الكبير !

كان اليوم الذي خرجوا فيه يوما مشهودا ، فقد كانت المساحة الواسعة التي تتوسط القرية ، مكانا للتجمع والوداع : وداع الآباء والامهات لفلذات اكبادهم ، ووداع الاخوة واهل القرية لاخوانهم واصدقائهم . لقد كانت الدموع تترقرق في مآقي الكثيرين ، ويحار المتأمل في تلك الدموع ، فيجد صعوبة في تفسيرها :

هل هي دموع الحزن لفراق الاحبة والاصدقاء والخلان ؟ ام هل هي دموع الفرح الذي يعتري الانسان عند ما يحس انه يقوم بالواجب ، ويستجيب لنداء الوطن ، ولرغبة السلطان ، فيرتاح ضميره ، ويطمئن باله ، ويحس بالراحة التي ما بعدها راحة ؟

هل هي دموع الامل في المستقبل المجهول الذي يقبل عليه اليوم ابناء المغرب قاطبة ، وابناء القرية خاصة ؟ ام هل هي دموع المفاجأة انهمرت تلقائيا ، ونتيجة لما اوحى به الموقف الذي كان ينضح اناؤه بكثير من معاني الاريحية ، والشهامة ، ونكران الذات ، وحب الدفاع عن الوطن ، ومقدسات البلاد ؟ ؟

مهما يكن الداعي فان الدموع ترقرقت في عيون ، وانهمرت من عيون ، وتعالت صيحات التشجيع والترتيل من جهات مختلفة ، فهذا ينادي ابنه ، وذاك يشجع صديقه ، وذلك يدعو دعاء صالحا للجميع بالنصر والعودة بالسلامة .

والى جانب تلك الصيحات التي عبر عنها الشاعر الجاهلي اصدق تعبير اذ قال :

اجمعوا امرهم عشاء فلما
اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومن تص
ـهال خيل خلال ذاك رغاء

الى جانب تلك الصيحات كانت تتعالى زغاريد النساء كلما قدم فوج جديد من شبان القرية المتطوعين ، او كلما خطب في الحشد قائد القبيلة او احد زعمائها الافذاذ .

وفي العادة ، كان يصحب مثل هذه التجمعات ، سباق الخيل واطلاق البارود المعروف بلعب « البواردية » ، غير ان وجود البلاد في حالة الطواريء ، دعا الى عدم اطلاق اية رصاصة ، حتى لا يحدث ذلك اي تشويش على سكان الجهات المجاورة ، وحتى يمكن توفير « القرطاس » الى وقت الحاجة ، وان الحاجة ماسة الى العتاد الحربي كيفما كان شكله ، ومهما تكن جدواه .

لقد كان المنظر مؤثرا للغاية في الواقع ، وقد استحال ابناء القرية كلها الى اخوان صادقي الاخوة ، بل تحولوا الى افراد اسرة واحدة ، يظلهم سقف واحد ، ويجمع بينهم هدف مشترك ، ويحدوهم امل واحد في النصر المؤزر ، والانتقام ممن بيتوا الاعتداء ، وشرعوا في الاغارة على اطراف البلاد .

وقد تأثر كثير من الحاضرين ، عند ما اصاخوا السمع الى القائد شاشون الذي وقف على نشز من الارض ليقول في الحشد المجتمع :

« ايها الناس ، احييكم تحية الاخ لاخوته ، واشكركم الشكر الجزيل على ما ابديتموه من روح التضحية والاقدام ، ومن التلبية الصادقة لنداء الوطن ، وللرغبة المولوية السامية .

« وليس هذا بدعا منكم ، فقد طالما شهد لكم العدو قبل الصديق ، بمواقف النبل والشهامة ، وبمواطن المجد والفخار . فما انتم الا ابناء بررة لهذا الشعب المغربي النبيل . انكم بما ابديتموه ، وما تبدونه من امارات التشجيع ، ومواقف البطولة ، لجدير بالانتساب الى هذه النبعة الكريمة ، وان الدر من معدنه كما يقال .

« اني باسم السلطة المحلية ، وباسم السلطة المركزيـة ، وعلى رأسها ملك البلاد المعظـم مولاي عبد الملـك ، اتوجـه بالشكر الجزيل لابناء قريتنا : شبانها وكهولها وشيوخهـا ، بناتها ونسائها وعجائزها ، على ما ابـدوه جميعـا من روح الامتثال للنظام وحسن الطاعة التي تجب على كل فـرد فرد في مثل هذه المواقف .

« اما انتم ايها المجاهدون الكرام ، فاني باسـم سلطان البلاد العظيم ، ادعوكم ان تتوكلوا على الله حـق توكلـه ، وتشرعوا في السير على بركة الله ، الى ميدان المعركة ، ميدان الشرف ، ميدان الجزاء الاوفى ، فمن مات منكم ، كتب عند الله من الشهداء والصديقين ، ومن بقي على قيد الحياة ، حاز شرف الدفاع عن حوزة البلاد ، ونال جزاءه يوم القيامة ، وانعم بـه من جـــزاء !! .

« فسيروا على بركة الله ، والى النصـر المحقـق : الى النصر المبين ان شاء الله ! » .

وتعالت صيحات الوداع ، وزغاريد النسوة ، عند ما شرع هذا الجيش الصغير في المسير . كانت طائفة منه تمتطي صهوات الجياد ، يتقدمها القائد ، واخوه ، وبعض وجهـاء القبيلـة .

وكانت طائفة اخرى من المشاة تتقـدم في صفوف متراصـة . وكان يتخلل ذلك منظر البغال التي تحمل فوق ظهرها ما تيسر من الذخائر والمؤن .

وما ان خطت هذه الكتيبة بضع خطوات ، حتى شق عنان السماء ، النشيد التقليدي للمحاربين المغاربة : « صلى الله عليك يا رسول الله (يكررونها ثلاثـا) اجاه النبـي ، جـاه النبـي عظيم ، الجنة للصابرين ، والنار للقوم الكافرين ، الله ينصـر قوم النبـــــي » .

ان ترديد هذا النشيد او الدعاء ، بمثابة نفير عام للحرب ، يكرر المجاهدون بين الحين والآخر ، وخاصة عند الخروج الى الميدان ، او لدى التهيؤ للقتال .

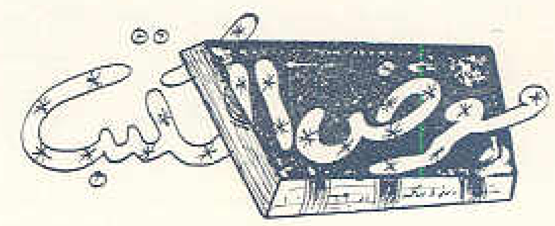
كانت الزغاريد تتعالى عند آخر كل انشاد ، كما كانت المناديل تلوح للمسافرين . وظلت تلوح مدة من الزمن ، وهي تودعهم وتتمنى لهـم الظفـر في الحـرب والعـودة الى مسقـط رؤوسهم سالمين غانمين .

(يتبــــع)

تطـوان : عبد الله العمرانـــي

— العمـــل المتمـــــر —

قال ابو العلاء المعري : « العمل — وان قل — يتكثر اذا اتصـل ودام ، لو نطقت كل يوم لفظة سوء لاسودت صحيفتك في راس العام . ولـو كـتبت كل يـوم حسـنة عـددت بعد زمن من الابـرار . ان اليوم ائتلف من السـاع ، والشهـر اجتمـع من الايـام ، والسنـة من الشهـور ، والعمـر يتكمـل بـالسنيـــن » .



التفكير فريضة إسلامية

تأليف المرحوم عباس العقاد تعليق
الأستاذ عبد القادر زمامة

هذا كتاب من نوع كتاب (حقائق الاسلام) وكلاهما من الكتب التي الفت باقتراح وتكليف من (المؤتمر الاسلامي) وكلاهما من الكتب التي تهدف الى تصحيح المفاهيم في شريعة العقل والدين بين انصارهما وخصومهما على السواء ..

ومن من المفكرين المسلمين في العصر الحديث يستطيع ان يصحح هذه المفاهيم عرضا ومناقشة ونقدا ودراسة ؟

ومن من المفكرين المسلمين في العصر الحديث يستطيع ان يقيس ابعاد حرب الاديان التي شنت عليها منذ قرون ؟

ومن من المفكرين المسلمين صمد في مهب زعازع المذاهب والآراء دفاعا عن العقيدة الاسلامية والحضارة الروحية التي انبثقت عنها والثقافة الاسلامية التي كانت وما زالت الاداة الوحيدة لتناولها وفهمها .. ؟

ولكن الجواب لن يكون سلبا ولا ايجابا ولكنه ـ عمل ـ واضح وضوح الشمس و ـ عبقرية ـ حطمت سائر المقاييس ..

والكتاب الذي نقدمه اليوم احد هذه ـ الاعمال ـ واحدى هذه ـ العبقريات ـ التي ختمت يوم ختمت انفاس المرحوم عباس محمود العقاد . !

وهذا الكتاب صغير الحجم ولكنه زبدة الاسفار وخلاصة السجلات وعصارة الافكار . وهو يتناول قضية التفكير الانساني باعتباره الاداة والفضيلة الانسانيتين اللتين يملكهما الانسان ولا يعطلهما الا اذا تخلى عن انسانيته واصبح شيئا آخر .. !

ففي الفصل الاول من الكتاب يعرض المؤلف العقل الانساني في كتاب الاسلام ـ القرآن ـ عرضا وافيا في شتى الآيات التي تتعلق بتمجيد العقل واعتباره حكما بين الناس ومقياسا لفهم المبادىء والعقائد وتصحيحهما .. وفي هذا الفصل يعرض المؤلف ايضا انواع العقل على ضوء البحوث النفسية والفلسفية .

ـ فهناك العقل الوازع ...
ـ وهناك العقل المدرك ...
ـ وهناك العقل الحكيم ...
ـ وهناك العقل الرشيد ...

واذا كان العقل يعم هذه الانواع كلها فان فضيلة الانسان تتجلى في تدرجه في مدارج العقل من درجة الى اخرى ...

فهناك من الناس من لا يملك الا عقلا بسيطا يكفه عن ـ الجنون ـ فحسب في حين انه لا يملك عقلا حكيما ولا رشيدا . ويفصل العقاد ذلك تفصيلا ويأتي بالآيات القرآنية الكريمة التي تشهد لانواع العقل ومدارجه وحظ الانسان منها وما يفرضه على المسلم من استعمال عقله من اي نوع كان ليضمن لنفسه فضيلة التفكير وفريضته ...

فالعقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد كلها مدعوة للتفكير وكلها مدعوة للفضيلة ، وكلها مدعوة لتحقيق الانسانية في الانسان .. وذلك بنصوص القرآن التي لا تحتمل الجدال ...

ويخرج المؤلف من هذا الفصل بخلاصة هي : « ان الجمود والعنت والضلال غير مسقطة للتكليف في الاسلام وليس لاحد ان يعتذر بها كما يعتذر للمجنون بجنونه فانها لا تدفع الملامة ولا تمنع المؤاخذة بالتقصير » .

وفي الفصل الثاني يتناول المؤلف : (الموانع والاعذار) ويعني بها العوائق التي تعوق العقل عن الانطلاق والحرية والتفكير وفي مقدمتها الاقتداء الاعمى باصحاب السلطة الدينية . والخوف المهين لاصحاب السلطة الدنيوية ... والاسلام حرب على هذا العائق فهو من جهة لا يعترف بأي مخلوق يفرض نفسه للوساطة بين العبد وربه .. فلا كهانة ولا هياكل ، ومن جهة اخرى لا يبيح لاي كان ان يظلم الناس او ان يحتقرهم او يهينهم او ان يسلط عليهم الرعب والفزاع والعذاب .

وبذلك كان الاسلام يحارب عوائق التفكير وموانعه من هذه الناحية وهي ناحية الاقتداء الاعمى والخوف المهين ..

ـ والطاعة في الاسلام طاعة الحق والايمان والعدل

ـ والاقتداء في الاسلام اقتداء واع متبصر عاقل مختار

له مقياس واحد وهو التفكير الصحيح الحر الذي لا ترسب فيه رواسب ولا تملكه الاعراف . ولا تقوده الاهواء .. ولا تفرضه الشهوات .

وفي الفصل الثالث من الكتاب يتناول المؤلف : قضية المنطق .

وهنا يجب ان نفرق بين المنطق والجدل ...

ـ فالمنطق بحث عن الحقيقة من طريق النظر المستقيم والتمييز الصحيح ـ

ـ والجدل بحث عن الغلبة والالزام بالحجة ، قد يرمي الى الكسب والدفاع عن مصلحة مطلوبة وقد يتحرى مجرد المسابقة للفوز على الخصم وافحامه في مجال المناقشة واللجاج ـ

وعلى ضوء هذه التفرقة سار المؤلف في بحثه عن المنطق اليوناني والجدل اليوناني والجدل البزنطي والجدل الاسرائيلي .

وقد قص المؤلف علينا قصة غريبة حقا نقلها عن السيوطي وكان السيوطي قد نقلها عن المقدسي في شأن انتقال كتب الجدل اليونانية من يد الروم الى يد المسلمين بطلب من يحيى بن خالد البرمكي لحاجة في نفسه للكيد للاسلام والمسلمين وشغلهم بالجدل عن الحقائق والاعمال المفيدة البناءة .

ولا مجال لسرد القصة هنا لطولها .. ولكن العقاد يعقب عليها بقوله :

« وهذه القصة تصح في التاريخ اولا تصح فلا شبهة على الحالين في سوء الاثر الذي اصيبت به الامة الاسلامية من آفة الجدل باسم المنطق المزيف فانها اشبه شيء بالنقمة التي يصبها العدو على عدوه او بالمكيدة التي يدسها عليه ليشغله بالشقاق والشتات عن مهام دنياه ومطالب دينه ، وهذه المحنة هي التي ارادها من ارادها بالحظر والتحريم من علماء المسلمين فمنعوا الاشتغال بالجدل سدا للذرائع واتقاء للتفرقة التي تبلبل الاذهان وتفسد القلوب وتجر الى هذه المشكلات اهل الفضول والبطالة فيوبقون معهم طوائف الابرياء من اهل الجد والاستقامة الذين لا طاقة لهم بالمنطق ولا بالجدال » .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى اعلام الاسلام الذين حاولوا نسف علم الجدل من الاساس وهم يعنون ولا شك « الجدل ـ الذي يبلبل الفكر والعقيدة . لا ـ المنطق » الذي يصحح احكام العقل ويتضمن فيما يتضمن القياس والبرهان الصحيح .. وهؤلاء الاعلام هم :

ـ الامام ابو حامد الغزالي

ـ والامام ابن تيمية

ـ والامام السيوطي

وحملة هؤلاء كانت حملة لتصحيح الوضع الفكري لطلاب العلوم والمؤلفين فيها .. وكانت ايضا لرسم الحد الفاصل بين التفكير الاسلامي المستند على العقل السليم والتفكير الجدلي السفسطائي المستند على المغالطات والحيل وحب الغلبة ولو بقلب الحقائق والتدليس والخداع والافحام ..

ويخطيء من يزعم ان الغزالي وابن تيمية حاربا (المنطق) لمجرد كونه منطقا .. ولكنهما حاربا المناطقة والاصطلاحات التي اصطلحوا عليها ، وقد استعمل الامامان الغزالي وابن تيمية قواعد منطقية في كتبهما للدفاع عن آرائهما ولدحض آراء خصومهما ..

ويستخلص المؤلف من مناقشة آراء المسلمين في المنطق ان حرية العقل لا يقيدها في الاسلام حكم مأثور على مذهب راجح او على مذهب مرجوح ..

ولعل هذا الفصل من الكتاب اهم فصوله واجدرها بالدراسة لسببين :

ـ الاول ان المؤلف جعله نافذة اطل منهما على تاريخ التفكير الاسلامي وشاهد منه ما وراء المذاهب والآراء وهو مشكلة الجدل التي كانت السبب في افساد العلوم والعقائد معا .

ـ الثاني : ان المؤلف فرق بين المنطق السليم الذي هو من نتائج العقل الحكيم والعقل الرشيد اللذين هما من عماد الدين .. وبين الجدل العقيم الذي هو مقوض الافكار وهادم العقائد ومزيف العلوم والثقافات .

وفي الفصل الرابع من الكتاب يتناول المؤلف : الفلسفة ومدلولها قبل الاسلام ، وفي عصور الاسلام الذهبية حيث كانت من المواد الثقافية التي شغلت عددا كبيرا من المفكرين المسلمين ودخلت في اهم الابحاث الاسلامية في اللغة والدين والتشريع وعلوم الرياضة ..

وكان هدف المؤلف في هذا الفصل محددا في نقطتين :

الاولى : ان الفلسفة بمعنى البحث عن الحقائق ليست شيئا محظورا او محجرا في تاريخ الفكر الاسلامي .. واتى المؤلف هنا بامثلة من حياة الفلاسفة المسلمين الذين هضموا الفلسفة القديمة وزادوا في البحث اشياء استدعتها ظروف المسلمين الخاصة .

الثانية : ان اضطهاد الفلاسفة ـ ان كان ـ فهو اضطهاد سياسي يهدف الى انتقام او تصفية حساب ، ولا شأن للدين بذلك لان اطار التفكير الاسلامي لا يضيق ولا يتحجر ولا يكبت العقول ولا يهدم الافكار بل على العكس من ذلك فهو يأخذ طريقه الى الناس عن طريق العقل الواعي والمنطق السليم ..

ومن هاتين النقطتين خرج المؤلف الى عرض الاصول الفلسفية للمذاهب والآراء التي دونها كل من ابن سينا وابن رشد .. كما عرض تفكير المعتزلة واخوان الصفا . وغيرهم لا في قضايا الفلسفة الطبيعية بل وفي قضية فلسفة ما وراء الطبيعة وكان عرضه يتسم بالتلخيص والاقتضاب والاحالة على كتبه ورسائله التي تناول فيها هذه الموضوعات من قريب او بعيد .

ويختم هذا الفصل بهذه العبارات :

« وموقف الاسلام اليوم كوقفه بالامس انه لا يضيق بالفلسفة . لانها تفكير في حقائق الاشياء : لان التفكير في السماوات والارض من فرائضه المتواترة ، ولكن المذاهب الفلسفية قد يظهر فيها ما يطيق بالاسلام ويخالفه حينا بعد حين . ولا تثريب على عقيدة يخالفها بعض العقول . لان العقائد لا تطالب بموافقة كل عقل على سواء او على انحراف . وحسبها من سماحة انها لا تصد عقلا على سواء ...

وفي الفصل الخامس يتناول المؤلف قضية العلم . وموقف الاسلام من العلم لا يحتاج الى بيان بعد ان نطق القرآن الكريم والسنة المطهرة بما لا يترك مجالا للشك او الطعن في ان الاسلام دين العلم . والعلم من اسسه ووسائله المعتمدة لفهم الحياة وما فوق هذا الكوكب الذي نعيش فيه ...

ولكن المؤلف على عادته يخط خطا فاصلا بين العلم المبني على تجربة وخبرة . او بعبارة ادق المبني على الكهانات والتخمينات والفروض ، فالعلم الذي يحبذه الاسلام ويجعله اساس سعادة المرء هو العلم المؤدي الى خير الانسان وخير المجتمع وهو في الوقت نفسه مبني على يقين لا مجال فيه للفروض والاحتمالات والتكهنات ويضرب المؤلف لذلك امثلة من اقوال العلماء الذين يحاولون تفسير الظواهر الكونية في السماء والنجوم والاجواء بتفسيرات ظنية فرضية ولا يقنعهم ذلك حتى يعمدوا الى آيات القرآن فيحاولون تأويلها ـ استنادا على فرضهم ـ تأويلا يبعدها عن المقصود منها .

ولا يخاف المؤلف ولا يخشى تلك الاسطورة التي يزعمها الزاعمون ، وهي ان العلم يسير سيرا يناقض الدين ..! بل ان المؤلف تحدى هؤلاء تحديا معقولا مبنيا على برهان لا جدال فيه ، وهو ان العلم ليس الا ثمرة من ثمرات العقل .. والعقل من الاسس التي ينبني عليها الدين فأي تناقض يعنون .. ؟ !

وفي الفصل السادس يأتي دور « الفن الجميل » والفن الجميل لا يعني في نظر العقاد ولا في نظر الواقع الفن المتهتك او الفن الوثني او الفن السائغ الرخيص . ولكنه يعني تذوق الجمال وتفهمه والتمتع بطيبات الحياة وما اودع الله فيها من مباهج ومسرات ...

فالحياة ليست عذابا وليست جحيما وليست مفازة قفراء تلون فيها ولا جمال ولكنها مسرح الاعمال والاقوال ومضمار المواهب والكفاءات فهي جديرة بان يحياها الانسان وجديرة بان لا يحرم الناس من جمالها ...

ونظر الدين في الفن الجميل بهذا المعنى هو نظر الحكمة التي لا يلتوي مفهومها .. والواقع الذي لا تحجبه الاقاويل والترهات والشهوات المحمومة والافكار المنحرفة الشاذة ..

والعقاد متحرر في فهم التصوير والرسم وله في ذلك استناد على اقوال كثير من العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع من الناحية الشرعية ونظروا بسعة افق وتحرر وواقعية الى مقاصد الشريعة ومكارمها ...

وتتابع فصول الكتاب امامنا فنرى فيها فصول :

- المعجـــــزة
- امـــام الاديـــان
- الاجتهاد في الدين
- التصـــــوف
- المذاهـب الاجتماعيـة
- العـرف والعـادات

وفي كل فصل من هذه الفصول نجد العقاد العالم المطلع الخبير الذي يسخر كفاءته وعلمه وفكره لاظهار الحقائق وعرض الحجج والبراهين لتدعيم العقيدة الخالدة في ضمير الانسان ، وهي عقيدة الاسلام وآداب الاسلام وانظمة الاسلام بما فيها الشخصي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي ..

ومنطق العقاد بعيد عن الجدل وحب الغلبة والافحام ، ولكنه رزين ومتعمق لا يفرض فرضا ولا يقلد قولا ولا ينساق مع المواطف ولا يدافع عن الحق الا بالحق ...

ولنأخذ رأيه في المعجزة التي جاءت بها جميع الاديان .. فهو يقول : ان الاسلام جاء بالنواميس الطبيعية التي هي سنة الله « ولن تجد لسنة الله تبديلا » ولكنه يؤمن كذلك بامكان المعجزة لانها ليست باعجب مما هو حادث مشاهد امام الابصار والبصائر .

اذن فالاسلام يضع المعجزة في موضعها من التفكير ومن الاعتقاد فهي ممكنة لا استحالة فيها على الخالق المبدع لكل شيء ولكنها لا تهدي من لم تكن له هداية من بصيرته واستقامة تفكيـــره ...

ولناخذ رأيه ايضا في الاجتهاد والتقليد بعد عرض واف للموضوع قال :

« ان العجز عن الاجتهاد والعجز عن الحياة مقترنان ، وان المسلمين يحتفظون بمكانهم بين امم العالم ما احتفظوا بفريضة التفكيـــــر ... »

وفي التصوف نجـد المؤلف يقسم اهـل التصوف الى قسمـــين :

– اهل تصوف العقـل
– واهل تصوف القلـب

ولكل قسم آداب وآراء ومميزات ثقافية ونفسية ظهرت في الادب الصوفي الذي تركه اجيال المتصوفة في الشرق والغرب منذ قرون .. على ان الاسلام لا يقر :

– مذهـب الحلـــول
– ولا مذهب وحدة الوجود
– ولا مذهب سقوط التكليف

ولكن التصوف بمعنى تطهير النفس ورياضتها رياضـة شبيهة برياضة الجسم لا غنى للمجتمع عنه بشرط الا يتجاوز حده المطلـــــوب .

والتصوف نوع من يقظة الضمير ادى ببعض النـاس في القديم الى « الرهبانية » وادى بآخرين في العصر الحديث الى نوع من « الوجودية » المنطلقة من قيود الاعراف الاجتماعيـة التي تضغط الوجدان تارة وتغلب الضمير تارة اخرى ..

والاسلام يفتح نافذة العقل والوجدان امام ذوي الضمائر الحية المستيقظة حتى لا تطوح بهم مشاعرهم المرهفـة الى عالـم الرهبانية ولا الى عالم الوجودية .

وفي الكتاب الى جانب هذا قضايا خطيـرة في تاريـخ الاسلام اثارها المؤلف خبرته واطلاعه ومنطقه فجاءت في ثوب قشيب . وكأنها قضية اليوم او الامس القريب .

فلسفـــة الحب عنـــد العـــرب

تاليف عبد اللطيـف شـــرارة

قيل عن ابن خلدون انه فلسف التاريخ ... وقيل عن الدكتور طه حسين انه ادب التاريخ .. وقيل عن الامـام ابن حزم الظاهري انه فلسف الحب .. فالفلسفة اذن دخلت التاريخ فجعلت منه مرآة اجتماعيـة تنعكس عليهـا الاحداث والوقائـع والادب دخل التاريـخ فصيـره مرآة تنعكس عليهـا المشاعـر والاحاسيـس والافكار والمذاهب والآراء . فلماذا لا تدخـل الفلسفة الحب فتخضعه هو الآخر الى مقاييسهـا وتوجهـه الى وجهتها ليكون رائدا لعواطف الانسان المدونة سلفا ولوجدانه الملئ بالاحاسيس المنفعلة والعواطف المتأججة ؟ .

حقا ان للحب فلسفـة وهـذا ما شاءتـه ارادة الفلاسفـة والمتفلسفين ... منذ كتب الفيلسوف اليوناني ارسطو عن الحب ودرسه كما يدرس سائر الوجدانيات المنبعثة عن قلب الانسان واحاسيسه الخفية ...

وفي تاريخ الفكر الاسلامي نجد هناك من فلسف الحب على درجات في العمق والسطحية والواقـع والخيال .. فابـن داود الظاهري في كتابه (الزهرة) كان محبا اديبا ، ولكـن تفكيره في الحب لم يكن من العمق بالدرجة التي يصح لنا معها ان نعتبره متفلسفا فيه ... اما ابن حزم الاندلسي فقد خطا في هذا الميدان خطوات ولكنه لم يخرج من كتابه الجميـل (طوق الحمامة) بفلسفة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة .. ولكنه على كل حال كان اعمق ممن سبقه في الكتابة عن الحب والمحبين والعشق والعاشقيـــن ...

وجاء دور رجال التصوف وهنا اصبح الحب فلسفة عميقة حيث ان ابطال التصوف اخترعوا فكرة اتحاد المحب والمحبوب في روح واحدة حتى قال شاعرهم :

انـــا مـــن اهـــوى	ومـــن اهـــوى انـــا
نحـــن روحـــان	حللنـــا بدنـــا
فاذا ابصرته ابصرتـــني	واذا ابصرتني ابصرتنـا

وقال ايضا :

روحـه روحـي وروحـي روحـه
ان عـاش عشـت وان عشـت عـاش

ولهم في هـذا الميدان فلسـفـة معروفـة لا مجال لتفصيـل الحديث عنها الآن ... ولكننا نشير اليها كنوع من انـواع الحب المفلسف ...

وجاء العصر الحديث عصر الدراسات والتحقيقات فبدأ اساتذة الادب العربي يسلكون دروب التجربة التي سلكها من قبلهم من الباحثين في الآداب الاخرى ومن جملة تجاريبهم في البحث تجربة (فلسفة الحب عند العرب) وصاروا يتساءلون :

- كيف نظر الشاعر الى الحب ؟
- ما دور المرأة في الحب ؟
- كيف وقع في اسره ؟
- ما دور الجمال في الحب ؟

الى غير ذلك من الاسئلة وكلها بطبيعة الحال تطلب جوابا .. ولن يكون هذا الجواب الا عن طريق الفلسفة ..

والكتاب الذي نقدمه اليوم هو احدى الحلقات من البحث عن فلسفة الحب عند العرب في الجاهلية والاسلام ..

واول ما نلاحظ على الكاتب انه قدم لنا دراسته بمقدمة عاطفية اكثر منها موضوعية . مع ان الواجب كان يقتضي في (دراسة) ان تبتعد عن كل ما لا يمت الى الموضوع بصلة .. وهكذا كتب لنا المؤلف فصلين من كتابه بعيدين عن الدراسة وهما الفصل الاول والثاني ...

وكان الفصل الاول :

الحب والحياة العصرية

وكان الفصل الثاني :

معالم حضارة عريقة

اما الفصل الثالث الذي اختار له المؤلف عنوان :

شخصية المرأة العربية

فهو بداية البحث والدراسة على التحقيق ، وقد تحدث المؤلف فيه عن شخصيات نسوية احتفظ التاريخ باسمائها كان لها مجال كبير في الحياة الادبية في العصر الجاهلي والاسلامي وقد كان المؤلف الفاضل هنا ناقلا لا دارسا .. نقل من الاغاني .. والعقد الفريد وغيرهما .. ولكنه لم يفعل شيئا غير النقل والاختيار والتعليق المحدود الذي لا يتعدى الشرح والاستنتاج العادي من كل خبر يورده في هذا الفصل ...

وفي الفصل الرابع الذي جعل المؤلف عنوانه .

الحب في الجاهلية ابدى المؤلف تفهما حقيقيا لواقع المرأة في الجاهلية وواقع حياتها باعتبارها المصدر الاول للالهام الشعري عند الشعراء .. كما اعطانا ملاحظات قيمة عن حب الشعراء الجاهليين وفلسفة الكذب والصدق والاخلاص والخيانة في هذا الحب .

وكانت له آراء سديدة متكاملة الاسس في هذا الموضوع لا سيما عند ما اتخذ الشعر الجاهلي دليله للبحث عن عناصر جمال المرأة الحسي والمعنوي في نظر الرجال وما خلد هذا الشعر من قصائد تعد بحق لوحات فنية تنال من الناقد على ممر الاجيال كل اعجاب وتقدير لفلسفة الجاهليين او لمذهبهم في الحب على اصح تعبير ..

ولا نبالغ اذا قلنا ان هذا الفصل من الدراسة هو امتع ماقيها شكلا وموضوعا .

وفي الفصل السادس يتحدث المؤلف عن الهوى العذري الذي خلد الحب العربي المثالي في الصفاء والهيام والطهارة والجمال .. وقد ضرب لنا عدة امثلة من اخبار المتيمين في الجاهلية والاسلام ، ولكنه لم ياتنا بشيء جديد كما فعل في الفصل الخامس ... وعلى الرغم من ذلك فقد كان عرضه شيقا ممتعا .. واسلوبه قويا جذابا امتزجت فيه ذاتية الادب بموضوعية البحث .. وذلك كاف في قيمة الدراسة التي قدمها لنا المؤلف الشاب .

وفي الفصول الباقية من الكتاب يعرض المؤلف الفروسية والغزل .. وفلسفة الحب وتعليلاته والحب والتصوف .. والروماتطيقية العربية والحب والعلم ...

ولا نريد في هذا الحديث ان نرافق المؤلف كل ما قال الا اننا نود ان نعرض الجوانب التي لفتت نظرنا فيها .

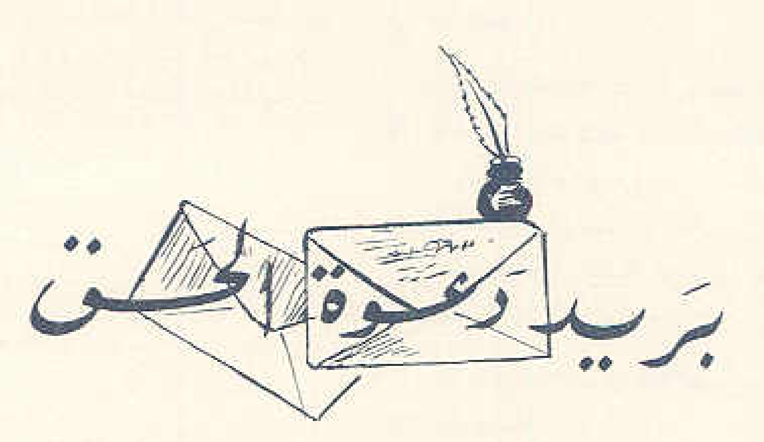
اولا : ان النزعة العاطفية في هذه الفصول اكثر من الروح العلمية الموضوعية وهذا ما جعلها غير معتمدة بالذات ..

ثانيا : التجوز الكثير في استعمال كلمة فلسفة في كل خطوة شعرية .. او عاطفية غرامية .. مع ان الفلسفة تعني فكرة منتظمة ذات مقدمات ونتائج ...

ثالثا : الاستنتاج اكثر من العرض وهذا يعني ان المؤلف مقتنع بفكرة لا يجد السبيل لاقناع القارئ بها ...

ومع هذه الملاحظات فان هذه الدراسة ممتعة ولا سيما في هذا الموضوع الجذاب ..

فاس : عبد القادر زمامة



تلقى بريد دعوة الحق ، خلال هذا الشهر طائفة من الكتب ، والنشرات والرسائل .

كتب مهداة الى المجلة :

فقد حمل الينا البريد هدية من السيد محمد حجي الاستاذ المساعد بكلية الآداب بالرباط ، وهي عبارة عن كتابه : « الزاوية الدلائية ، ودورها الديني والعلمي والسياسي » .

وقد نوقش كتابه هذا امام الجمهور في 18 ابريل 1963 بكلية الآداب بالرباط ، فنال به المؤلف ديبلوم الدراسات العليا بدرجة حسن .

والكتاب يشتمل على بحث تام مفصل عن الزاوية الدلائية من حيث نشأتها وتعاليمها ، وعلاقتها بغيرها من الزوايا ، واهميتها العلمية بالنسبة الى غيرها من المراكز العلمية ، والدور الذي قامت به في نشر الثقافة الاسلامية في المغرب ، ولا سيما في ربوع الاطلس المتوسط وبلاد تادلا .

والكتاب فتح جديد في هذا الباب اذ ينم عن مجهود كبير بذله الاستاذ حجي ، وصبر وجلد في تحري الاخبار ، والحقيقة ان الاستاذ حجي قد اضاف في رسالته هذه الى الخزانة المغربية فائدة محققة في موضوع لم يسبقه اليه احد من الباحثين .

الاسلام والمرأة :

وهذا الكتاب مما حمله الينا بريد هذا الشهر ، وهو للاستاذ الكبير سعيد الافغاني .

والكتاب مفيد وممتع في آن واحد ، ويشتمل على ابواب تندرج تحتها فصول .

والباب الاول يتحدث عن المرأة العربية في نشأة الاسلام ، والباب الثاني عن امهات المومنين ، وفي ازواجه وسبب تعددهن ، وفي التشريع الخاص بامهات المومنين ، وفي اجمال سيرة الرسول معهن ، وفي منزلتهن الاجتماعية ، ومشاركتهن في الامور العامة ، ثم يحتوي الكتاب على ملحق يتضمن الكلام على المرأة والسياسة والمرأة والجهاد .

كما تلقينا من الجمهورية العربية السورية – وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق دفعة جديدة من مطبوعات وزارة الثقافة والارشاد القومي .

ووزارة الثقافة والارشاد القومي انشئت في اواخر عام 1958 لتقدم الخدمات الثقافية والفنية للمواطنين ، وقد قامت بجهود لتعميم وسائل المعرفة خلال خمسة اعوام ونصف من انشائها .

من اجل هذا اصدرت كتابا يحمل عنوان : **وزارة الثقافة والارشاد القومي**، وهو عبارة عن خلاصة توضح فيها ما قدمته من جهود لتعميم وسائل المعرفة ليتعرف القارىء على ما بذلته في هذا السبيل ، وعلى ما تعتزم القيام به من مشروعات ، تجعل الثقافة والفنون في متناول كل مواطن .

ولعل الوزارة اذ تقدم هذه المعلومات الى الجمهور ، يسرها ان يطلع كل مواطن على مختلف الوسائل التي اصطنعتها لبعث نهضة فنية وفكرية تسهم في تكوين مجتمع مثقف مطلع على تطور الحضارة الانسانية ، متفاعل معها .

عصارة الايام :

وهو ايضا من سلسلة روائع الادب الغربي تخرجه وزارة الثقافة والارشاد القومي .

وعصارة الايام تأليف سمرست موم ، وقد عربه الاستاذ حسام الخطيب ، وراجعه يوسف الخطيب . ولقد اجمع النقاد على ان عصارة الايام هو امتع ما كتبه مسوم ، وحين شرع في كتابه كان قد اوفى على الستين ورمى فيه الى عرض آرائه المتعلقة بالموضوعات التي حظيت باهتمامه الرئيسي خلال سني

حياته ، ولم تكن حياته مجرد حياة اديب وكفى : « لقد اردت ان اضع مخططا لحياتي تحتل فيه الكتابة المكانة الرئيسية ، ولكنه يحوي كل انواع النشاط الاخرى التي تليق بالرجل » .

وقد اتى كتابه « عصارة الايام » حافلا بجميع السمات الرئيسية في المخطط ... فالفصول الاولى تعرض طفولة الكاتب وطبيعة الحياة من حوله ، ويلي ذلك الحديث عن مهنة الطالب التي كان مقدرا له ان يحترفها لولا انه نفذ المخطط الذي وضعه لنفسه دون ان يبالي بالعواقب ، ثم يصف رحلاته الى هيد لبرغ وجنوب فرنسا ، وفلورنسة ، وكابري ، واسبانيا . ويخلص من ذلك الى عرض تجربته في كتابة القصة والمسرحية ويخصص فصلا للحديث عن مطالعاته ، ولا سيما في ميدان الفلسفة ، ثم يشرح اراءه في كثير من القضايا التي تؤرق النفس الانسانية كالحق والخير والجمال والدين متابعا خلال ذلك سرد احداث حياته الحافلة بالمفاجآت والتجديد ...

البترول عامل وحدة وانماء في العالم العربي :

هذا الكتاب سلسلة من سلسلات تبسيط العلوم بقلم الدكتور نقولا سركيس ، والدكتور نقولا هو من خير من يمكنه ان يكتب عن البترول العربي .

لقد كانت اطروحته لنيل شهادة الدكتوراة في العلوم الاقتصادية من جامعة باريس عن : (الاقتصاد العربي والبترول) وقد تمكن اثناء ابحاثه من التعمق في دراسة اوجه صناعة البترول المختلفة ، وقد نجح الدكتور نقولا في ان يقدم للقارئ باسلوب ممتع قضية البترول العربي وشرح مشاكله الفنية والقانونية والاقتصادية ، فشكرا للاستاذ نقولا سركيس .

جمعية قدماء الطلبة لجامعة القرويين

بعثت الينا هذه الجمعية نشرة عن نشاطها ، وقد اتخذت منها لسانا لها واداة لربط صلة الوصل بين اعضائها ، والمهتمين بشؤون الفكر والخير في هاته البلاد ...

وقد اشتملت هذه النشرة على المواضيع الآتية : دمعة على القرويين او القرويين المظلومة ، وكلمة بمناسبة موسم الكتاب العربي في المغرب ، ومسابقة ادبية ، وصرخة .

واهداف الجمعية تقوية التعارف بين قدماء طلبة القرويين وعقد صلات ودية بينهم ، والعمل على اصلاح برامج التعليم للمؤسسات التعليمية بالمغرب .

نشر اللغة العربية ، والثقافة الاسلامية ، وذلك بما يأتي :

1) تأليف كتب دراسية ونشر ذخائر المكتبة المغربية .
2) العمل على الاسراع بتعريب الادارة والمدرسة المغربية

3) العمل على نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية في الامم الافريقية بكل الوسائل الممكنة ..

وسوف نبعث لجمعيتكم الفتية اعداد مجلتنا تباعا ، وشكـــــرا ...

في سبيل انشاء دائرة معارف مغربية

سبق للمكتب الدائم للتعريب ان وجه في الصيف الماضي الدعوة الى وزراء التربية والتعليم في اقطار المغرب العربي للعمل على توحيد جهودها في التعريب ووسائل الثقافة والتعليم كما بعث بوفد الى كل من الجزائر وتونس للتعريف بالفكرة والدعوة لها في الاوساط الفكرية والعلمية ، وقد صادفت هاته الدعوة قبولا حسنا من لدن الاوساط الشعبية والرسمية وخصوصا من لدن الطبقة المثقفة الواعية فقد رحبت بالفكرة ايما ترحيب وواعد قادتها بالعمل على تحقيقها نظرا لما تحتوي عليه من فوائد في الحقل الثقافي والعلمي وقد توصل المكتب الدائم اخيرا من الاستاذ البحاثة الكبير عثمان الكعاك باقتراح انشاء موسوعة مغربية قدمه بهاته العبارات « لعل اوفق طريق لتحرير الثقافة المغربية وتصحيح اوضاعها وتبيين ملامحها ودراسة اشيائها واشخاصها وعامة مواضيعها هي انشاء الموسوعة المغربية » للاقطار العربية الممتدة من الاسكندرية الى المحيط الاطلنطيقي ، ويتضمن هذا الاقتراح تسع نقط وهي :

1) تحديد منطقة المغرب العربي جغرافيا وحضريا بالقيام بابحاث دقيقة يتحقق منها وجه المغرب الحقيقي في كل المجالات .

2) التعريف بالاشخاص المغاربة من حيث مهمتهم وانتاجهم ومنتجاتهم في ميدان البناء والتعمير والسياسة والادب والعلم والدين ، وتقسم العصور الى تسعة : الحجري ــ البربري ــ الفينيقي ــ الرومـاني ــ الوندالـي ــ البيزنطي ــ العربي ــ الاستعماري ــ واخيرا عهد الاستقلال . والترجمة لكل شخص ترجمة جامعة مركزة ووضع صورته ان امكن ــ وتذييل الترجمة بالمصادر الضافيـة .

3) التعريف بالمواضع والامكنة بغاية التوسع والتدقيق وذلك بايراد الوصف الحقيقي الجامع والتذييل بالمصادر ووضع المعادلات والمقابلات اذا كثرت اسماء المكان الواحد ، ويجب التنصيص على المسميات الجغرافية الاسبانية والصقلية والمالطية والسردانية باللفظ العربي مع مقابله الافرنجي .

4) ذكر العشائر المغربية (بربرية وعربية ورومانية) .

5) بيان اللهجات المغربية من الاندلسية الى الليبية باثبات اللفظ وامامه نقله الحرفي اللاتيني ، وبيان معناه الثابت او التطويري بالشواهد مع ذكر مختلف معانيه بحسب الامكنة وكذلك مفردات الحضارة مقسمة بحسب الجهات .

6) بيان العلوم المغربية وتقسيمها الى دينية ودخيلة وفلسفيه وتصوفية وايرادها على الترتيب الابجدي مع التنصيص على مراحل النمو والتطور فيها .

7) بيان المعالم والآثار المغربية وايراد وصفها الدقيق المحكم والتنصيص على انواعها واجناسها .

8) الترجمة للادب المغربي في انواعه : ملحمة — موشح — زجل — مديح — ملزومة — الخ . وفي لغاته (بربرية — بونيقية — لاتينية — عربية — تركية) وفي امكنته : (اندلس — صقلية — مالطة — جزائر — الخ) وفي رجاله مع الاحالة على اماكنهم الابجدية وفي اغراضه (تاريخ — تفسير — ونقد — او وصف) وفي مقارناته تأثرا او تأثيرا .

9) ذكر الفنون المغربية من رسم ونحت وموسيقى ورقص وفولكلور وتمثيل الخ .

وتوخذ مصادر الموسوعة من كتب التاريخ بداية لغة وكتب التراجم — والمجلات الاختصاصية والمعاجم على اختلافها ، كما تتألف امانة دائمة لانجاز هذا المشروع من نواب عن شقي افريقيا الشمالية الشرقي والغربي (مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب) ، ومن اعضاء مراسلين عرب ومستشرقين ، وتكون لهاته الامانة صلة وثيقة مع الجامعة العربية وهيأة اليونيسكو للمساعدة الفنية والمالية .

ولا شك ان هذا المشروع يشكل احدى قواعد توحيد الاتجاهات الثقافية سواء منها القديمة او المعاصرة في بلاد المغرب العربي ... وستشكل لجنة تحضيرية في نطاق المكتب الدائم لوضع الخطوط الرئيسية لمطرة انجاز هذا المشروع تمهيدا لتكوين لجنة فنية من خبراء المغرب العربي .

من الجزائر :

رسالة من مالك بن نبي

تسلمنا بكل اعتزاز رسالة كريمة من الاستاذ الكبير مالك بن نبي مدير التعليم العالي لوزارة الارشاد القومي بالجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، وقد جاء في هذه الرسالة :

الى حضرة الاستاذ الفاضل السيد ...

تحية طيبة ، وبعد ،

فردا على خطابكم المذكور في المرجع يسرني ان احيطكم علما باني قبلت دعوتكم ، وسأبعث لكم في المستقبل القريب بموضوع لنشره على صفحات مجلتكم الغراء « دعوة الحق » .

اشكركم جزيل الشكر على عواطفكم النبيلة نحو شخصي ،

واننا لنرجو ان يبعث الينا الاستاذ الكبير ما وعد به حتى يشبع رغبات القراء المتعطشين لانتاجه الناضج الممتع ...

من العراق :

كتب الينا الاستاذ مرعى احمد خليل مرعي ، استاذ العلوم في جامعة ابن يوسف ، واحد اعضاء البعثة العراقية للتدريس في المغرب رسالة رقيقة نحو مجلتنا مظهرا استعداده لكتابة بعض المقالات العلمية التي تتعلق بالفيزياء ، وعن الراديو والتلفزيون، وعملية التلفزة وبعض المواضيع التي تتعلق بالكيمياء ، او ان يعطي بعض المعلومات عن قضية فلسطين ...

والاستاذ مرعى احمد خليل خريج كلية العلوم من جامعة بغداد ، ومدرس لمادة العلوم (الفيزياء والكيمياء) في جامعة ابن يوسف ، وفلسطيني الاصل ، وقد عاش ماساة فلسطين بلحمه ودمه .

واسرة التحرير لترجو ان توافوها بطريف ابحاثكم فمجلتنا تعنى بشؤون الفكر والثقافة الى جانب اعتنائها بالدراسات الاسلامية ...

من سوريا :

كتب الينا الاستاذ الشاعر محمد احمد حيدر رسالة رقيقة تتضمن عواطف ومشاعر نحو مجلتنا ، ويقول :

« اني لفخور جدا بهذه المجلة لكونها ذات نزعة اسلامية صرفة معتدلة وقد حققت هذه المجلة للعالم العربي في مغربه ما يصبو اليه من نزعات دينية وادبية وعلمية وفكرية ... لذلك اطالع اكثر مقالاتها بشغف ، واشعر في اكثر الاحايين ، وكأني في ربوع المغرب العربي الحبيب اتنسم عبيره ، واتطلع الى جميع ما فيه كأنما جمع في لوحة صغيرة واحدة وهذه اللوحة معلقة في ذهني ، ويغلب عليها صفة التصور ... »

شكرا سيدي ، واننا قد نشرنا في هذا العدد قصيدتكم « قصص من الحياة » .

من الجمهورية العربية المتحدة :

الاستاذ الكبير اللامع المكثر السيد احمد انور الجندي من اصدقاء المجلة ، ومن العاطفين عليها ، كتب الينا في الايام الاخيرة رسالة يعتب علينا فيها بانه لم يتسلم المجلة ويريد ان يطمئن على ما بعثه الينا من بحوث ومقالات ...

واننا نشكر الاستاذ على عنايته واهتمامه ونخبره باننا قد نشرنا له في اول عدد من هذه السنة مقالا له يحمل عنوان « الاسلام ازاء الفكر الغربي » ولدينا بحثان هما : « مراجعات في التاريخ الغربي » ، و « الاسلام في غزوة جديدة » وقد نشرناه في عددنا الرابع من السنة الثامنة .

وان المجلة ستفتح صدرها لجميع ما يرد عليها من صديق المجلة الاستاذ السيد انور الجندي ، وستغير العنوان استجابة لرغبتكم ، كما درسنا رسالتكم ، واحلناها على اللجنة المختصة .

ومن المغرب :

انبأنا المكتب الدائم للتعريب بما يلي . انعقد بالامانة العامة للمكتب الدائم للتعريب يوم الثلاثاء 12 يناير في الساعة الثانية عشرة زوالا اجتماع حضره بالاضافة الى السيد الامين العام للمكتب والملحق الصحفي ورئيس قسم النشر والتوزيع ، سيادة الاستاذ محمد علال الفاسي رئيس اللجنة المغربية التي ستقوم بتأليف موسوعة المغرب العربي التي اقترحها الاستاذ عثمان الكعاك الذي يرأس لجنة تونس في هذا المشروع ، والذي يدخل في حيز التطبيق ابتداء من هذا اليوم وستتوالى اجتماعات الاعضاء الذين اختيروا من بين رجالات العلم والمعرفة ابتداء من يوم 25 يناير 1965 حيث يعقد اجتماع اول للجنة يدرس فيه جدول الاعمال وتوزيع المهام على الاعضاء ، ومن المعلوم ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي كان قد بعث الى جميع حكومات اقطار المغرب العربي ومصر من اجل المساهمة في مشروع تأليف موسوعة علمية عربية على صعيد المغرب العربي في حدوده الطبيعية من الاسكندرية الى المحيط الاطلسي تكون نواة اولى لدائرة المعارف العربية التي اوصى بتدوينها المؤتمر الثاني لوزراء التربية العرب ببغداد في فبراير الماضي .

حيرة الشباب وواجبهم نحو الدين

كان هذا هو موضوع الندوة الرابعة التي نظمتها « جمعية الثقافة الطلابية » ضمن برنامجها الثقافي بمشاركة المكتب الدائم للتعريب ، وقد نظمت هذه الندوة تحت اشراف السادة : الدكتور المهدي بن عبود ، والاستاذ محمد العلمي ، والاستاذ ابو بكر القادري .

وقد قدم الدكتور المهدي بن عبود موضوعه من الناحية الفلسفية حيث قارن بين حياة الاسلام في عصوره الذهبية ، وحياة الغرب المادية البهيمية ، ولقد تطرق كذلك الى اسباب الحيرة ، فقال انها ناتجة بالاضافة الى ما قاله الاستاذ ابو بكر القادري من الدعاية الواسعة التي تقوم بها الكنيسة ضد الاسلام ، من الاستعمار المادي ، والغزو الفكري حيث اصبحنا ارقاء عبيدا قاصرين على التقليد فقط ، لا على الانتاج والتجديد .

كما ختم الاستاذ محمد العلمي عرضه بان القى الكثير من المسؤولية على الاسرة ، وعلى علماء الدين الجامدين ، وعن المسؤولين عن الشباب الذين يتظاهرون بالعناية بامره .

شكر ... واعتذار

يحمل البريد الينا كل يوم مقالات وابحاث وقصائد ونشرات وكلها يرجو منا اصحابها نشرها في اعدادنا المقبلة ..

ونحن لوفرة المواد لا يسعنا ان ندرج كل ما يرد علينا من ابحاث في عدد واحد ، بل نحتفظ بالجميع حتى يأتي دوره معتزين بكل ما يرد علينا .

اذ تصلنا قصائد وابحاث فات اوان مناسبتها ، او ان مناسبة ملحة ترغمنا على تقديم ما يلائمها .

واننا نرجو ان لا يؤاخذنا اصدقاؤنا الكتاب والمفكرون ان رأوا منا تقصيرا في ادراج ابحاثهم ، فذلك خارج عن ارادتنا ، وسنعمل بحول الله على نشر كل ما يصلنا على شريطة ان تتوفر فيه العناصر الكفيلة بالنشر .

وختاما ، نرجو ان نكون قد ارضينا قراءنا الكرام ...

تنسموا هذا النسيم

كانت امرأة من العرب تأتي بصبية لها كل يوم ، فتقف بهم على تل عال ، وتقول : « أي ، بني ، خذوا صفو هذا النسيم ، قبل ان تكدره الخلائق بانفاسها » .

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

في بناء المساجد

في اقليم اكادير

ـ وضع جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الحجر الاساسي لخمسة مساجد في مدينة اكادير ، وتفضل حفظه الله فحبس ارضا لبناء احد هذه المساجد من ماله الخاص ، كما حبس على هذا المسجد ما سيساعد على القيام بالشعائر الدينية التي ستقام فيه .

كما تفضل فأمر ببناء مسجد في مدينة كولمين ، ومسجدين باقليم طرفاية ، احدهما بمدينة طرفاية ، والآخر بمدينة طانطان .

ـ شيد المحسن الغيور السيد الحاج علي بن الطاهر الازموري مسجدا بدرب غلف بالدار البيضاء .

وقد توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش بعد ظهر يوم 65/2/12 الى مدينة الدار البيضاء لتدشين هذا المسجد حيث حضر في هذا الحفل الديني رجال السلطة المحلية ، والعلماء ووجهاء المدينة ، وقد القى معالي الوزير كلمة نوه فيها بدور المسجد في خلق المجتمع الصالح ، وتكوين المواطن ، وتربيته تربية اسلامية صحيحة ، كما اشار الى اريحية هذا المواطن المحسن ، وايمانه الصادق الذي حمله على تشييد هذا المسجد ، وتحبيس بعض الممتلكات عليه .

ـ لقد دشن معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش عدة مساجد في الشهور الاخيرة : كمسجد الحسن الثاني الذي يوجد بمدينة القنيطرة حيث توجه معاليه وقام بتدشينه امام جمع غفير من المومنين حيث القى كلمة توجيهية اشار فيها ما للمسجد من اثر كبير في الاسلام حيث كان المسجد يعتبر الخلية الاولى لتربية المومنين المتقين ، وتمنى في الاخير ان يعاد للمسجد ما كان له من دور فعال في التهذيب والتثقيف .

كما سيدشن معاليه في الايام القريبة المسجد الجامع العظيم الذي اسس بمدينة وجدة ، وهو مسجد يعتبر من اكبر المساجد ، تام البناء ، مفروش بالحصر الضرورية مجهز بالمرافق الحيوية التي يحتاج اليها الذين يؤمونه لاداء فرائضهم ونوافلهم وتلاوة كتاب الله وقراءة العلم .

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية جادة في العمل لخلق المساجد وتعميمها وبعث روح الاسلام عن طريقها في ربوع المملكة فلقد اجريت المسطرة في 29 يناير الماضي في بناء مساجد في المدن الآتية : طنجة ، اصيلا ، اولاد سعيد ، والماس السعيدية ، عين الشعير .

كما تهتم الوزارة ببناء مدرسة سيدي الزويين ناحية مراكش لقراءة القرآن حيث يعتبر هذا المسجد دارا للاقراء يتلقى فيه الطلبة القراءات السبع ...

مسجد الشهداء

اعيد بناء هذا المسجد الذي يعتبر في مدينة سلا ، من المساجد العتيقة التي لعبت دورا كبيرا في الحركة الفكرية والنشاط الديني .

وقد تداعت اركانه ، وتقوضت دعائمه في السنين الاخيرة ، فاتجهت نية الوزارة الى اعادة بنائه على نمط عصري جميل محكم ، ورفعت منارته ، فاصبحت تناغي السماء ، وهي تستقبل في شمم وشموخ القادم الى سلا عن طريق الرباط .

كما شرع في بناء مسجد عظيم بكليز بمدينة مراكش ويعتبر هذا المسجد استجابة لحاجة السكان الذين تقاطروا للسكنى في هذا الحي العصري مما جعل الوزارة تستجيب لرغبات المومنين .

ولقد بدا العمل في اقامة بناء مسجد بمدينة الخميسات التي اصبحت حاجتها ماسة الى بناء مسجد آخر لاقامة الشعائر الدينية ، والتوجه الى الله عن طريق عبادته .

مسجد الحسن الثاني

ولقد دشن معالي الوزير السيد احمد بركاش مسجد الحسن الثاني بمدينة مكناس في شهر رمضان المعظم حيث صلى فيه صلاة العصر مع جموع غفيرة من المومنين ، ولقد تليت آيات بينات من الذكر الحكيم ، وتوجه المومنون الى الله العلي القدير ورفعوا اكف الضراعة والابتهال في ان يحفظ مولانا الامام ، ويبقيه ذخرا وملاذا لهذا الوطن الغالي ، حتى يقيم لهذا الدين اسسا متينة من التقوى .

في نطاق الابحاث

وفي نطاق الابحاث التي تقوم بها وزارة عموم الاوقاف لمعرفة الحالة التي توجد عليها الغارسات القديمة ، وهل تعود فائدتها بكامل النفع على الاحباس ، فقد وقعت مقارنة بين ما كانت نتيجة بعض الاراضي الحبسية بصفرو قبل تشجيرها باشجار الزيتون وما صارت نتيجة بعد ادخال هذه العملية في حيز التطبيق ، وتعتبر الارقام الآتية كافية لابراز اهمية الطريقة التي تتبعها الاحباس في استثمار اراضيها باحسن الوسائل واضمنها .

نظارة صفرو

قبيلة مزدغة السوق

اسماء الاراضي	واجب الكراء قبل عملية التشجير	دخل الارض بعد الشروع في بيع غلالها
الصفاري	2در50	175در66
تعشعشت	2در00	67ر77
المنقاع	6در50	30در05

قبيلة عزابة

اسماء الاراضي	واجب الكراء قبل عملية التشجير	دخل الارض بعد تطبيق عملية التشجير وبيع الغلة
سلا السفلى	13در00	106در88
سلا العليا	2در50	276در58

قبيلة البهاليل

اسماء الاراضي	واجب الكراء قبل عملية التشجير	دخل الارض بعد تطبيق عملية التشجير وبيع الغلة
مرجع القلايع	2در50	38در88
فريج الصفاف	11در50	41در01

قبيلـــة الشادكـــة

اسمـــاء الاراضي	واجب الكراء قبل عملية التشجير	دخل الارض بعدغرسها والشروع في بيـــع غلالهـــا
الكـــوشـــة	1د75ر	101د00ر
العزبـــة والمرجـــع	1د00ر	249د04ر
ابـــن عمــــران	1د25ر	165د00ر

ادارة الشـــؤون الاسلاميـــة

ـــ يتهمك قسم الشؤون الاسلامية هـــذه الايـــام في الترتيبات اللازمة التي سيتخذها هذا القسم في تنظيم موسم الحج لهذه السنة .

وهكذا فقد اتخذت الاجـــراءات الضرورية فيما يخص اثمان السفر عن طريق البر ، والبحر ، والجو ، ومواعيد خروج الطائرات ، والبواخر ، وكذلك القدر المالي المقرر من طرف وزارة المالية من العملة السعودية والاجنبية لكل حاج .



أنباء ثقافية

※ انعقد في منتصف شهر رمضان بقاعة الغرفة الفلاحية بالرباط المجلس الاعلى لرابطة علماء المغرب في دورته الاولى لسنة 64-65 كما كان مقررا . وقد كان جدول الاعمال يتعلق بدراسة مذكرة خاصة بالتعليم تنوي الرابطة تقديمها لصاحب الجلالة بناء على تقارير واردة من مختلف الفروع الى جانب نقط اخرى .

※ صدر عن الاذاعة الوطنية كتاب «7 ايام في تونس» يتضمن تسجيلا وافيا للزيارة الملكية لتونس التي كانت بتاريخ 5 دجنبر الى 12 منه مزينا بصور عديدة تمثل مراحل زيارة جلالة الملك لهذه الديار الشقيقة ، كما يتضمن باقة من القصائد التي قيلت في عدة مهرجانات تكريما للزيارة الحسنية . ويقع الكتاب في 140 صفحة .

※ نظمت جمعية اصدقاء «المعتمد» بشفشاون مهرجانا كبيرا احتفالا بذكرى الشاعر التونسي ابي القاسم الشابي ، القيت فيه بحوث وقصائد تناولت حياة الشاعر وانتاجه .

※ صدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي كتاب «مستودع العلامة ومستبدع العلامة» لمؤلفه ابي الوليد ابن الاحمر . قام بتحقيقها على نسختين الاستاذ السيد محمد التركي التونسي وراجعها وعلق عليها الاستاذ محمد بن تاويت التطواني ، كما صدر عن نفس المركز العدد التاسع من مجلة «تطوان»

※ قدم وفد من قدماء تلاميذ القرويين عريضة لصاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله طرحوا لجلالته فيها الوضعية المؤلمة التي تعيش عليها جامعة القرويين وذلك في مقابلة بالديوان الملكي وقد اعرب جلالته لهذا الوفد عن اهتمامه بهذا الموضوع .

※ زار المغرب في غضون شهر رمضان الشيخ الفاضل بن عاشور مفتي الديار التونسية وقد ساهم بالقاء درسين دينيين ضمن الدروس الدينية التي تلقى بضريح مولاي الحسن ويحضرها جلالة الملك والشيخ ابن عاشور من علماء تونس ومن الذين يسهمون في الثقافة العربية الاسلامية بحظ وافر

※ اقام المركز الثقافي الاسباني بالرباط مؤخرا سهرة ثقافية تخليدا للذكرى المائوية الاولى لميلاد المفكر الاسباني ميكيل ذي اونامونو .

※ «الثورة والعمل» لسان حال الاتحاد العام للعمال الجزائريين عادت الى الصدور بعد ان تولت ادارة تحريرها لجنة جديدة من الكتاب والصحفيين القوميين .

※ تأجل مهرجان ابو القاسم الشابي الذي كان مقررا عقده في تونس في اواخر فبراير الى 7 اكتوبر المقبل وذلك لان مؤتمر الادباء العرب سيعقد في اواخر هذا الشهر في بغداد .

※ صدرت في القاهرة الكتب التالية : «فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة» للدكتور محمد علي ابو ريان . «أضواء جديدة على الحروب الصليبية» للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور «الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» للدكتور محمد البهي «العامل الديني في الشعر المصري الحديث» للدكتور سعد الدين محمد الجيزاوي . «مدخل الفقه الاسلامي» للدكتور محمد سلام مذكور «طريق الانسان العربي الجديد» لمحمود الشرقاوي . «نساء القرن العشرين» لبرناردشو ترجمة الدكتور جمال الدين الرمادي . «الزواج والطلاق في الاسلام» لزكي الدين شعبان . «الاسد» للكاتب الفرنسي جوزيف كيسل ، ترجمة ميشيل تكلاه «حياة قلم» لعباس محمود العقاد ، تقديم طاهر الطناحي . «ادب امير البيان» لاحمد الشرباصي «مطلع النور»

لعباس محمود العقاد . « الافيون » رواية لمصطفى محمود « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية» للقائد عبد الله التل . « شعراء الاسكندرية فى العصور الاسلامية » لعبد العليم القباني . « المصري فى ظل الحكم العثماني » لمحمد سيد كيلاني . « قصر على النيل » لثروت اباظة . « شاعرات عربيات » لروحية القليني . «الامام الادريسي وأثره فى الجغرافيا » لمصطفى محمد كامل . « من ادب الجريمة» للدكتور السعيد مصطفى السعيد « علم النفس الصناعي » للدكتور محمد عثمان نجاتي . « تاريخ الطبري » تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم . « ابن المعتز العباسي » للدكتور احمد كمال زكي .

※ ستوفد دار الكتب المصرية بعثة الى الدول العربية تصور فيها مخطوطاتها النادرة .

※ نوقشت بكلية حقوق القاهرة رسالة الدكتوراة التي قدمها عبد الغني سليم البشري موضوعها « اثر القوميات فى الحركة القومية العربية » وكانت لجنة الحكم مؤلفة من الدكاترة : سليمان الطماري ، وطعمية الجرف ، واحمد كمال ابو المجد .

※ عين الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد عميدا لكلية الدراسات العربية بجامعة الازهر .

※ محمد احمد محجوب وزير خارجية السودان سيصدر قريبا ديوانه الذي يضم قصائده تحت عنوان « النيل » .

※ الشاعر السوداني محمد مفتاح الفيتوري صاحب ديوان « اغاني افريقيا » يعد للطبع ديوانا جديدا استمد موضوعه من تاريخ السودان فى فترة المهدية .

※ صدر فى القاهرة ديوان « انغام حالة » وهو الديوان الثاني للشاعرة روحية القليني .

※ رشح اعضاء المجتمع اللغوي الشاعر احمد رامي للجلوس على كرسي الشعر الذي خلا بوفاة عباس محمود العقاد .

※ افتتحت بالقاهرة اول قاعة موسيقى فى مصر بمعهد الكونسرفتوار « 4 الاف كرسي » اطلق على القاعة اسم سيد درويش . تضم القاعة « أرغنا » ثمنه 10 الاف جنيه .

※ اقامت رابطة الادب الحديث بالقاهرة ندوة لمناقشة كتاب «الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين» تاليف كامل السوافيري وقد تحدث فى هذه الندوة كل من : انور الجندي ، طاهر الطناحي ، عبد الله التل ، عبد الله عبد الجبار ، عبد العزيز الدسوقي ، محمد مصطفى الماحي ، مصطفى السحرتي ، ووديع فلسطين .

※ يصدر قريبا عن الدار المصرية للتاليف والترجمة بالقاهرة « فى المنقد المسرحي » للناقد فؤاد دوارة .

※ كتاب الدكتور طه حسين « الايام » يجري طبعه الان على اسطوانات فى القاهرة .

※ « نبضات » مجموعة شعرية للدكتور جمال مرسي بدر ، صدرت فى الاسكندرية وتقع فى 124 صفحة .

※ توفى فى القاهرة محمد عبد الواحد خلاف مدير عام التعليم سابقا ، ورئيس لجنة التاليف والنشر .

※ كتاب « فنانو الاسكندرية » الذي الفه الاديب السكندري فكري بطرس حصل على الجائزة الاولى « الف جنيه » فى مهرجان الكتاب العربي . والكتاب يتناول حياة جميع الفنانين البارزين ابناء الاسكندرية منذ 120 سنة ابتداء من سلامة حجازي ، وسيد درويش ، حتى ادهم ، وسيف وانلي .

※ وافق الدكتور عبد العزيز السيد ، وزير التعليم العالي على اعادة 24 عضوا من هيئة تدريس جامعة الاسكندرية الى جامعة بغداد .

※ الدكتور عبد اللطيف حمزة رئيس قسم الصحافة بجامعة القاهرة ، والدكتور محمد غنيمي هلال انتدبا للتدريس بجامعة بغداد .

* عبد الله الطوخي صدرت له بالقاهرة مسرحية في اربعة فصول عنوانها : « طيور الحب »

* تفكر الحكومة الاردنية في انشاء وكالة اخبارية بها .

* يصدر في « اعلام العرب » بالقاهرة في الشهر الجاري كتاب عن : « عبد الله بن المعتز » الشاعر والعالم الاديب ، تأليف الدكتور احمد كمال زكي .

* انتدب المجمع اللغوي بالقاهرة الدكتور عبد اللطيف احمد علي ، عميد كلية آداب جامعة القاهرة خبيرا في لجنة الفاظ الحضارة .

* تصدر قريبا في بيروت دراسة في النحو للدكتور مهدي المخزومي الاستاذ في جامعة الرياض وقد قدم لها العلامة مصطفى السقا .

* صدر في بيروت ديوان الشاعر ميشال طراد باللغة الدارجة اللبنانية وعنوانه « ليش » .

* تعاقد احمد عويدات صاحب منشورات عويدات ببيروت مع البروفسور جورج سادول صاحب المؤلفات السينمائية العديدة على ترجمة وطبع وتوزيع كتاب « تاريخ السينما في العالم منذ نشأتها حتى ايامنا » والجدير بالذكر ان المؤلف وافق ، بناء على رغبة الناشر ، على اضافة فصل ضاف عن السينما العربية ، وكتابة مقدمة للطبعة العربية .

* اقيمت في الجامعة الامريكية ببيروت حفلة تكريمية لذكرى المربي واصف البارودي .

* صدر مؤخرا عن منشورات عويدات ببيروت كتاب « الناعقان » وهو احدى روائع الكاتب الفرنسي بلزاك الروائية . وقدم لها وراجعها الدكتور شكيب الجابري صاحب « قدر يلهو »

* توفي مؤخرا في لندن ادوارد عطية عن 61 سنة ، وهو خريج جامعة اكسفورد ، ومؤلف كتاب « العرب » وذلك بعد اصابته باغماء فجائي ، وهو يلقي خطابا في اجتماع عقدته جمعية خريجي جامعة اكسفورد لمناقشة موضوع مقاطعة العرب للتجارة الاسرائيلية ، وكان الفقيد يدافع عن المقاطعة عندما وقع مغشيا عليه .

* صدر العدد الاخير من « مجلة شعر » في بيروت وبه ختمت المجلة عامها الثامن وتعلن توقفها عن الصدور بعد ان خدمت الحركة الشعرية اروع الخدمات ، ودفعت بالشعر العربي الى الامام . ومما جاء في بيان يوسف الخال صاحب المجلة عن اسباب توقفها ما يلي : « وهكذا اصطدمت الحركة بجدار اللغة ، فاما ان تخترقه او ان تقع صريعة امامه ، شأنها شأن المجالات الشعرية التجديدية ، بما في ذلك التوشيح الاندلسي . وجدار اللغة هذا هو كونها تكتب ولا تحكى ، مما جعل الادب « وخصوصا الشعر لانه الصق فنونه باللغة » ادبا اكاديميا ضعيف الصلة بالحياة حولنا . على ان ما حققته حركة مجلة شعر حتى الان كان اساسيا وطبيعيا للوقوف وجها لوجه ، مرة والى الابد ، امام الجدار الحقيقي ، والفاصل بين الشعر العربي القديم ، وبين الشعر العربي الحديث . لذلك تنهي مجلة « شعر » السنوات الثماني من حياتها بالتوقف عن الصدور .

* تنوي حكومة المملكة السعودية عقد مؤتمر حول انشاء رابطة شعوب اسلامية خلال موسم الحج لهذه السنة .

* احتفل ميخائيل نعيمة في الشهر الماضي بعيد ميلاده الخامس والسبعين .

* صدر في بيروت ديوان «شميم العرار» للشاعرة السعودية غادة الصحراء ، ويقع في 172 صفحة مزدان بالرسوم بريشة رضوان الشهال وتقديم جورج غريب .

* فاز بجوائز جمعية اصدقاء الكتاب لعام 1964 « جائزة رئيس الجمهورية التقديرية » منحت للمؤرخ الدكتور اسد رستم « جائزة الدراسات اللبنانية » منحت لادفيك شيبوب عن كتابها « الحرف الشعبية في لبنان » . « جائزة المملكة العربية السعودية » منحت للدكتور شكري فيصل لتحقيق الجزء الثالث من كتاب «جريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الاصفهاني « جائزة مدينة بيروت » منحت للدكتور سابا جورج شبر عن كتابه « العلم وتنظيم المدن العربية » « جائزة الشعر » منحت مناصفة بين يوسف غصوب عن مجموعته « الابواب المغلقة » ورضوان الشهال عن مجموعته « جرار الصيف » « جائزة الكتاب اللبناني » منحت مناصفة بين الدكتور ادمون رباط عن كتابه

« الوسيط في القانون الدستوري العام » والدكتور مصطفى خالدي عن كتابه « الحمل والولادة » وقررت جمعية اصدقاء الكتاب حجب « جائزة الكويت » و«جائزة العلم » واما جائزة صيدا فلم يتقدم لها اي كتاب .

❊ « ميخائيل نعيمة الاديب الصوفي » تأليف ثريا ملحس صدر مؤخرا في بيروت ويقع في 208 صفحات .

❊ امين الريحاني سيرته وادبه » كتاب جديد جديد للدكتور جميل جبر صدر مؤخرا في 200 صفحة

❊ اهدت الحكومة اللبنانية وسام المعارف الى السيدة ايلين يوس عبود للخدمات الكبيرة التي قدمتها خلال 20 سنة في حقل التربية في المدرسة الانجليزية في صور .

❊ صدر في العراق كتاب « وادي السلام في النجف » لعبد الصاحب المظفر ، وهو يبحث عن اوسع مقابر العالم .

❊ بوشر في بغداد بطبع كتاب « ابنية الصرف في كتاب سيبويه » للدكتورة خديجة الحديثي .

❊ يعد القاص الحلبي جهاد الكاتب ، دراسة مطولة عن الشاعر الشهيد عمر حمد .

❊ انهى العالم الحلبي قاسم احمد ، كتابه « فجر العرب » وهو مقدمة ابحاثه اللغوية التي شغلته زهاء 17 عاما .

❊ قريبا يصدر في بغداد : كتاب « البلاغة عند عند السكاكي « للدكتور احمد مطلوب .

❊ انهى الاديب الحلبي نظار ب. نظاريان ترجمة « انشودة الخبز » للشاعر الامني طانيل فاروجان .

❊ باشرت مطبعة المعارف ببغداد طبع معجم للمخطوطات العراقية يتضمن القسم الاول منه : الادب ، والشعر ، والتاريخ ، لمؤلفه علي الخاقاني .

❊ يقوم الدكتور يوسف عز الدين عضو المجمع العلمي العراقي بجمع ديوان الشاعر الفقيد عبد الحسين الازري وتحقيقه .

❊ يعكف عبد الحميد العلوجي وعبد الجبار محمود على تحقيق كتاب « مطالع السعود» بترجمة الوالي داود للشيخ عثمان بن سند البصري من علماء العراق في القرن الماضي .

❊ كامل السامرائي صدر له مؤخرا « مجموعة قانون العقوبات البغدادي بتعديلاته وذيوله الاخيرة و« قانون اصول المرافعات المدنية والتجارية مع ذيله » وهما منشورات مكتبة « المثنى » ببغداد .

❊ وافق المجمع العلمي العراقي على تحقيق ونشر كتاب « المسجد المسبوك » الخزروجي وتحقيق شرح ابن جني على ديوان المتنبي اعتمادا على النسخة المخطوطة .

❊ صدر العدد الاول من السنة الثانية من مجلة « التراث الشعبي » في بغداد بشكل جديد وقد خصص هذا العدد بموضوع « الحرف التقليدية » .

❊ صدر في بغداد كتاب « شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه » ليحيى الجبوري ، وهو رسالة الماجستير التي تقدم بها الجبوري الى جامعة القاهرة .

❊ توفي بعد مرض عضال الشاعر العراقي الشهير بدر شاكر السياب ، ويعتبر من افذاذ الشعراء المجددين في الشعر العربي المعاصر ، وقد تأثر انتاجه في السنوات الاخيرة بحالته الصحية السيئة التي تدهورت الى حد بعيد نتيجة اصابته بالسل .

❊ توفي في بغداد الحاج محمد طه الفياض مؤسس جريدة « الفجر الجديد » البغدادية . وكان الفقيد خطيبا مفوها ، وكاتبا لبقا ، واستاذا موجها .

❊ مجلة « المعرفة » التي تصدرها وزارة الارشاد في دمشق اصدر تعددا خاصا عن المسرح ، يقع في 47 صفحة .

❊ تشكلت هيئة تحرير لمجلة « الكويت » التي تصدرها وزارة الارشاد والانباء الكويتية من صالح شهاب وكيل الوزارة المساعد لشؤون الثقافة والنشر ،

رئيسا ، ومحمود الحوت ، وعبد الرزاق ، البصير وغيرهم ، للاشراف على التخطيط لهذه المجلة .

* تهتم وزارة المعارف السعودية بمشروع تعميم التعليم فى كل مدينة وقرية ، وقد تقرر انشاء مدارس ابتدائية فى عدد من المدن كخطوة اولى .

* فى الشهر الماضي انعقد فى باندونغ المؤتمر الاسلامي لدول افريقيا وآسيا .

* صرح الدكتور محمد المصدقاني مدير عام التعليم الصناعي بوزارة المعارف السعودية ، بان الوزارة ستوالي ارسال البعثات من خريجي المدارس الصناعية للدراسة فى الخارج لسد حاجة البلاد .

* تدرس وزارتا العمل والتجارة فى السعودية التقرير الذي وضعه الخبراء لانشاء معهد للابحاث والدراسات الصناعية ، تمهيدا لانشاء مختلف الصناعات الصغيرة .

* افتتحت الرئاسة العامة لمدارس البنات بالسعودية اربع مدارس ابتدائية جديدة للبنات فى مدينة الرياض .

* وافق جلالة الملك فيصل على انشاء معهد عال بالرياض للتخصص فى دراسة الفقه الاسلامي به . وقد خصص لانشاء المعهد مبلغ مليوني ريال كدفعة اولى لتغطية نفقات الانشاء والمستحضرات الضرورية .

* قررت وزارة المعارف السعودية افتتاح معهد ثقافي للتعليم اللغة الفرنسية ، هذا وقد وصلت معدات المعهد اللازمة الذي سيكون التعليم فيه على احدث الطرق فى تعليم اللغات الحية .

* قررت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية السعودية افتتاح معهدين حديثين للتدريس المهني فى كل من جدة والدمام ، بالاضافة الى معهد الرياض وذلك لتخريج عمال فنيين . وتم الاتفاق بين وزارة المعارف للتعاون فى هذا المجال لتدعيم هذه المعاهد بالمدرسين السعوديين المتخرجين من المدارس الصناعية ، والذين تلقوا دراستهم العالية فى الخارج .

* عهد وزير المعارف السعودية الى وكيل الوزارة للشؤون التعليمية الموجودة حاليا فى باريس اجراء مباحثات مع الجهات المختصة بمنظمة اليونسكو حول امكانية التعاون مع الوزارة لانشاء معهد عال للزراعة بالمملكة وايفاد خبير لدراسة المشروع .

* اجرت وزارة المعارف السعودية محادثات مع المسؤولين فى هيئة الامم المتحدة لانشاء معهد للتدريب الفني والتربوي تحت اشراف وزارة المعارف . وقد وافق الصندوق الخاص للامم المتحدة بالمساهمة فى المشروع بمبلغ 9 ملايين ريال مع بذل المساعدات الفنية والعلمية اللازمة لذلك . وقد تم تشكيل لجنة فى وزارة المعارف لمتابعة دراسة المشروع وتحقيقه .

* عين السيد فهد السديري وكيلا لوزارة الاعلام السعودية للشؤون الاعلامية .

* اقيم فى ادلب اول تمثال للزعيم ابراهيم هنانو نحته المثال الحلبي وحيد استانبولي .

* تجري الان مباحثات بين المسؤولين فى وزارة المعارف السعودية لتعديل المناهج الدراسية بكليتي التربية والشريعة .

* مرت فى الشهر الماضي ست سنوات على وفاة الشاعر المهجري ايليا ابى ماضي .

* بمناسبة الذكرى التسعين لميلاد الدكتور البير شوايتزر التي حلت اخيرا ، قررت وزارة البريد فى فرنسا ان تختم الرسائل الصادرة من مسقط راس هذا العالم بخاتم بريدي احتفالا بذكرى ميلاد العلامة الانساني الكبير . ومعلوم ان الدكتور شوايتزر يقيم فى افريقيا ناذرا نفسه لمحاربة الامراض الفتاكة ، متطوعا ، باذلا من اجل ذلك ما يملك وما يجمعه من اكتتابات .

* الشمس صامتة » احدث ما صدر فى لندن للاديبة الفقيدة ريما علم الدين . والكتاب يضم روايتين قصيرتين ، ومجموعة من القصص القصيرة ، وقد رحب به النقاد فى بريطانيا .

* توفي فى لندن مؤخرا الشاعر الانجليزي الكبير اليوت ، وهو من اشهر شعراء القرن العشرين عن عمر يناهز 76 عاما . وقد ولد الشاعر اليوت فى الولايات المتحدة من عائلة معروفة فى بوسطن . وتجنس بالجنسية البريطانية ، ونال اعلى درجات الشرف العلمية فى بريطانيا والولايات المتحدة . فاز بجائزة نوبل للآداب سنة 1948 . وتلقى الشاعر اليوت علومه فى جامعة هارفارد ، والسربون ، واكسفورد وكان يحمل شهادات دكتوراة فخرية فى الآداب من جامعة اكسفورد وكمبردج وييل ، وبرنتون وليدز ، وشهادة فخرية فى القانون من جامعة انبره ، وانتخب فى سنة 1952 رئيسا لمكتبة لندن . وقد وضع اليوت عدة دواوين شعرية ، وروايات مسرحية واقتبست الدور السينمائية بعض مسرحياته .